سلسلة أديان مقارنة

المُشرِكون والمسيحيّون اليهود في القرآن



باتريشيا كرون

ترجمه عن الإنكليزية:
هشام شامية



المُشرِكون والمسيحيّون اليهود في القرآن

المركز الأكاديمي للأبحاث

المُشرِكون والمسيحيّون اليهود في القرآن

تأليف
باتريشيا كرونة

ترجمه عن الإنكليزية
هشام شاميّة

المُشرِكون والمسيحيّون اليهود في القرآن

Polytheists, Christians and Jews in the Koran

تأليف : باتريشيا كرونة، ترجمه عن الإنكليزية : هشام شامية

تصميم الكتاب وغلافه :علي الحسناوي، التقويم اللغوي : أيمن بطحوش

الناشر :المركز الأكاديمي للأبحاث / العراق ـ تورنتو ـ كندا

The Academic Center for Research

TORONTO -CANADA

Library and Archives Canada/موثق بدار الكتب والوثائق الكندية

ISBN 978-1-927946-79-4

Email: info@acadcr.com   website\\http://www.acadcr.com

nasseralkab@gmail.com

بيروت ـ الطبعة الأولى 2019

توزيع : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : بيروت ـ لبنان 7611-2047

الجناح ـ شارع زاهية سلمان ـ مبنى مجموعة تحسين الخياط

Tel:+961-1-830608 — Fax: +961-1-830609

Website:www.all-prints.com   Email:tradebooks@all-prints.com

باتريشيا كرونة

أمريكيّةٌ دنماركيّةٌ مُستشرقة ومؤرّخةٌ مُتخصِّصة في التّاريخ الإسلاميّ المُبكِّر (١٩٤٥- ١١ تمُّوز ٢٠١٥). بحثَت في القرآن ككِتاب مُقدّس بنظرةٍ تاريخيّةٍ، كما هي الحالُ بالنّسبة لتاريخ الكتاب المُقدَّس، وفي عام ١٩٧٧ أصبحت محاضرةً جامعيّةً في التّاريخ الإسلاميّ بجامعة أكسفورد، ثمّ أستاذةً مساعدةً، وشَغَلَت مناصب عدّةً في كليّة كيوس في جامعة كامبريدج في عام ١٩٩٠، وفي عام ١٩٩٧ تمّ تعيينُها في معهد الدّراسات المتقدّمة في برينستون، وعمِلت ضمنَ المدّة من عام ١٩٩٧ حتّى تقاعُدها في عام ٢٠١٤، وحازَت على لقب بروفيسور ميلون، من عام ٢٠٠٢ حتّى وفاتِها في تمُّوز عام ٢٠١٥.

ألّفت كتابَ تجارة مكّة وظهور الإسلام عام ١٩٨٧، وكتابَ الهاجريّون: دراسة في المرحلة التكوينيّة للإسلام عام ١٩٧٧.

المترجم: هشام شامية

وُلِد هشام شاميَّة في مدينة دمشق عام ١٩٨٥، درسَ في مدارسها والتحقَ بجامعة دمشق قسم التّرجمة في اللُّغة العربيَّة والإنكليزيَّة، عملَ في مجال ترجمة البحوث والمقالات الدّينيَّة والاجتماعيّة منذُ عام ٢٠٠٥، فضلاً عن الدّراسات اللاهوتيَّة في منطقة الشَّرق الأوسط؛ ترجمَ طائفةً من المقالاتِ والبحوثِ والكتبِ منها "مفهومُ الله وبناته عِندَ العرب قبل الإسلام" و"مكَّة قبل الإسلام" وكتابُنا هذا "الكنيسة في ظلّ المَسجِد".

فهرس المحتويات

مُقدّمة المُترجِم

أثارَت مُؤلَّفاتُ وبحوث المُؤرِّخة باتريشيا كرونة القرّاءَ والباحثين على مدار مسيرتِها المهنيَّة، في حين نظرَ عددٌ منهم بعين التشكيك والتكذيب لبحوثها وكتبها، اعتقاداً منهم في نفيها للمُسلّمات، وإثارةً للجدل في تطويع المادّة التاريخيّة لتتناسبَ وفقاً للنتائج التي تتخيَّلها، واعتمادها على مصادرَ ومراجعَ غيرَ إسلاميّة، لتفكيك التاريخ الإسلاميّ والمصادر العربيّة المُبكِّرة. أمّا وجهة النظر المُقابِلة؛ فتعتبرُ كرونة باحثةً من تيار المُستشرقين الجدد أو ما يُعرَف بالمدرسة الجذريّة أو التصحيحيّة (المُستشرِق الأميركيّ جون وانسبرو مثالاً). وقد استوقفتني كتبُها ومؤلّفاتُها التي وُفِّقَتُ بقراءة نسخها الأصليّة وبعضِ ما تُرجِم عنها مثل: كتاب الهاجريّون (ترجمة الدكتور نبيل فيّاض)، و كتاب تجارة مكّة وظهور الإسلام (ترجمة الدكتورة آمال الروبيّ)، وترجمْتُ عدداً منها مثل: ديانة المُشرِكين في القرآن – الله والآلهة الأدنى؛ قريش والجيش الرّومانيّ – محاولةٌ لفهمِ تجارةِ الجلود المكّيَّة.

ينقسمُ كتابُنا هذا إلى قسمَين: "المُشرِكون في القرآن والقيامة"، و"المسيحيّة اليهوديّة في القرآن"، وهي مُختارات من مجموعة مُؤلَّفات للباحثة كرونة نُشِرَت في مُجلَّدٍ واحدٍ عامّ يَسعى إلى إعادة بناء البيئة الدينيّة التي نشأَ فيها دينُ الإسلام، وطورَّت منهجاً مُتشابكاً لدراسة الوسط الدينيّ القرآنيّ استناداً إلى المصادر الإسلاميّة في المَقام الأوّل. يدورُ مُحتوى القسم الأوّل في كتابِنا على تبيان وتوصيف الخلفيّة الدينيّة للمُشرِكين في القرآن، وعلاقة ما قالَه لهم الرّسول بما ورثوه من أبائهم وأسلافهم، و وجهة نظر أولئك المُشرِكين إلى البعث/القيامة،

وإيمانهم بالموتة الأوّلى ومصيرِ الرّوح بعدَ الموت. وتُميّز الباحثة كرونة المُشرِكين في ثلاث مجموعات؛ تتألَّف من المُشكّكين والمُنكرين والمُؤمنين بالله والملائكة. ثمَّ تنتقلُ إلى مفهوم الجنَّة والجحيم والقيامة في المصادر الزّرادشتيّة واليهوديّة والمسيحيّة، والإيمان بالحياة بعد الموت، وعلاقة الدّهر وأصحابه بالموت. فهل آمنَ أولئك المُشرِكون بإله موسى وإبراهيم وعيسى، وهل ألَهوا الدّهر حقّاً.

وفي القسم الثاني من الكتاب، المسيحيّة اليهوديّة في القرآن، تطرحُ الباحثةُ فرضياتِها وحججها المُتضمِّنة وجودَ مسيحيّين يهود بعد الفتح الإسلاميّ، وقد حذَت كرونة حذوَ مُستشرِقين كثرٍ جادلوا بدور أولئك المسيحيين اليهود في القرآن، وثمَّ تنتقلُ إلى شخصيّة عيسى/ يسوع ومريم في القرآن، ونظرة القرآن إلى مفهوم صلب المسيح، وعلاقة اليهود والنّصارى بمصطلَح "بنو إسرائيل". حيث ترى الباحثة الرّسول مُحمّداً كمبشر بتعاليم العهد القديم، ومُؤيّد لفكرة البعث من المفهوم المسيحي للوصول إلى يوم الحساب. ثمَّ تشرحُ كرونة مُعضِلة أختّ هارونَ وابنة عمران، ورأيَ أبيفانيوس ويعقوب السروجي وآخرينَ في هذه المسألة والمسائل ذات الصّلة، وعلاقة ولادة يسوع تحت نخلة بإنكار مكانته المسيحانيَّة الخلاصيَّة. فهل حقاً استخدمَ الرّسول مُسمَّى "يهود" و"نصارى" بأسلوب ازدرائيّ، وهل حقاً ماتَ أو اختفى جميع المسيحيّين اليهود بحلول زمن الرّسول.

تعتبر هذه الموضوعات من وجهة نظر كرونة تقارباً بين اليهودية والقرآن، حيثُ إنَّ الالتزام بشريعة موسى ومن ثمَّ إنكار الصّلب، واعتبار يسوع (عيسى بحسب الكسائيّة نفياً لصفة المُخلّص) نبيّاً في سلسلة الأنبياء، يؤدي لتبرئة اليهود من دم "المسيح". وسواء قبلنا بفرضياتها ونتائجها أم لا، تعكس هذه

المسائل ذات الصلة ضعف وهشاشة المصادر الأوّلية الباقية، لتستمر عملية البحث عن الحقيقة.

كما زوّدَ هذا العمل بمجموعةٍ من الاقتباسات المُستمَدُّ بعضُها من المصادر والمراجع باللُّغة العربيَّة، ونذكرُ منها: تفسير الكشّاف للزمخشري، د. دلدار عفور حمد أمين ٢٠٠٧؛ تأويلات القرآن لأبي منصور الماتريديّ؛ كتاب الملل والنّحل للشهرستانيّ؛ جامع البيان في تفسير القرآن للطبري. فضلاً عن الاستعانةِ بعدد من الكتب مثل: رسالة يعقوب، الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة، مصر؛ الفيلوكاليا، مجموعة من كتابات آباء الكنيسة الأوّلى، إعداد القمص تادرس يعقوب ملطيّ، القاهرة ؛ القديس ابيفانيوس "أسقف سلامبس"، ترجمة وإعداد أنطون فهمي جورج ١٩٩٢؛ القدّيس كيرلس الأورشليميّ، إعداد القمّص تادرس يعقوب ملطيّ ٢٠٠٦.

وسيجدُ القارِئُ أيضاً تعليقاتٍ للمُترجِم بين [ ] في الجزء المُخصَّص للحواشي، أُدرِجَت لِتفسِّرَ وتشرحَ بعضَ المُصطلَحات والعبارات المُبهَمة فقط، فضلاً عن الاستعانةِ بآياتِ القرآن والإنجيل تلافياً للاقتباسِ الجزئيّ إنْ وُجِدَ في النصّ الأصل، كي تعمَّ الفائدةُ معَ رؤيةٍ أعمقَ في النَّصّ المُتَرجَم لدى القارِئ.

هشام شاميّة

دمشق 2017

(القسم الأوّل)

المُشرِكون في القرآن والقيامة

الجزء الأوّل

المُشرِكون في القرآن والقيامة[*]

[*] أودُ أن أشكر مايكل كوك وجيرالد هوتنج وجوزيف فيتزتوم واثنين من النقاد المجهولين على مُعظَم تعليقاتهم المُفيدة على هذه المقالة في مراحل مُختلِفة من إنجازها. كما أنّني مَدينة للقرّاء في كوبنهاغن وآرهوس ولندن ونوتردام وسانتا باربرا للردود والتعليقات على الكثير من الإصدارات الشّفهِيَّة المُبسَّطة من المُناقشة.

إحدى القضايا المطروحة بين الرّسول والكفَّار في القرآن هي في ادّعاء الرّسول بقيامة الأموات ويوم الدينونة، ومن ثمّ العيش في الجنَّة أو الجحيم إلى الأبد. تأخذُ هذه القضيّة حيزاً كبيراً في السور المكّيّة. لقد تمَّ تصوّيرُ الكفَّار على أنَّهم استجابوا ردّاً على هذا الادّعاء بمزيجٍ من عدم الاكتراث والشّكّ والإنكار القَطعيّ. والآتي هو دراسة ردود الفعلِ هذه، ولاسيّما ردودِ فعل المُشكّكين والمُنكرين. حيثُ يتناولُ الجزءُ الأوّل من العمل الأدلّة القرآنيّة في ضوء مُعتقَدات الشّرق الأدنى قبل الإسلام بهدف تحديد الخلفيّة الدينيّة لهؤلاء الكفَّار، أمّا الجزءُ الثّاني فيحاولُ ربطَها بالتيارات الفكريّة داخلَ وخارجَ الجزيرة العربيّة.

(أ) اللامُبَالاة:

على الرَّغم من تصوير الكفَّار في القرآن بأنَّهم غالباً يُنكرون أو يُشكّكون بالقيامة، فمن الأهمّية لحظّ وصف الكفَّار في بعض الأحيان على أنَّهم غير مُهتمّين ببساطة، يقولُ الله عن العذاب المقبل:**{إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَنَرَاهُ قَرِيبًا}(المعارج: ٦ ، ٧)**. وفي ظاهر الأَمْر، يؤمنُ هؤلاء الكفَّارُ في القيامة من دون اعتبارِها وشيكة. ويمكنُ بطبيعة الحال أن تعني هذه العبارة اعتقادَهم ببُعد ذلك اليوم بمعنى أنّه بعيد عن تصوُّر العقل، أي أنَّه أمرٌ مُستحيل (كما في سورة ق، الآية ٣). هذا هو الرَّأي المُفضَّل للمُفسِّرين. لكنَّ الله بالكاد أجابَ أنَّ العقابَ قريبٌ بمعنى معقول، ما لم يكن ساخراً.[١] لقد فهمَ كلٌّ من آرثر

[١] يشرحُ المُفسِّرون عادةً كلمةَ **قريب** لتعني **كائناً** هنا: مُقاتل بن سليمان، **تفسير**، محرر. عبد الله محمود شحاتة (بيروت، ٢٠٠٢)، ٤، ٤٣٦؛ الطّبري، **جامع البيان عن تفسير القرآن** (بيروت، ١٩٨٨)، جزء ٢٩، ٧٣؛ الماتريدي، **تأويلات القرآن**، مُحرّر. ب. توبالوغلو وآخرين (إسطنبول،

آربري و رودي بارت ويوسف علي كلمة "بَعِيدًا" و"قَرِيبًا" بالمعنى الزَّمني في ترجماتهم، وهو ما يقترحُه السِّياق أيضاً. أمَّا الآياتُ الخمس الأوّلى من سورة المعارج فتخبرُنا أنَّ أحداً قد سألَ عن عذابٍ واقعٍ، و[لكن] تَعرُج الملائكة والرّوح إليه في يومٍ واحدٍ مُقدارُه خمسون ألف سنةٍ، لذلك ينبغي للمرء التّحلي بالصَّبر **(راجع سورة المعارج، الآيات ١-٥)**. ومن غير المُستغرَب أن تبدو الأمور بعيدةً للبشر على الرَّغم من أنَّها في الواقع قريبة من حيثُ نوايا الله إذا كانَ مُجرَّد يومٍ واحدٍ مقدارُه خمسون ألف سنةٍ لله،. والرّسالة هي أنَّنا يجبُ ألّا نغفلَ عن العذاب المُقبِل حتّى وإن كانَ لا يبدو وشيكاً. وأيضاً بهدفِ شرح مسألة لماذا يبدو الله بطيئاً في وعده الذي أخبرتنا عنه رسالة **(بطرس الثانية ٣: ٨)** ، حيثُ إنَّ يَوماً واحِداً عِندَ الرَّبِّ كَألفِ سَنَةٍ.

يمكنُنا الافتراضَ إذن بوجود كفَّار آمنوا بيوم الدينونة من دون إيلاء اهتمامٍ كبيرٍ لذلك، ونجدُ مقاطعَ أخرى من القرآن مُتوافِقة مع هذا التّفسير. كما جاءَ في الآية ٢٥ من سورة الرَّعد: {**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**}، والذين فرحوا بالحياة الدُّنيا أكثر من الآخرة، كما في الآية ٢٦ من السورة نفسها: {**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ**}؛ وأولئك الذين لا يرجونَ لقاء الله ورضوا بِالحياة الدُّنيا، كما في قوله: {**إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ**}**(سورة يونس، الآية ٧)**؛ وفي الآيتَين

٢٠٠٥-٢٠١٠)، ١٦، ٩٥ (يدّعي أنَّ كلَّ شيءٍ **كائِن** هو **قريب**). و وفقاً لفخر الدّين الرّازي، تعني كلمةُ **قريبٍ** هنا سهلاً أو ليسَ مُستحيلاً (**التّفسير الكبير**، طهران، ١٤١٣، ٣٠، ١٢٥).

(٦ و ٧) من سورة الرّوم: {**وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**}.وذلك هو عادةً ما يجدُه دعاةُ يوم الحساب أو الدينونة ليكون عليه الحالُ حتّى عندما يكونُ الاعتقادُ في العقاب المُقبل اعتقاداً عُموميّاً.

يبدو أنَّ بعضَ الكفَّار غافلونَ لسبب غريبٍ بعض الشّيء، ومع ذلك: كانوا على يقينٍ أنّهم سيُخلّصونَ. وعَلَيه نجدُ في المثل الرَّمزي رجلاً ثريّاً يذهبُ إلى أرضه، حيثُ يعبّرُ أولاً عن عدم الكفر بيوم الدّينونة، ثمَّ يُضاف كما في قوله: "**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا**" **(سورة الكهف: الآيتان ٣٥،٣٦)**. يتأرجحُ هذا الرَّجل بين موقفَين، فهو مُقتنِع بأنَّ الجنَّة تنتظرُه أيضاً، بقدر ما يؤمنُ في يوم الدَّينونة. وهذه الإدانة مشجوبةٌ على الكافر بشكل عام في الآية ٥٠ من سورة فصلت، ومرّة أخرى في ما يتَّصل باليهود: كان يوجدُ جيلٌ فاسدٌ من بني إسرائيل مُقتنِعونَ بأنَّه سيُغفَر لهم **(سورة الأعراف، الآية ١٦٩)**، وكانَ اليهودُ في السورة المدنية **(سورة البقرة، الآية ٨٠)** مُقتنعين أنَّهم لن يُعاقَبوا إلا "**أَيَّامًا مَّعْدُودَةً**".[١] ويُفترَض أنَّهم رأَوا أنفسَهم مُخلّصين نتيجةً لأعمال وأكساب أسلافهم الأولّين، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق: يذكر القرآن صراحةً هؤلاءِ الآباء (ويعقوب أيضاً) في شجبهم للتعاليم القائلة بأنَّ أعمال وأكساب أسلافهم تساعدُ الأجيال اللاحقة، كما في قوله:{**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ**

---

[١] يُنظَر للرأي الحاخامي بأنَّ جهنَّم ذات أمدٍ محدود، س. ب. رافائيل، **آراء يهوديَّة عن الآخرة**، الطبعة الثّانية (لانهام، ماريلاند، ٢٠٠٩)، ١٤٤ والصفحة التالية.

خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (راجع سورة البقرة، الآيات ١٣٣،١٣٤، ١٤٠، ١٤١).

(ب) شكوك و تكذيبات

يصوّر المُشرِكون عادةً على أنّهم يُشكّكون أو يُنكِرون حقيقة يوم الدينونة، أو حتّى الحياة الآخِرة بالإجمال. لقد نُقِلَ عنهم كصيغة سؤال بنبرةٍ توحي بالكفر عمَّا إذا كانوا سيُبعَثون مُجدَّداً، أم أنَّهم سيصبحون خَلْقاً جديداً عندما تتفسّخ أجسادُهم: **{أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ، أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ} (سورة الصافات، الآيتان ١٦،١٧؛ وبالمثل سورة الرعد، الآية ٥؛ ١٧:٤٩، ٩٨؛ راجع أيضاً ٥٠: ٣)**؛ وكما في قوله:**{أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ{ (سورة الصافات، الآية ٥٣)؛ "قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ"؟ (سورة يس، الآية ٧٨)؛ {أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا} (سورة الإسراء، الآية ٥١).** ومن آياته: **{أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ}؟ (سورة القيامة، الآية ٣)**، ثمَّ ردَّ الله بحسم، قائلاً لهم: **{إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} (سورة الحج، الآية ٥)**. وبفضل إبليسَ تمَّ تمييز من يُؤمن بالآخِرة مِمَّن هو في شكٍّ منها **(سورة سبأ، الآية ٢١)**. يقولُ الرَّجل الثري الذي يذهبُ إلى أرضه: **{ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا، وَمَا**

أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رددتَّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا} (سورة الكهف، الآيتان ٣٤،٣٤؛ وبالمثل سورة فصلت، الآية ٥٠).

ولا يبدو واضحاً في مواضعَ كثيرةٍ ما إذا كانَ المُشكِّكون أو الناكرونَ هم أولئك الَّذين يطرحونَ الأسئلة التَّشْكيكية، لكنَّ العديد من المقاطع الأخرى تقدِّمُ الخصومَ كمن ينكرُ على نحوٍ قاطعٍ القيامةَ والدينونة، والآخرة أيضاً. قال الَّذين كفَرُوا: **"لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ" (سورة سبأ، الآية ٣)**. **"بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ" (سورة الفرقان، الآية ١١)**. و**"لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ" (سورة سبأ، الآية ٨؛ قارن سورة الأنعام، الآية ١٥٠؛ سورة الأعراف، الآية ٤٥؛ سورة النحل، الآية ٦٠؛ سورة الإسراء، الآية ٤٥؛ سورة المؤمنون، الآية ٧٤؛ سورة النمل، الآية ٤؛ سورة النجم، الآية ٢٧)**. ربَّما كانوا يَستسخرونَ من فكرة القيامة/ البعث مُجدَّداً **(سورة سبأ، الآية ٧)**، وقالوا صراحة: **"إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ" (سورة الأنعام، الآية ٢٩)**. ويُنسَبُ الموقفُ نفسه إلى الكفَّار في الأمم السّابقة، لقد ظنّ فرعون وجنوده أنَّهم لن يرجعوا إلى الله، كما في قوله: {**وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ} (سورة القصص، الآية ٣٩)**. وقالَ قومُ عاد لهود: **{وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}(سورة الشعراء، الآية ١٣٨)**. وقد رفضَت أمةٌ سابقة لم يكشف عن اسمها، ربَّما كانوا قومَ عاد أيضاً، لقاء الآخِرة، قائلين: **"إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ" (سورة المؤمنون، الآيات ٣٣-٣٧)**. كما قالَ مُعاصِرو الرّسول: **"مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ" (سورة الجاثية، الآية ٢٤)**. وخَصَّصَ القرآنُ الجحيمَ مراراً لمُنكري الآخرة، لافتاً في حادثةٍ واحدةٍ إلى ذلك بقوله: **"هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ" (سورة**

الرَّحمن، الآية ٤٣). أمَّا الذين يُرسَلون إلى الجحيم فسوفَ يفسِّرونَ إرسالَهم إلى هناك كما في قوله: **{قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ} (سورة المدثر، الآيات ٤٣-٤٦)**. وتسأل آية أخرى: **"فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ؟" (سورة التين، الآية ٧، راجع سورة الإنفطار، الآية ٩)**. يُظهرُ القرآن لنا مَشهداً أيضاً، تدورُ أحداثُه في المُستقبَل، يقصُّ لنا عن أناس في الجنَّة يتحادثون ويمرِّرون الكأس بعضهم لبعض، حيثُ يقولُ أحدُ عبَّاد الله المُخلصين أنَّ له صديقاً لم يكن يؤمِنُ بالبعث، أو على الأقلّ كانَ عنده شكوكٌ حولَ هذا الأمر، و كانَ هذا الصديق يَسأل: **" أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ"**. وبالنظر إلى أسفل، يرى المُتكلِّم صديقَه في الجحيم الآنَ، ويندهشُ من هذه الحقيقة فلولا نعمةُ الله لكانَ يواجهُ المصيرَ نفسه، وفي السّطر اللاحق نجدُ شخصاً ما يسألُ، ربَّما المُتكلِّم أو الأشخاص الذين كان يتحدَّثُ معهم، لكنَّه يبدو وكأنَّه سؤالُ الرّسول اللاذِع، كما في قوله: **"أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ، إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ" (سورة الصافات، الآيات ٤٥، ٥١-٥٩)**.

باختصار، فإنَّ الكافرين في السور المكّيّة يصوَّرونَ الآن كمؤمنين بالبعث من دون أن يولوا اهتماماً كبيراً للأمر، كما يشكّكونَ بالبعث تواً، وينكرونَه صراحةً الآن، ويرفضونَ فكرة الحياة بعد الموت. يمكنُ أن يُؤخَذَ تركيزُهم على استحالة استعادة الجثث المُتحلِّلة بمعنى أنَّ بعضَهم يعتقدُ في الآخرة الرّوحيّة، ولكن لا وجودَ لمُجادَلاتٍ انفعاليّة ضدّ هذه الفكرة، ولا ضدّ أشكالٍ أخرى للآخرة مثلَ تقمُّص الأرواح أو التناسُخ. وبقدر ما يمكنُ للمرء أن يعرفَ، فإنَّ الاختلافَ لم يكن حولَ الشّكّل الذي ستتخذُه الحياةُ بعدُ الموت، لكن عن

واقعها فحسب. كانَ الاختيارُ بين القيامة الجسدية أو عدم وجود الحياة الآخرة كلّياً.

(ت) المبالغة الجدليّة؟

إذا قبلنا أن لا علمَ لبعض المُشرِكين بالقيامة، فهل يمكنُ أن يكونَ المُشكِّكون والمُنكِرون مُجرَّد رسوم كاريكاتورية يأملُ الرّسولُ إثارة مشاعر جمهوره لعدم مُبالاتهم؟ يجبُ أن يكونَ الجوابُ "لا" بالتأكيد. وذلك لأمرٍ واحد، حيثُ لا يتهمُ دعاةُ يوم الحشر جمهورَهم بالتشكيك أو إنكار حقيقة يوم الدّينونة عادة، ناهيكَ عن الحياة الآخرة كلّياً، وذلك عندما يكونُ تجاهلُهم لها في حياتهم اليوميّة هو كلّ يهتّمون به. ومن ناحيةٍ أخرى، يكرِّسُ الرّسولُ قدراً كبيراً من الاهتمام لإثبات أنَّ "الخلق الجديد" هو في حدود قدرة الله، ويجبُ أن يحدثَ فعلاً، ممَّا يدلُّ على أنَّ الكفرَ في هذا المُعتقَد كانَ مُشكِلةً خطيرةً بالنسبة له. وربَّما يتساءلُ المرءُ عمَّا إذا كانت المُبالغةُ الجدليّة فعالةً عندما يتمُّ عرضُ الجمهور على أنّه ينكرُ الحياة الآخرة بعباراتٍ قاطعةٍ بدلاً من مُجرَّد التشكيك فيها، حيثُ يبدو في سورة الجاثية أنَّ المُنكِرين يتحولوَّنَ إلى مُجرَّد مُشكّكين كلَّما مَضينا قُدماً. وبعد عرضِ المُتعنّتين الذين يستبعدونَ على نحوٍ قاطعٍ وجودَ أيّ شكلٍ من أشكال الحياة الآخرة، وتصنيف وجهة نظرهم على أنَّها مُجرَّد تَخمين، كما في قوله: {**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**} **(سورة الجاثية، الآية ٢٤)**، وتحكي السورة كيفَ سيتمُّ الحكمُ على كلّ أمّة وكيفَ سيتمُّ تذكير الكفَّار بسلوكهم في الماضي: "**وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ**" **(سورة الجاثية، الآية ٣٢)**. والآنَ

يُنظَرُ لأوّل وهلةٍ إلى المُنكِرين بشكلٍ لا لبسَ فيه على أنَّهم مُجرَّد مُتشكّكين. لكنّنا لا نعتبرُ بأنَّهم أعلنوا أنفسهم كمُشارِكين بالتّخمين في أيامهم على الأرض؛ وبدلاً من ذلك، يجعلُ الرّسولُ منهم صوتاً لتقييمه الخاص حول عقيدتهم كمُجرَّد تخمين، وذلك بمعنى المنطق البشريّ غير المعصوم عن الخطأ بدلاً من الوحي الإلهيّ. كما يقولُ الله عن فرعونَ وقواته: **{وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ} (سورة القصص، الآية ٣٩).** وكما تقولُ سورةٌ أخرى للمؤمنين بالملائكة الإناث الذين يُنكرون القيامة: **{وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} (سورة النجم، الآية ٢٨).** وعندَما يقولُ الرَّجلُ الثريّ في المثل: **{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا} (سورة الكهف، الآيتان ٣٥،٣٦؛ راجع سورة فصلت، الآية ٥٠)**، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ اختيارَ الفعل مقصودٌ به أيضاً أن يعبّرَ عن الأساس الكيفيّ وغير المُؤكّد لقناعاته. ولكن يُقدّم هذا الرجل في الواقع على أنَّه شكّاك أيضاً، لأنَّه على استعدادٍ للتفكير في إمكانيّة العودة إلى الله؛ وينطبقُ الشّيء نفسه على بَدِيله، في قوله: **{وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} (سورة فصلت، الآية ٥٠).** ربَّما يجسّد هو وبديلُه اثنَين من الآراء الرّئيسة ليوم الدَّينونة والشَّائعة بينَ خصوم الرّسول: إمّا أنَّهم أنكروا الأمرَ أو أنَّهم كانوا على يقين من تخليصهم. وفي الأحوالِ جميعِها، قد نعتبرُ أنَّ المُنكِرين حقيقيونَ. ولا نحتاجُ، بالطبع، إلى افتراض أنَّهم شكَّلوا مجموعةً مُنفصِلة عن المُشكّكين، أو

من أولئك الذين كانوا لا يبالونَ لهذه المسألة ببساطة؛ وربَّما يتردَّد الكثيرون بينَ القبول والشّكّ والإنكار. لكنْ يجبُ لمجموعة الآراء أن تكونَ كلّها مُمثَّلة في الواقع.

الخلفية الدينيّة:

ما هو نوعُ المِلّة أو وجهة النّظر الدّينية التي يمثّلها المُشكّكون والمُنكِرون؟ لقد عرّفت هويتهم مراراً وتكراراً على أنّهم "مُشرِكين". وعليه فإنَّ سورةَ فصلت (الآيتان ٦ و ٧) تشيرُ إلى المُشرِكين **"الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ"**. وتتحدَّثُ سورةُ الأنعام، وهي هجوم مُستدَام على الشّرك، كما في قوله: {**قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**} **(سورة الأنعام، الآية ١٥٠)**. وعندَما يسألُ المُستهزِؤن الرّسول، كما في قوله: {**أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ، أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ**} فإنَّ الردَّ هو "نعم" هذا صحيح، ويشرعُ السّردُ في توضيح الكيفيّة التي سيتمُّ بها جمع المُدانين وأزواجهم وما كانوا يعبدونَ، كما في قوله: {**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ**} **(سورة الصافات، الآيات ١٦-٢٢)**. {**وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ**} **(سورة الصافات، الآية٣٦)**، وفي وقت لاحقٍ يسألُ الكفَّار في السّورة نفسها ليتمَّ تذكيرُهم بحقيقة الجنَّة وقول الرّجل في الجنَّة الذي رأى صديقَه يعاني في الجحيم لعدم قدرتِه على الإيمان بأنَّه سيُحكَمُ عليه بعد الموت **(سورة الصافات، الآية ٥١ وما يليها)**. ونرى في سورة الجاثية أنَّ الشَّعب هو الذي اختارَ أولياءَ من دون الله

(**سورة الجاثية، الآية ١٠**)، وفي قوله لاحقاً: **"أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ" (سورة الجاثية، الآية ٢٣)**، **"وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ" (سورة الجاثية، الآية٢٤)**، ثمّ للتذكير في قوله: **"وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ" (سورة الجاثية، الآية ٣٢)**. وتقول لنا سورة النجم صراحة: **"إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ" (سورة النجم، الآية ٢٧)**، مع الإشارة إلى اللّات على نحو مُحتمَل، ومنّاة والعُزّة، اللَاتي ذُكِرنَ في السورة نفسها في وقتٍ سابق. تماشياً مع ذلك، عندَما يقولُ يوسفُ، الذي يمثّلُ الرّسول هنا، [1] لأصحابِه في السجن: **"إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ" (سورة يوسف، الآية ٣٧)**، ثم يتبع ذلك على الفور استياء (أكبر بكثير) من الإثم لعزو شركاء إلى الله **(سورة يوسف، الآيات ٣٨-٤٠)**.

تُعرِّفُ الرّوايةُ الإسلاميّة أنصارَ اللّات والعُزة ومناة على أنّهم أهلُ قريشٍ المُشرِكون، وعادةً ما يوافقُ العلماءُ المُعاصِرونَ على ذلك. لكنَّ أهلَ الشُّرك في القرآن لم يكونوا "مشركين" حقّاً إلّا من وجهة نظر الرّسول. ويتّضحُ من وصفِه لهم أنّهم كانوا موحَّدين من نوع التوحيد الوحداني (ووصفوا أيضاً بالأحاديّين)، وهذا يعني أنّهم يؤمنونَ بالله الواحد ورأَوا الآلهة الأدنى، ودعوها بالملائكة أيضاً، كمظاهر له وليسَ كآلهةٍ كاذبة اضطُّرَت لتكونَ مَنبوذة

---

[1] راجع جوزيف فيتزتوم، "البيئة السّريانيّة للقرآن: إعادة صياغة روايات الكتاب المُقدَّس"، أطروحة دكتوراه، جامعة برينستون، ٢٠١١، ٢٤٨ والصّفحات التالية.

في خدمتِه.[1] ربما يمكنُ اعتبارُهم وثنيّين؛ بمعنى أنّهم ليسوا يهوداً أو مسيحيّين، ولكن كانَ هناك الكثيرُ من التدرُّجات بينَ توحيدٍ قائم على الكتاب المُقدَّس ووثنيَّة أغيار (من الأمم غير اليهوديَّة) في العصور القديمة المُتأخِّرة، وهذا سيخبرَنا الكثير.

وللحصول على صورة دقيقة بدرجة أكبر، يمكنُنا أن نبدأَ بلحظِ استخدامِ خصومِ الرّسول لحجَّةٍ وثنيَّة الأصل، وعلى وجه التّحديد يونانيَّة ورومانيّة، ضدَّ مذهب البعث/القيامة. **{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}**؟ ، وسيسأله المُنكِرون باستهزاءٍ، مُضيفينَ: **{أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ}**؟ **(سورة سبأ، الآيتان ٧ و ٨)**. لقد أُثيرَت مُشكلِة تمزُّق الجثث إلى أشلاء، أي تمزيقها من خلال الحيوانات البرّية، لأوّل مرَّة من الوثنيّين اليونان والرّومان ضدَّ المسيحيّين؛ وكانت تُستخدَم بعدَ ذلك أيضاً من المسيحيّين المُؤمِنين بقيامة الجسد روحيًّاً ضدَّ أتباع الرّأي القائل إنَّنا سوف نحصلُ على أجسادِنا اللحميَّة ذاتها مرَّة أخرى. على ما يبدو، كان ينظرُ إلى التشتُّت الهائلِ للجسد على أنَّه مُشكِلة، لكنَّ الجسدَ الَّذي مزَّقَته الحيواناتُ البرّية يطرحُ صعوبةً أخرى، بحيثُ إنَّه قد أُكِلَ ومُرّر بالتالي إلى أجسادٍ أخرى. كانَ ردُّ أثيناغوارس (توفي عام ١٩٠) بأنّ لدى الله القدرةَ "

[1] يُنظر، باتريشيا كرونة، "ديانة المُشركين في القرآن: الله والآلهة الأدنى"، Arabica ٥٧، ٢٠١٠، ١٥١–٢٠٠ [الطبعة: مُدرجَة كمقالةٍ ثالثة في هذا المُجلّد (الكتاب الأصل)، وتُرجمت هذه المقالة للغة العربيّة في كتاب مفهوم الله وأنداده في المنطقة العربيّة قبلَ الإسلام، المَركز الأكاديميّ للأبحاث]، متوافِقة مع جيرالد هوتنج، فكرة الوثنيّة وظهور الإسلام (كامبريدج، ١٩٩٩)، ولاسيّما الفصل ٢، ولكنَ مع الأخذ بحرفيّة تبجيل الألهة/الملائكة أكثر ممَّا كانَ يميل إلى القيام به.

لفصل ما تمّ تقسيمه وتفريقه بينَ حشدٍ من الحيوانات بجميع أنواعها".[١] كما قالَ بقدرة الله على استرجاع الجثث لأنَّه هو مَن خلقَها في المقام الأول، واضعاً بذلك حجَّةً أصبحت تتردد على نطاق واسع: الخلق يكفل القيامة "الذي يمكنه أن يخلق، يمكنه أيضاً أن يقيم الأموات".[٢] ويرى تاتيان الآشوري (عام توفي ١٨٠) بأنه سواء طمست معالمه حرقاً أو تناثر عبر الأنهار والبحار أو "مزقته الحيوانات البرية إلى أشلاء"، فإنَّه سيُخزّن في مَخزن الله.[٣]

لقد أكَّد ثيودوريطس، الذي كتبَ في سورية نحو عام ٤٦٠، للمُشكّكين قدرةَ الله على إعادة تجميع الجسد حتّى بعد أن يتحلَّلَ ويتحوَّلَ إلى غبارٍ وينتشر في كلّ الاتّجاهات، أي في الأنهار، وفي البحار، وبين الطّيور الجارحة، أو الحيوانات المُتوحّشة، وفي النّار أو في الماء؛ لقد كانَ إحياء شيءٍ موجودٍ أسهل من خلقه من لا شيء.[٤] وعندَما بدأ الزرادشتيّون في التأكيد على أنّ الإِحياء سيعيدُ لنا أجسادَنا مرَّة أخرى، كانَ عليهم أيضاً أن يفسّروا كيف من المُمكن إعادة تجميع الأجسام الّتي مزَّقتها الكلاب والطيور والذئاب والنّسور إلى أشلاء، وهي مشكلةٌ مُلحّةٌ بشكلٍ استثنائيّ لهم في ضوءِ تقاليدهم الجنائزيّة؛

---

[١] أثيناغوارس، **القيامة**، ٣، ٣؛ راجع ل. و. بارنارد، " أثيناغوارس: القيامة. خلفيّة ولاهوت رسالة من القرن الثاني عن القيامة"، *Theologica Studia* ٣٠، ١٩٧٦، ١-٤٢، ولاسيّما ١٠؛ هـ. تشادويك، "أوريجانوس، سيلسوس، وقيامة الجسد"، **نشرة هارفرد اللاهوتية** ٤١، ١٩٤٨، ٨٩. يُنظر أيضا للحيوانات البرية واستنزاف السّلسلة، سـ. و. بينوم، **قيامة الجسد** (نيويورك، ١٩٩٥)، ٣٢-٣٣، ٤٢-٤٣، ٥٥-٥٦، ٦١، ٦٣، ٧٥، ٨٠.

[٢] أثيناغوارس، **القيامة**، ٣، ١؛ راجع يوستينوس الشّهيد، **الاعتذار الأول**، ١٩؛ ثاوفيلوس الأنطاكي، *Ad Autolycum*، ١، ٨. ينظر لليهود، **التلمود البابلي** (يُشار إليه فيما بعد باختصار **ت. ب.**)، السّنهدرين ٩١أ: "إذا كانَ الله قادراً على خلق العالم من ماء [أي. نطفة]، هو بالتأكيد قادر على إحياء النّاس من الطّين".

[٣] *Oratio* ٦، استشهد بها في بارنارد، " أثيناغوارس"، ٢١.

[٤] ثيودوريطس، **عن العناية الإلهيّة**، ترجمة. ت. هالتون (نيويورك، ١٩٨٨)، ٩: ٣٥، ٣٧.

لقد كانوا مثلَ المسيحيّين، حيثُ ناشدوا حقيقةَ أنَّ الله قد خلقَ الأجسادَ في المقام الأول، قالوا في كثيرٍ من الأحيان[1] إنّ إصلاحَ شيءٍ أسهلُ من بنائِه مُجدَّداً. ويفترضُ أنَّهم قد التقطوا الحجّة من المَسيحيّين. ويُقالُ إنَّ الكاثوليكوس المسيحيّ باباي قالَ للملك السّاسانيّ جاماسپ (٤٩٦-٤٩٨): "إذا كنتَ لا تُصدِّق ما أقولُ، فتأمّلْ في أنَّ الإنسانَ خُلِقَ أولاً من قطرة ..."، ويُفترَض هنا عدمُ الاعتقاد القيامة الجسديّة.[2] وبالمُقارَنة مع الرّسول أيضاً، نجدُ أنّ الخلقَ ثبَّت القيامة **(راجع سورة النّحل، الآية ٥١؛ سورة يس، الآية ٧٧؛ سورة الطّارق، الآيتان، ٥ و ٦)**. كما يقول الله في القرآن: **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ" (سورة الأنبياء، الآية ٥).**

يوجَدُ أمران واضحان ممَّا سبَق. أولاً، على الرَّغم من أنَّ خصوم الرّسول قد يكونونَ وثنيّين، لكنَّهم لم يكونوا وثنيّين من نوعٍ معزولٍ حتّى هذه اللّحظة،

---

[1] *Anthologie de Zādspram*، تحرير وترجمة. البروفيسور جينيو وأحمد تفضلي (باريس، ١٩٩٣)، ٣٤، ٣ والصفحات التالية؛ راجع ماتيو موليه، *Culte، mythe et cosmologie dans l'Iran ancien* (باريس، ١٩٦٣)، ١١٣ والصفحات التالية (مع نصّ وترجمة العديد من المقاطع)؛ س. شيكد، الثنائيَّة في التحوُّل (لندن، ١٩٩٤)، ٣٣، مع المزيد من المراجع. بالنسبة للسياق، ينظر باتريشيا كرونة، The Nativist Prophets of Early Islamic Iran: Rural Revolt and Local Zoroastrianism (كامبريدج، ٢٠١٢)، الفصل ١٥.

[2] أ. شير (تحرير وترجمة)، "Histoire Nestorienne"، الجزء ٢/١، في *Patrologia Orientalis*، محرّر. ر. غرافين و ف. ناو، ٧ (باريس، ١٩١١)، ١٣٠.

حيثُ أصبحوا عرضةً الآن لمذهبِ القيامة للمرَّة الأولى. ويعتبرُ عدم وجود الحياة الآخرة لهم عقيدةً مُترابِطة كلّياً، وليسَت مُجرَّدَ افتراضٍ موروثٍ لم يكن بحاجةٍ للدّفاع في السّابق؛ لا يمكن لهذا التحوُّل أن يكونَ بسبب الرّسول نفسه، لأنَّه لا يزالُ يواجهُ صعوبةً في الحصول على فرصةٍ للإدلاء بوجهة نظره في هذه السوَر. ومثل الرّسول، يستفيدُ خصومُه من ذخيرةٍ جدليّةٍ بناها المُشارِكون في النّقاش حولَ القيامة خارج شبه الجزيرة. بعبارةٍ أخرى، يساهمُ الجانبان في نقاش كانَ قد استمرَّ آنذاك لمدَّة طويلة في الشرق الأدنى. وربَّما يكونُ مُعظَمُ الإسلاميّين في تصوُّرٍ بأنَّ بابَ المُناقَشة في المَسألة مُغلَق بانتصارِ المسيحيَّة، وبالتالي يجبُ أن يكونَ مُنكرو الحياة الآخرة في القرآن أشخاصاً هامشيّين مُنقطِعين عن التطوُّرات في العالم الأوسع. إلّا أنَّ مُنكرِي القيامة، والحياة الآخرة إجمالاً، لم يختفوا في الشَّرق الأدنى قطّ، على الرَّغم من تقلُّص أعدادهم بالتأكيد. في الواقع، كانوا مثلَ الوثنيّين، حيثُ أصبحوا نادرينَ خارج الجزيرة العربيّة. لكن كما سيتَّضحُ، لقد عاشوا كمُشكّكين ومُنكَرين في صفوف المسيحيّين واليهود والزّرادشتيّين.

ثانياً، لم يكن خصومُ الرّسول موحَّدين فحسب، بل أيضاً مؤمنين في الإله نفسِه مثلَ الرّسول، إله المُعتقدات التوراتيّة.[١] لقد انتقلوا إلى طرح السّؤال ما إذا كان الرّسول ينسبُ ادّعاءاتٍ كاذبةً إلى الله بطريقةٍ غير صحيحة (أو، كما نقولُ، عمداً) أو كانَت مُجرَّدَ مُعاناةٍ من مسٍّ شيطانيٍّ (**"أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ"، سورة سبأ، الآية ٨؛ وبالمثل يرى المُتشدِّدون في الأمّة السابقة في سورة المؤمنين، الآية ٣٨؛ راجع أيضاً سورة الشورة، الآية ٢٤)**: لم يتمكَّنوا من العثور

[١] راجع كرونة، "الله والآلهة الأدنى".

على ادّعاءات الرّسول حولَ القيامة المُهينة لإلههم، ناهيكَ عن اتّهامهم للرَّسول بافتراءِ الباطل على هذا الإله، إذا لم يكن يتحدَّث حولَ الله نفسه.

وكثيراً ما يتَّهمُ الرّسول خصومه بدورهم في الافتراء على اللَّه، ويعني ذلك أنَّه اعترفَ أيضاً بإلههم على أنَّه إلهه.[1] وقد يُقالُ ضدَّ هذا المُنطلَق إنَّ موسى يتَّهمُ فرعون ومشعوذيه بالافتراء على الله في الآية ٦١ من سورة طه، كما في قوله: {**قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**}، على الرَّغم من توضيح فرعون في أماكن أخرى أنَّه لا يؤمنُ بإله موسى: يعرف نفسه بأنَّه الإله الواحد والوحيد **(سورة الشعراء، الآيات ٢٣-٢٩؛ سورة القصص، ٣٨؛ سورة النازعات، ٢٤؛ راجع سورة طه، ٤٩).** لكن تمثيل فرعون كمتألّهٍ ذاتي (مُتجذِّر في الرّوايات الحاخاميّة)[2] يتصاحبُ مع تمثيل فرعون كمُشرِك ينسبُ شركاءَ إلى الله: ومن ثمَّ سألَ رجلٌ مؤمِنٌ من آلِ فرعون شعبَه: **"تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ"؟ (سورة غافر، الآيات ٣٨ و٤٢ و٤٥)**؛ وأيضاً في قوله: **"وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ" (سورة الأنعام، الآية١٢٧).**

لا يوجدُ تناقُضٌ في الواقع بينَ العرض الأول والثاني من وجهة نظرٍ قرآنيَّة، لأنَّ عرضَ التأليه الذَّاتي لفرعونَ يكمنُ في ارتقاء منطقِه إلى درجةٍ أعلى من المنطق والرَّغبات البشريَّة لحالةٍ أكثرَ سلطويَّة من كلمات الله؛ يُتهَم خصومُ الرّسول أيضاً بتأليه ميولهم من دونِ مسوِّغ (**"أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ" سورة**

---

[1] راجع كرونة، "الله والآلهة الأدنى"، ١٥٣-١٥٤، مع البراهين.

[2] راجع هـ. سبير، *Die biblischen Erzählungen im Qoran* (غرفنهاينيشن، غير مؤرخ [أرخت المقدمة عام ١٩٣١])، ٢٦٨-٢٦٩.

الفرقان، ٤٣؛ سورة الجاثية، ٢٣)؛ ويوجّه مقطعٌ من السوَر المدنيّة تهمةً لليهود والمسيحيّين بتأليه حاخاماتهم ورهبانهم، كما في قوله: {**اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (سورة التوبة، الآية ٣١؛ قارن مع سورة آل عمران، الآية ٦٤)**. وجملة القول، إنَّ أيَّ شيءٍ يسمح بتجاوُز كلمات الله (كما يفهمها الرّسول) فهو إلهٌ كاذب.[1] ولهذا السَّبب كانَ فرعون مُتألِهاً ذاتيّاً ومُشرِكاً على حدٍّ سواء.

إنَّ خصومَ الرّسول لا يتفاعلونَ أبداً مع الاتّهامات بالافتراء أو العلامات الأخرى للكفر عندَما يحدِّدُ الرّسول هويّة الله كإلهِ إبراهيمَ أو موسى أو يسوعَ، أو عندَما يُخبرُ القصصَ التوراتيَّة أو شبهَ التوراتيّة عنه، ولا يهاجِم الرّسولُ أو ينأى بنفسِه عن إلهِ المُشرِكين، إلاّ من الشّركاء الذين ينسبونَهم إليه. لكن يمكنُ قراءة سورة الكافرون ١٠٩ كاستثناء. و يعلنُ هنا، كما في قوله: **"لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ؛ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ، وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ"**. لقد كانَ من المُفترَض أن تكونَ الكائناتُ الأدنى هي الموضوعات المُتنازَع عليها في العبادة، كما قالت عاد لهود: **"قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ"؟ (سورو الأعراف، الآية ٧٠)**، مؤكِّداً أنَّه لم يكن هناكَ خلافاً حولَ الله، بل حولَ الشُّركاء فقط.

---

[1] ف. كوميرو، "Esdras est-il le fils de Dieu?"، *Arabica* ٥٢، ٢٠٠٥، ١٧٠؛ راجع أيضاً هوتنج، **الوثنية**، ٥١.

مثلهم مثل الرّسول، إذ آمنَ المُشرِكون بإلهِ إبراهيمَ وموسى ويسوعَ. ومع ذلك حتَى نتخيلَهم، يجب أن يكونوا قد تعرَّضوا لنوعٍ من اليهوديّة و / أو المسيحيّة لمُدَّةٍ طويلةٍ قبلَ اختلافِهم في الرَّأي معَ الرّسول، لأنَّه من الصَّعب عليهم التمكُّنَ من ربط الله التوراتيّ معَ آلهةٍ / ملائكةٍ أدنى من أصلٍ محلّيٍّ مثل اللَّات ومَنَاة والعُزّى في غضون جيلٍ واحدٍ. ومثل المُسلِمينَ أيضاً، ربَّما كانوا قد اعتادوا الصَّلاة لأجل المَغفرَة عن خطاياهم (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي...، كما يصرّحُ في كمّيّة كبيرة من النّقوش العربيّة المُبكِّرة ورسومات الجدران)،[1] ويفسّرُ القرآن ذلك، كما في قوله: **"وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ" (سورة الأنفال، الآية ٣٣)**. على ما يبدو، كانَ الرّسول حاضِراً فيما بينَهم، مُترافِقاً معَ صلواتهم للمَغفرة، وهذا ما قدَّمَ لهم الحمايةَ لمُدّة طويلة. يصطدمُ هذا التفسير بمُشكلة أنَّ الرّسول يخبرُ جمهورَه في مكانٍ آخرَ أن يطلبوا الغفرانَ والتّوبة **(سورة هود، الآية ٣)**، وفي أنَّه يقدّم أسلافَه المُرسَلين إلى الأمم التي اختفَت على أنَّهم يطلبونَ الأمر نفسه **(سورة هود، الآيات ٥٢، ٦١، ٩٠ ؛ سورة النمل، ٤٦)**، ممَّا يشيرُ إلى أنَّه لا يصوّر صلاةَ المغفِرة كجزءٍ من ذخيرةٍ دينيّةٍ لخصومِه. وإذا كانَ الأمرُ كذلك، فإنَّ الحَلَّ الوحيدَ هو اتّخاذ عبارة **"وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ"** للإشارة إلى احتمالٍ في المُستقبَل: لن يعذّب الله الكفَّارَ وهم يستغفرونَ.[2] لكن لا بدَّ من القول إنَّ هذا ليسَ ما تشيرُ إليه الجملةُ الواقعة محلَّ حال عادة. ومن الجدير بالذّكر تضمن صلاة المؤمنين طلب

---

[1] راجع هويلاند، "المضمون والسّياق للمخطوطات العربيّة المُبكّرة"، **دراسات القدس في اللّغة العربيّة والإسلام** ٢١، ١٩٩٧، ٧٩-٨٠.

[2] يعتقدُ عددٌ من المُفسّرين بإمكانيّة إشارة الله إلى المُسلمين بينَ الكفّار (راجع سورة الفتح، الآية ٢٥)، لكن المقطع يقول: "وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ"، ولا يقولُ: "كان بينَهم قومٌ وهم يَستغفِرونَ".

المغفرة لمن يدعون بالمُشرِكين، لأنَّ إبراهيمَ يصوّرُ وكأنَّه يصلي لأجل المَغفرة لنفسه، ولأبيه الوثني وللمؤمنين **(سورة إبراهيم، الآية ٤١؛ سورة الشعراء، الآية ٨٦)**، في حين تحظر سورةٌ مدنيةٌ النبيَّ والمؤمنينَ عن الصّلاة استغفاراً للمُشركين حتّى ولو كانوا من الأقارب: **{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ؛ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}(سورة التوبة، الآيتان ١١٣ و١١٤)**. ويميزُ القرآن المُشرِكين كقوم الرّسول نفسِه، كما في قوله: **{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} (سورة الزخرف، الآية ٥٧)**. يمكنُ الاستنتاج أنّهم والرّسول على حدٍّ سواء نشؤوا كأعضاء في جماعةٍ دينيّة مُتَّصفة بمُعتقداتٍ مُستمدَّة من المُعتقَدات التّوراتيّة أو شبه التوراتيّة: لقد كانَ انفصالُه أيضاً عن أقربائه فقط عندما أصبحَ وعدُ الله واضحاً للرّسول.

(أ) الأسلافُ الصّالحون

تشيرُ مقاطعُ أخرى أيضاً إلى أنَّ مُجتمعَ التوحيد أشادَ بالرّسول وقومه الكفَّار. وفي استعراضٍ للأسباب التي قد تكونُ لدى الكفَّار لرفضِهم رسالةَ الرّسول، كما في قول الله: **{أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ}؟ (سورة المؤمنون، الآية ٦٨)**. وغاية الله هي أنَّ الكفَّارَ لم يسمعوا أيَّ شيء من الرّسول يحيد عما سمعه أسلافهم. و وجد عدد من المُفسِّرين صعوبة في قبول هذا الأمر. وفقاً لهم، يمكن فهم ("أَمْ") في الآية السابقة بمعنى "بل"،

مما يؤدي إلى تأكيد من الله بأن ما جاء إلى الكفَّار كان جديداً حقاً.[١] لكن قائمة الأسئلة لا تزال مستمرة مع "أَمْ" نفسها، كما في قوله: "أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ... أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ... وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ... أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا" (سورة المؤمنون، الآيات ٦٩ – ٧٢). حيثُ نجدُ أنَّ جميعَ الأسئلة هي عبارة عن معاذير باطلة للكفَّار. والقصدُ من القائمة تجريمُهم، وليست تفسيراً للسبب وراءَ صعوبة الإيمان بالنّسبة لهم، كما يختتمُ بقوله: **"وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ" (سورة المؤمنون، الآية ٧٤)**. والمعنى هو أنَّ الرّسول ما جاءَهم بأيّ شيءٍ مُغايرٍ لما جاءَهم به أسلافُهم السَّابقون. وكما يُفسّر مُقاتِل، فإنَّ الإنذار قد جاءَ لآباء المكيّين وأَسْلافهم الأوّلين.[٢] أمَّا النقطةُ ذاتُ الأهمّية هنا فهي تصويرُ الأسلاف على أنَّهم يؤمنونَ بهذا الإنذار: لأنَّهم إذا رفضوا ذلك أيضاً، فلن يكونَ هناك فائدةٌ في التذرُّع بهم لإضفاء الشّرعية هنا على رسالة الرّسول. ويمكن لعبارة **"آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ"** أن تعني إبراهيم وذريَّته،[٣] أو يمكنُ أن يكونوا أسلافاً مُصوَّرين كأتباعٍ لدينِ إبراهيمَ. وفي كلتا الحالتَين، كانَ يجبُ على خصومِ الرّسول تميّزهم كآبائهم، إذ لم يكُنْ هناك من فائدةٍ كبيرةٍ في تقديمهم. وينصُّ المقطع على أنَّ ما وعظَ به الرّسولُ كان دينَ الأجداد، ووفقاً

---

[١] يُنظَر تفسير الطبري، (الجزء الثامن عشر، ٤١)، يُنسب إلى ابن عباس؛ **الزمخشري**، الكشاف (بيروت، غير مؤرخ)، ٣، ١٩٦.

[٢] مقاتل، **تفسير**، ٣، ١٦١؛ بالمثل الماتريدي، **تأويلات**، ١٠، ٤٧. يوجد هذا التّفسير عند الطبريّ والزمخشريّ أيضاً.

[٣] راجع الزمخشري، في **الكشاف**، ٣، ١٩٦–١٩٧، معرفاً الأسلاف على أنَّهم إسماعيلُ وعدنانُ وقحطانُ، وسردَ **حديثا** عن مضرَ وربيعةَ وآخرين كمُسلمين.

لذلك، كانَ الخصومُ على خطأٍ عندَما رفضوا ذلك الدّين. ولا يتبعُ ذلك بالطَّبع، القول بأنَّ ما وعظَ به الرّسول كانَ في الواقع ما يؤمنُ به الأجدادُ. إنَّ تقديمَ نفسِه كمُتمسّك بحقِّ الموروث الذي انحرفَ عنه الخصومُ هو حيلةٌ جدليّة معروفة، ولكن لا يمكنُ للمرء أن يستخدمَ تلك الحيلةُ إلاّ عندَما يكونُ هناك تداخلٌ حقيقيٌّ بينَ مُعتقَداتِ الأجدادِ والوعظِ الجديد، على سبيل المثال عندَما يكونُ كلا الجانبَين مُدّعياً لموروث الأجداد نفسِه. ويمكنُ للمسيحيّين أن يدَّعوا باعتقادِ الوثنيّين الإغريق في الحياة بعدَ الموت وفقاً لأفلاطون وفيثاغورس،[1] لكنَّهم لم يتمكَّنوا من تقديم تعاليمهم بما يناسب المعنى الحقيقيّ للمُعتقدات الفلسفيَّة، إلاّ بالمعنى الحقيقيّ لِما بشَّرَ به أنبياءُ اليهود. وإذا كانَ يمكنُ للرَّسول الزَّعمُ بأنَّ لا شيءَ ممَّا قالَه قد انحرفَ عمَّا آمنَ به الأجدادُ، فيجبُ أن تتضمَّنَ مُعتقَدات الأجداد على عناصرَ ذاتِ أهمّية سمحَت له بالتلاعُب بها لصالحه. وتتيحُ لنا القراءةُ الأكثرُ وضوحاً للمقطع لمحةً موجزَةً عن المُجتمَع الدّيني المُشترَك للرَّسول وخصومه.

وينطبقُ الشّيءُ نفسه على مقطعَين اثنيَن يقبلُ فيهما الرّسولُ وجودَ المؤمِنين الصّالحين في الجيل (الأجيال) السّابق له مُباشَرة. يبشِّر في المقطع الأوّل بالجنَّة لأولئكَ الذين يقيمونَ عهد الله، ويخشون من الحساب، وما عدا ذلك يفعلون كما ينبغي، جنباً إلى جنبٍ معَ مَن صلح مِن بين آبائِهم، كما في قوله: **"جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ"(سورة الرعد، الآية ٢٣)**. وفي المقطع الآخر نجدُ قولَه: **"رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ**

---

[1] راجع نيميسيوس و ثيودوريطس في الجزء الثّاني من هذه المقالة (الكتاب الأصل).

وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (سورة غافر، الآية ٨). وتتضمَّنُ هذه المقاطع صيغاً لفظيّة لا تُظهِرُ الآباءَ في وصفِ الجنَّة، بل الأزواجَ والأبناءَ فقط **(سورة يس، الآية ٥٦؛ سورة الزخرف، الآية ٧٠؛ سورة الطور، الآية ٢١)**، وكان من الواضح وجودُ آباءٍ لا يمكنُ قبولهم. ومع ذلكَ، يجبُ أن يكونَ أولئك الّذين اعتُبروا كصالحين جزءاً من مجتمعِ التوحيد المُشترَك.

(ب) أساطيرُ قديمة

إذا كانَ المُشرِكون قد نشؤوا كمُصلِّين لله التّوراتيّ، فإنّه يوجدُ احتمالاتٌ بأنَّهم قد نشؤوا أيضاً كمؤمنينَ بالقيامة. وكما رأينا من قبل، يبدو أنَّ بعضاً منهم يؤمنُ بالقيامة، بل اعتبروا أنفسَهم على يقينٍ من خلاصهم؛ ويشكُّ البعضُ الآخر في الأمر فحسب؛ وقد يكونُ الشّكّ أكثرَ انتشاراً من الإنكار المُطلَق. لكن حتى أولئك الذين كذَّبوا القيامة على نحوٍ صريح، فمن عادتنا أن ندركَ أنَّهم لطالما كانوا على درايةٍ بهذا المُعتقَد. يقول الله: **"وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" (سورة الأنفال، الآية ٣١؛ راجع سورة القلم، الآية ١٥)**. وتضمنت الرسالة المألوفة التي رفضوها بهذه الطريقة للبعث/القيامة، كما في قوله: **" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ". وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ"؟، "لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" (سورة النمل، الآيتان ٦٧ و٦٨؛ قارن مع سورة المؤمنون، الآيتان ٨٢ و٨٣)**. لقد تساءَل كلٌّ من المُفسِّرين الأوّلين والعلماء العصريّين عن نوع الجسم المادّي الذي كان يمكنُ للمؤمنين التفكيرُ به عندما تحدَّثوا عن أساطيرَ قديمةٍ (قصص

توراتيّة وتاريخ أسطوريّ وقصص عن أبطال فُرس جُمِعَت في الحيرة؟)،[1] لكن ليس من الواضح ما إذا كان يعني التعبيرُ أيَّ شيءٍ أكثرَ خصوصيةً من حكايات عجائز (أي كلام غير دقيق ولا يستندُ إلى الحقيقة) أو لَغْو قديم:[2] يرفضون رسالة الرّسول على أنَّها "إفك قديم/كذبة قديمة"، كما تقول الآية ١١ من سورة الأحقاف: **"وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ"**.[3] وما هو مثيرٌ للاهتمام حولَ هذه المقاطع هو رفضُ خصوم الرّسول لرسالته على أنَّها لَغْوٌ قديم، وليسَت كنوعٍ جديدٍ من الوهم. ومن الواضح أنَّ الرّسول لا يصوّرُ سماعَهم بالقيامة كأنَّها المرَّة الأوّلى. بدلاً من ذلك، يصوّرُهم وكأنَّهم يتجاوبون على غرار أولئك المسيحيّين الأوائل الذين قيلَ لنا عنهم في رسالة إكليمنضس الأولى والثانية (عام ١٠٠ م) إنَّهم "مُتردِّدوا الفكر"، "الشَّاكون بقلوبهم"، القائلون: منذ أيّام آبائنا سمعْنا عن كلِّ الأشياء، وهذا نحن ننتظرُ يوماً ولا نرى شيئاً.[4]

---

[1] راجع ر. باريت، *Der Koran: Kommentar und Konkordanz* (شتوتغارت، ١٩٧٧)، ٦: ٢٥؛ ابن هشام، **السّيرة النبوية**، مُحرّر. مصطفى السقّا وآخرون، الطبعة الثانية (القاهرة، ١٩٥٥)، ١، ٣٠٠ (أحاديث رستم واسفنديار)؛ **الطبري**، الجزء ٩، ٢٣١؛ فخر الدين الرازيّ، **تفسير**، ١٥، ١٥٦.

[2] **لغة الخرافات والتّرّهات**، كما شرحَها أبو عبيدة (الطبريّ، **الجزء** ٧، ١٧١، سورة الأنعام، الآية ٢٥)؛ راجع الطبريّ نفسه، سورة الأنعام، الآية ٨٣ (**الجزء** الثامن عشر، ٤٧)، على الرغم من اعتقادِه بأنَّها تشيرُ إلى أشياءَ مكتوبةٍ في الكتب.

[3] إنَّ عبارة "خُلُقُ الأَوَّلِينَ" في سورة الشّعراء، الآية ١٣٧ تحملُ المعنى ذاتَه، كما يقولُ العديد من المُفسّرين، على الرَّغم من أنَّ آخرين اقترحوا "شيمة القدماء" (الطبريّ، في المكان المُحدَّد قيد المُناقَشة). قارِن أغناطيوس، "رسالة إلى أهل مغنيسية"، في م. و. هولمز (مُحرّر ومُترجم)، **الآباء الرسوليين** (غراند رابيدز، ١٩٩٩)، ٨، ١، حيثُ حذَّر المغنيسيين من التهويد، قائلاً لهم ألّا ينخدعوا "بأساطير القدماء" (*mytheumasin toi palaoiois*).

[4] استشهد برسالة إكليمنضس الأوّلى ٢٣، ٣؛ و إكليمنضس الثّانية ١١، ٢ (في هولمز، **الآباء الرسوليين**)، بكتابة نبويَّة مجهولة تدين مثلَ هؤلاء النّاس.

في المقاطع الإكليمنضيّة، فقدَ الأشخاصُ مُتردّدو الفكر الثّقةَ في الأمور التي سمعوها في أيام آبائهم، ولكنَّ الآباءَ أنفسَهم لم يكونوا على ما يبدو من المُشكّكين. عندَما نقلَ عن المُشرِكين قولهم: **"لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ"**، فمِن غيرِ الواضحِ ما إذا كانَ يفتقرُ كلٌّ من الأجيال أو الأبناء فحسب إلى الإيمان في القيامة. تصبحُ أبسطُ قراءةٍ أنَّ كلاً من الآباء والأبناء كانوا مُتشكِّكين، ولكن لا يوجدُ أيّ بيانٍ صريحٍ لهذا الغرض. وكثيراً ما يقولُ القرآن عن المُشرِكين إنَّ الأبناءَ يتبعونَ خطى آبائهم الضالّين، ولكن الإشارة كانت إلى الشّرك **(سورة الأنعام، الآية ١٤٨؛ سورة الأعراف، الآيات: ٧٠-٧١، ١٧٢-١٧٣؛ سورة هود، الآيات ٦٢، ٨٧، ١٠٩؛ سورة يوسف، الآية ٤٠؛ سورة غافر، الآيتان ١٠ و ١١؛ سورة النحل، الآية ٣٥؛ سورة الكهف، الآية ٥؛ سورة الفرقان الآيتان ١٧ و ١٨؛ سورة سبأ، الآية ٤٣؛ سورة الصافات، الآيتان ٦٩ و ٧٠؛ سورة الزخرف الآيات ٢٢-٢٤؛ سورة النجم، الآية ٢٣؛ راجع أيضاً سورة يونس، الآية ٧٨؛ سورة الكهف، الآيتان ٤ و ٥؛ سورة الأنبياء، الآية ٥٣؛ سورة الشعراء، الآيات ٧٠-٧٦)** والأعْراف الباطلة **(سورة البقرة، الآيات ١٦٨-١٧٠، سورة المائدة، الآيتان ١٠٣ و ١٠٤، سورة الأعراف، الآية ٢٨)**.

يحتجُّ الكافرونَ أيضاً بآبائهم الأوّلين عند رفضِهم المُرسَلين إليهم **(سورة المؤمنون، الآية ٢٤، راجع سورة يونس، الآية ٧٨؛ سورة القصص، الآية ٣٦ حول المَصريّين)** ويرفضونَ إتباع ما أنزلَ الله من وحي، كما في قوله:{ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**} **(سورة لقمان، الآية ٢١)**. لكن من المُمكِن لمقطعٍ واحدٍ فقط، يتكلَّمُ عن الأبناء السّائرين على خُطى آبائهم، أن يُفهَم كمرجعٍ

لإنكار القيامة على أساس السّياق، كما في قوله: **{إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ، فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ}** **(سورة الصافات، الآيتان ٦٩ و٧٠)**؛ نجدُ تَبايناً جديراً بالذّكر هنا، بالنّظر إلى عددِ المرَّات الّتي يتمُّ فيها تحديد الشّرك كخطأ موروثٍ من الأسلاف. إنَّ أبسطَ تفسيرٍ هو أنَّ أنصارَ الكائنات الأدنى كانوا يعتقدونَ عموماً بالقيامة ويوم الحساب والحياة الآخرة قبلَ زمنِ الرّسول؛ ولعلَّهم توقَّعوا تشفُّع الكائناتِ الأدنى لهم يومَ الحساب، نظراً لخروج الرّسول عن طريقته لإنكار تمكُّنهم أو في وسعهم التَّشفُّع لهم.[١] وإذا كانَ الأمرُ كذلك، فإنَّ إنكارَ القيامة والحياة الآخرة كانَ خطأً جديداً.

هناكَ بعضُ الكلام المعُزِّز لهذه الفرضيَّة في الوصف المُختصَر الذي يصوِّر في قوله: **{الَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ**[٢] **وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}** **(سورة الأحقاف، الآية ١٧)**. وما يلفتُ النّظر حولَ هذا المَقطَع هو أنَّ الآباءَ هم الّذين يلعبون دورَ المؤمنين، ويمثّلُ الابنَ على أنَّه مُنكِرٌ مُتغطِرسٌ للقيامة. إذا كانَ الرّسولُ قد قدَّمَ عقيدة القيامة إلى الوثنيّين الّذين كانوا يقاومونَ ضدَّ هذه العقيدة في مُعارَضة الغرباء الذين يحاولونَ تقديمَها، ينبغي أن يكونوا الجيلَ الأكبرَ سناً الذي يمثّل إنكار هذه العقيدة في حين أنّ يمثِّل الابن جيل الشباب الذين كانوا على استعداد للانفصال عن آبائهم في سبيل الحقّ. ومرّة أخرى، هذه هي الطريقة التي يتمُّ بها تقديم الأمور فيما يختصُّ بالشّرك: **"وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ**

---

[١] راجع هوتنج، **الوثنية**، ٥٢.

[٢] بالنسبة **لمخرج** بمعنى منبعث، قارِن مع سورة الأعراف، الآية ٧؛ سورة المؤمنون، الآية ٣٥؛ سورة النمل، الآية ٦٧.

عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (سورة العنكبوت، الآية٨؛ سورة لقمان، ١٥). وفيما يختصُّ بالقيامة، على النقيض من الشّرك، كانَ الآباءُ هم المؤمنون والابن هو الكافر. لقد وصفَ إنكار القيامة بأنّه عقيدةٌ جديدةٌ تدفعُ الصّغار إلى الضَّلال. وتمشّياً مع هذا، كان ذاك الذي قتلَه رفيق موسى الغامض في سورة الكهف فتىً "غلاماً"، موضِّحاً أنَّ والدَيه كانا من المؤمنين ويمكنُ أن يحزَنا لطغيانه وكفرِه لو عاشَ **(انظر سورة الكهف، الآيتَين ٧٤ و٨٠)**. كانَ ابن نوح أيضاً الذي رفضَ ركوبَ السّفينة عندَما ناداه نوحُ قائلاً: **"يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ"، حيث امتلك ثقة مفرطة في قدرته على تدبر الأمور وغرق في حينه، مما تسبب في حزن نوح (سورة هود، الآيات ٤٢ و٤٣، ٤٥)**.[1] يبدو أنَّ ظاهرةَ الآباء المؤمنين الذين لديهم أبناءٌ غيرُ مؤمنين، كانت ظاهرة معروفة في مدينة الرّسول.

بُعَيْد ذكر الأسباب التي قد تكونُ في حوزتِهم لرفضِ رسولهم في الآيات٦٨-٧٠ من سورة المؤمنين، يعلن الله أنَّ أولئكَ **"الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ" (سورة المؤمنون، الآية ٧٤)**، ويكرِّرُ القولَ بأنَّهم سيقولونَ: **"أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ"، "لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" (سورة المؤمنون، الآيتان ٨٢ و٨٣؛ قارن مع سورة النمل، الآيتان ٦٧ و٦٨)**. وقد عَقَّبَ الرّسولُ بأنَّ قولَهم ذلك

---

[1] نوقش في نيوباي، " *The drowned son: Midrash and Midrash making in Tafsīr the Qurʾān and* "، في و. م. برينر و س. د. ريكس (مُحرّرون)، **دراسات في الأحاديث اليهوديّة والإسلاميّة** (أطلنطا، ١٩٨٦)، ٢٩؛ متبوعة بكتاب د. مارشال، **الله، محمد، والكفرة** (ريتشموند، سري، ١٩٩٩)، ٩٨-٩٩. ويرى كلاهما أنَّ الواقعةَ مُعبّرة عن قلق محمَّد على أولئك الذين لم يصغوا لرسالته، لكن يتمثَّل الأخيرون بشعب نوح على نحوٍ كبير.

كانَ مثل ما قالَه الأوّلون **(سورة المؤمنون، الآية ٨١)**، وذلك على الأرجح بالإشارة إلى الأمم التي اختفَت، الذين يصوّرونَ على أنَّهم مُكذّبين للقيامة في أماكنَ أخرى في الكتاب **(سورة المؤمنون، الآيتان ٣٣ و٣٧؛ سورة الشعراء، الآية ١٣٨)**، ولا يطلعُنا شيءٌ من هذا بأيّ أمرٍ جديد. لكنَّ التتمّةَ مثيرةٌ للاهتمام. يستمرُّ المَقطعُ بطرحِ سلسلةٍ من الأسئلة التي تهدفُ إلى إبراز سخافة موقف الكافرين كما في قوله: **"قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ"، "سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ"، "قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"، "سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ"، "قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ"، "سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ" (سورة المؤمنون، الآيات ٨٤-٨٩)**. يكمنُ سخفُ موقفِ الكافرين من وجهة نظر الرّسول في حقيقة أنَّهم يؤمنونَ بالله القدير، لكنَّهم ينكرونَ القيامة: بالنّسبة للرَّسول، فإنَّ القولَ الأول يتضمَّنُ الآخرُ. ومن الواضح مرَّةً أخرى أنَّ الكافرين يؤمنونَ بالله ذاتِه كما الرّسول. ومثله، يفكّرونَ من حيثُ السَّماوات السّبع، ويصورونَ الله على أنَّه يملكُ عرشاً، وهم، أي المُشرِكون، على دراية بمصطلح "ملكوت"، وإنكارهم للقيامة باسم هذا الإله: **"وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ" (سورة النّحل، الآية ٣٨)**. باختصار، إنَّ إنكارهم موصى عليه من المُعتقدات التوراتيّة أو شبه التوراتيّة.

(ت) "الموتُ الأوّل"

الموتُ الأوّل هو ما يؤكّدُه تعبيران استثنائيّان يستخدمُهما المُشرِكون. نواجهُ أحدُها في القول: **"إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ" (سورة الدخان، الآية ٣٥)**. ويُتوقَّع منهم أن يقولوا بعدم وجود شيءٍ آخرَ سوى

حياتِهم الأولى. لكن لا يبدو أنَّ المُشكلة قد أقلقَت أوائل المُفسِّرين. إلا أنَّ الزّمخشري فسَّرَ بأنَّ الموتة تتعقبُها الحياة (بمعنى حالة عدم الوجود) مرَّتين، الموتة الأولى عندما نولَد والثانية عندَما نُبعَث: فقالوا (الكافرون) يريدونَ: ما الموتة التي من شأنِها أن يتعقبها حياة إلا الموتة الأولى دونَ الموتة الثانية.[١] يبدو الأمر بعيد المنال، ويستندُ إلى تفسيرٍ للآية ٢٨ من سورة البقرة بأنَّه من غير المُرجَّح أن يَشركَ الكافرون.[٢] تقولُ **(الآية ٢٨ من سورة البقرة): {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}**، وهنا يبدأ الناسُ بالموت فعلاً، ثمَّ يعيشونَ، ويموتونَ ويجتازونَ القيامة، لكن بالكاد تصفُ الآية دورةَ الحياة العادية. والأرجح أنَّ الإشارةَ هي بعثُ الله لبني إسرائيل الذين ماتوا عندَما سمعوه و / أو رأوه في سيناء **(سورة البقرة، الآية ٥٥ و٥٦؛ راجع سورة النساء، الآية ١٥٣)**.[٣] كما أن تفسير الزمخشري للموتة الأولى في الآية ٣٥ من سورة الدخان، لا يفسر حقيقة قول الرّسول نفسه بعد عشرين آية بأنَّ الناس في الجنَّة **"لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ" (سورة الدخان، الآية ٥٦)**. حيثُ يجبُ أن تكونَ الإشارةَ إلى الموتة التي قد ماتوها، وهذه هي الطّريقة التي يفهمُها

[١] الزمخشري، الكشّاف، ٤، ٢٧٩.

[٢] وُجد هذا التفسير للآية ٢٨ من سورة البقرة سابقاً في مقاتل (**تفسير**، ١، ص ٩٥-٩٦)، الذي لم يعتمد عليه في سورة الدخان، الآية ٣٥.

[٣] سبير، *Biblischen Erzählungen*، ٢٩٨-٢٩٩؛ باتريشيا كرونة، "الملائكة في مواجهة البشر بوصفهم رسل الله"، في ب. تاونسيند و م. فيداس (محررون)، **الوحي، الأدب، والمجتمع في العصور القديمة المتأخرة** (توبينغن، ٢٠١١) [الطبعة: مُدرجة كمقالة رابعة في هذا المجلد (الكتاب الأصل)]، ٣٢٩، مع مزيد من المراجع.

الزَّمخشري وآخرون.[١] بعبارة أخرى، فإنَّ وفاتنا هنا على الأرض هي الموت الأول وليس الثاني.

إذاً ما هو الموت الثاني؟ لا يُستخدَم هذا التَّعبير في القرآن، وهذا هو سبب حيرة المُفسِّرين في "الموت الأول": لقد فهموا جيداً ما يعنيه الكفَّار، ولكنّهم لم يفهموا كيف كانوا يقولون ذلك. تظهرُ فكرةُ الموت الثّاني في الأدب قبلَ ظهور الإسلام بمعنيَين مُختلِفَين تماماً، وكلاهما يشيرُ إلى مصير الرّوح بعد الموت. وفي عمل بلوتارخُس "على وجه القمر"، يوجدُ موتةٌ تفصلُ الروح عن الجسم، وموتةٌ أخرى تفصل العقل عن الرّوح. في الموت الثاني (مرّة أخرى، التّعبير لا يُستخدَمُ في الواقع) تُترَكُ الرّوحُ على سطح القمر، حيثُ تذوبُ في نهاية المطاف، في حين يرحلُ الجزءُ النبيلُ، العقلُ، إلى الشّمس: أما الموتُ الثّاني فهو التحرُّر النّهائيّ.[٢] وعلى النقيض من ذلك في الكتابات اليهوديّة والمسيحيّة والمندائيّة والمانويّة، فإنَّ الموتَ الثّاني هو الهلاكُ النهائيّ. ويرِدُ التّعبير أربعَ مرَّاتٍ في سِفر الرُّؤيا (رؤيا يوحنّا)، حيثُ يُقال لنا، من بين أمورٍ أخرى، أنّ **"مَنْ يَغْلِبُ فَلاَ يُؤْذِيهِ المَوْتُ الثَّانِي"، "أَمَّا الجُبَناءُ وَغَيرُ المُؤْمِنِينَ وَالفاسِدُونَ وَالقاتِلُونَ وَالزُّناةُ وَالسَّحَرَةُ وَعَبَدَةُ الأوثانِ وَكُلُّ الكاذِبِينَ، فَسَيَكونُ مَصيرُهُمْ فِي**

---

[١] الزمخشريّ، **الكشّاف**، ٤، ٢٨٣؛ الرازي، **تفسير**، ٢٦، ٢٥٤. وبالمثل، مفسّرون سابقون مثل مقاتل، **تفسير**، ٣، ٨٢٦؛ الماتريديّ، **تأويلات**، ١٣، ٣١٥-٣١٦.

[٢] بلوتارخُس، "عن الوجه الذي يظهرُ على سطح القمر" (*موراليا*، مُحرَّر ومترجم. هـ. تشيرنيس و و. س. هيمبولد، ١٢، كامبريدج، ماساتشوستس، ولندن، ١٩٥٧)، a٩٤٣، e٩٤٤ والصّفحات التالية.

البُحَيرَةِ المُتَّقِدَةِ بِالكِبرِيتِ المُشتَعِلِ. ذَلِكَ هُوَ المَوتُ الثَّانِي".[١] والتّعبيرُ شائعٌ جداً في الترجومات الترجمات التفسيريّة القديمة لأجزاء من العهد القديم إلى اللغة الآراميّة. ويعني هنا في بعض الأحيان الاستبعاد من الحياة الآخرة ("يموتونَ الموتَ الثاني ولا يعيشونَ في الدّار الآخرة")، وهو معنىً موجودٌ أيضاً في فصول الحاخام إليعازر المكتوبةِ ما بعدَ ظهور القرآن (في وقت كان فيه الإسلام سائداً).[٢] لكن في أوقاتٍ أخرى يموتُ القومُ الفاسقونَ في العالم الآتي موتَهم الثاني، ويُعرِّفُ الترجوم بالقياس مع سِفر إشعياء الموتِ الثاني كجهنَّم "نَارٌ مُتَّقِدَةٌ كُلَّ النَّهَارِ"، كما هي الحال في سِفر رؤيا يوحنَّا.[٣] ونجدُه بمعنى العذاب الأبديّ (اللّعنة أو الخطيئة المُميتة الأبديّة) في اثنين من الإكليمنضيّات الزّائِفة المُؤلَّفة باليونانيّة أصلاً، لكنَّ المحفوظة بالإثيوبيَّة فقط: في أحدها، ينكرُ الرجالُ السُّخفاء بأنَّهم سيحصلون على موتٍ ثانٍ، ليس لأنَّهم يُنكرون وجودَ حياةٍ بعدَ الموت، بل لأنَّهم يعتقدونَ بأنَّه كُتِبَ عليهم الخلود.[٤]

---

[١] سفر رؤيا يوحنّا ٢: ١١، ٢١: ١٨[يوجد خطأ في تحرير رقم الآية في الكتاب الأصل حيثُ يجبُ أن يكونَ الرقم ٢١:٨]؛ راجع ٢٠: ٦، ١٤. أتوجَّه بالشكر إلى كارولين بينوم لتوجيهي إلى هذا المصدر.

[٢] فصولُ الحاخام إليعازر *Pirqe de Rabbi Eliezer*، مترجَم. ج. فريدلاندر (لندن و نيويورك، ١٩١٦)، ٢٥٢ (الفصل ٣٤).

[٣] م. مكنمارا، **العهد الجديد والترجوم الفلسطينيّ لأسفار موسى الخمسة** (روما، ١٩٦٦)، ١١٧-١٢٥، مع تفاصيل كاملة؛ ب. م. بوغارت، "La 'seconde mort' à l'époque des Tannaim"، في أ. ثيودوريدس، ب. ناستر وج. رايس (محررون)، *Vie et survie dans les civilisations orientales* (لوفان،١٩٨٣)، ١٩٩-٢٠٧.

[٤] س. غريبوت في "Le mystère du jugement des pécheurs"، "Littérature éthiopienne pseudo-Clémentine"، *Revue de l'Orient Chrétien* ١٢ (NS 2)، ١٩٠٧، ٣٩١؛ نوَّهَ إليه أيضاً في توماس ج. أوشانيسي، **أفكار مُحمّد عن الموت: دراسة موضوعيَّة للحقائق القرآنيّة** (لايدن، ١٩٦٩)، ٢٥. (أتوجَّه بشكري لناقدٍ أدبيٍّ مجهول للفت انتباهي إلى كتاب أوشانيسي).

وفي العمل الثاني يتحدَّثُ بطرس كثيراً عن خوفه من "الموت الثاني"[1]. وقد نُقِلَ التَّعبير إلى السّريانيّة أيضاً، ربَّما من خلال الترجومات، كما يشهدُ على ذلك جيداً قبل أن يتاحَ سِفر الرُّؤيا بتلك اللغة. لقد قالَ شهيدٌ مسيحيٌّ (توفي نحو عام ٣٠٦) للحاكم الذي يتولَّى قضيته: "نموتُ باسم يسوعَ مُخلِّصنا، حتى يتسنّى لنا أن نتحرَّرَ من الموت الثّاني، المُستمِرّ إلى الأبد". ويُعرِّف أفراهاط وإفرام الموت الثّاني كدينونةٍ لجهنّم في "يوم الدّين" النهائيّ،[2] وهذا هو ما

---

[1] "Christ et la resurrection des morts La seconde venue du"، مترجم. س. غريبوت في "pseudo-Clémentine éthiopienne Littérature"، *Revue de l'Orient Chrétien* ١٥ (NS ٥)، ١٩١٠، ٣٢٠-٣٢١؛ ذُكر جزئيّاً في أوشانيسي، **أفكار محمَّد عن الموت**، ٢٥. إنَّ كتاب الإكليمنضيات الزّائفة هذا هو نصّ يتضمَّن سِفرَ رؤيا بطرس الكامل، الذي تمَّ تأليفه قبل عام ١٥٠ وقد حوفِظَ عليه على نحوٍ جزئيّ باللغة اليونانيّة؛ لكنَّ المقاطع التي تتحدَّث عن الموت الثاني كُتِبَت بعدَ سفر الرّؤيا. كتابُ الإكليمنضيات الزّائفة ليس معروفاً في مكانٍ آخر؛ فتاريخُ تأليفه غيرُ مؤكَّد، وكذلك تاريخ ترجمته إلى اللغة الأثيوبيَّة؛ ومن غير المعروف ما إذا تمَّت التَرجمة من اللّغة اليونانيّة مُباشَرةً أو عن طريق وسطاء (وهكذا م. بيستي، "يَارَبُّ، فِي ٱلسَّمَاوَاتِ رَحْمَتُكَ. أَمَانَتُكَ إِلَى ٱلْغَمَامِ"، في جان ن. بريمر و I. Czachesz (محرّرون)، **سفر رؤيا بطرس** (لوفان، ٢٠٠٣)، ٤٢؛ وعلى نحوٍ مُختلِف، أوشانيسي، **أفكار محمَّد عن الموت**، ٢٤، حيثُ يُعتقَد أنَّ كتابا الإكليمنضيات الزّائفة كلاهما عبارة عن ترجمات أثيوبيّة من القرن الثامن لعملٍ باللغة العربيّة يستند إلى أصلٍ يونانيّ من القرن الثالث لسفرِ رؤيا بطرس). ربَّما أُرِّخت إحدى المخطوطات على أنّها من القرن الخامسَ عشرَ أو السّادسَ عشرَ، والأخرة من القرن الثّامنَ عشرَ (د. د. بوخولز (محرر ومترجم)، **ستُفتح عينيك: دراسة عن سفر رؤيا بطرس (باللغة الأثيوبيّة) باللّغة اليونانيّة** (أطلنطا، ١٩٨٨)، ١٢٩، ١٣٤). ينظرُ لمصير الخطاة في هذا العمل، بيستي، "رَحْمَتُكَ"، د. إيلاريا راميلي، "أوريجانوس، برديصان، وأصل الخلاص العالمي"، **نشرة هارفرد اللاهوتية** ١٠٢، ٢٠٠٩، ١٤٠، ١٤٣-١٤٤.

[2] سيباستيان بروك، "الرّوايات اليهوديّة في المصادر السّريانيّة"، **مجلّة الدّراسات اليهوديّة** ٣٠، ١٩٧٩، ٢٢٠-٢٢١؛ أفراهاط، **البراهين**، مُحرّر ومُترجَم (اللّغة اللاتينيّة) ج. باريسوت في *Patrologia Syriaca*، مُحرّر. ر. غريفن، ١/١ (باريس، ١٨٩٤)؛ مُترجَم (اللّغة الإنكليزيّة) كرياكوس فالافانوليكال، كيرلا، ٢٠٠٥، الأرقام ٧، ٢٥؛ ٨، ١٩؛ ٢٢، ١٥.

يعنيه أيضاً في عرف المندائيّة والمانويّة[1]. ولا يبدو أنَّ تعبيرَ "الموت الأوّل" مؤكَّداً في السّريانيّة أو الآراميّة، لكنَّه يظهرُ في كتابات القدّيس أغسطينوس،[2] و أيقومونيوس في القرن السّادس، الذي يُلحَظُ في تعليقه على سفر الرَّؤيا بأنَّ الموتة الأوّلى جسديّة في حين أنَّ الثّانية روحيّة، وفي الإكليمنضيات الزّائفة باللّغة الإثيوبيّة: يموت الخطاة ،" وهو موتُهم الأوّل" كما قيلَ لنا؛ سيموتونَ الموت الثاني بعدَ القيامة.[3] وتفسّر تراتيل "Kephalaia الكفالايا " أو "الفصول" المانويّة (٤٠٠ م) على نحوٍ مُماثل بوجود حالتَين من الموت، الأوّل مؤقَّت، في حين أنّ الثاني هو "الموت الذي تموتُ فيه نفوسُ الرجال الخاطئين"، وهو موتٌ أبديّ.[4] لقد فهمَ الكافرون في القرآن الموتَ الأوّل والثّاني بالطريقة نفسِها. وقصدُهم عندما يقولونَ: "إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى" هو أنَّهم

---

[1] ك. رودولف، **غنوسيس** [المعرفة الروحيّة]: **تاريخ وطبيعة الغنوصيّة** (أدنبره، ١٩٨٣)، ٣٥٩، أدناه، الملحوظة ٤١.

[2] أوغسطينوس، **مدينة الإله** (*De Civitate Dei*)، ٢١. ٣. ١، اقتبس عنه في أوشانيسي، **أفكار محمد عن الموت**، ١٦.

[3] أيقومونيوس، **تفسير لسفر الرّؤيا**، ترجمة. جون ن. سوجيت (واشنطن، ٢٠٠٦)، ١١: ١٤، ١٧٤؛ غريبوت (ترجمة)، " seconde venue du Christ La"، ٣٢٠. وحولَ الموت الأوّل والثاني، لقد استخدمَ كلا المُصطلَحَين مرَّاتٍ عديدةً في *Liber Requiei*، وهي رواية عن موتِ العذراء يرجعُ تاريخُها إلى القرن الخامس وحُفِظت كاملة باللغة الأثيوبيّة فقط، على الرّغم من أن أجزاءً سريانيّة وجورجيّة موجودةٌ أيضاً. لقد وُجِدت التّعبيرات في النّسخة الاثيوبيَّة فقط، حيثُ إنَّ بطرس شخصيَّة رئيسة فيها كما في الإكليمنضيات المزيَّفة الأثيوبيَّة. ينظر الترجمة في س. شوماكر، **روايات القديمة عن رقاد وصعود العذراء مريم** (أوكسفورد، ٢٠٠٢)، ٣٢١ (الفقرات ٥٦، ٥٧).

[4] إيان غاردنر وصموئيل ن. س. ليو، **نصوص مانويّة من الإمبراطوريّة الرومانيّة** (كامبريدج، ٢٠٠٤)، ٢٠٢ والصّفحات التالية؛ راجع فيرنر زوندرمان في *Iranica Encyclopaedia*، المدخل. "الإسخاتولوجيا (علم الأخرويات)"، ٥٧٢.

لن يذهبوا إلى الجحيم لأنَّهم لن يبعثوا: ليس هناك شيءٌ مثل موتٍ ثانٍ أو جحيمٍ وعذابٍ أبديّ.[1]

وهذا ما أكّدته **(الآية ١١ من سورة غافر)**، حيثُ يقولُ الكفَّار في الجحيم لله بأنَّهم يدركونَ ذلك الآن، كما في قوله: **"قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ"**، وهم يعانون الآنَ من الموت الثاني في شكل عذابِ جهنَّم الأبديّ التي كانوا ينكرونها. ويعتقدُ هنا بعض المُفسِّرين بأنَّ الموتَ الثاني هو عذاب القبر، في حين تراجَعَ البعضُ الآخر عن تفسير الآية٢٨ من السّورة المدنيّة (سورة البقرة) التي واجهناها سابقاً.[2] لكنْ في قصّة المؤمِن في الجنَّة الذي رأى صديقَه يعاني في الجحيم نتيجةَ التّشكيك أو إنكار القيامة، يعلّق المؤمِن و / أو غيره من سكَّان الجنَّة أو الرّسول: **"أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ، إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ" (سورة الصافات، الآيتان ٥٨ و٥٩)**. مرَّة أخرى، إنَّ الموتَ الأوّل هو بوضوحِ الموت الذي نعاني منه في نهايةِ حياتنا، ويعاني الصّديقُ الخاسِر من الموت الثاني في الجحيم الذي أنكرَه

[1] كانَ معنى الموت الأوّل والثّاني واضحاً في ف. روده لف، *Die Abhängigkeit des Qorans von Judentum und Christentum* (شتوتغارت، ١٩٢٢)، ١٤؛ ك. أهرنس، "Christliches im Qoran"، *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* ٨٤، ١٩٣٠، ٥٣؛ ك. أهرنس، "Christliches im Qoran. Eine Nachlese"، *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* ٨٤، ١٩٣٠، ١٧١؛ وأوشانيسي، **أفكار محمّد عن الموت**، ١٤–١٥؛ لكن لم يُعر أيّاً منهم انتباهاً إلى أنَّ المُتكلّمين هم **مُشرِكون**.

[2] مقاتل، **تفسير**، ٣، ٧٠٧؛ الطّبري، **الجزء** ١٤، ٤٧–٤٨؛ الماتريدي، **تأويلات**، ١٣، ٢٠١؛ الرّازي، **تفسير**، ٢٧، ٣٩، والتّفسير الأخير مع نسخة مُختلفة عن الموت قبلَ الحياة، وكذلك الحلُّ الأبسط الذي يُفضِّله البعض: "هذا كلام الكفّار فلا يكونُ فيه حجّة".

الكافرون. وبجملة القول، إنَّ مفهومَ العذاب الأبدي كما الموت الثّاني يقدّمُ معنىً من غير جهدٍ لجميع المقاطع التي يظهرُ فيها تعبيرُ "الموت الأول".

وبوسعنا أن نفترِضَ دراية المُشرِكين بتعبير "الموت الأوّل" و"الموت الثّاني" لأنّهم تعلموها كجزءٍ من المفردات الدّينيّة للمُجتمع الذي نشؤوا فيه. إنَّهم ينكرونَ القيامة والعذاب الأبديّ في اللغة التي تُدرَسُ بها هذه المذاهب لهم، والتي استمرّ المُقرَّبون منهم، على نحوٍ مُحتمَل، في التحدُّث بها عنهم. ومن المؤكَّد أنَّهم ليسوا مَدينين بإلمامهم هذه التَّعبيرات للرّسول، لأنّ الرّسول يكادُ لا يتحدَّثُ عن "الموت الأوّل"، ولا يستخدمُ تعبيرَ "الموت الثّاني". ومن بين المقاطع الأربعة التي تظهرُ فيها عبارة "الموت الأوّل"، وُضِعَت اثنتان منها في أفواه الكافرين **(سورة غافر، الآية ١١؛ سورة الدخان، الآية ٥٣)**، في حين تظهر عبارة واحدة لتحويل كلماتهم ضدهم **(سورة الصافات، الآيتان ٥٨ و٥٩)**. وفي المقطع الرابع يقول الرّسول نفسه إن أهل الجنَّة "لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيم" (سورة الدخان، الآية ٥٦). ولكن في وصف آخر يقول عن الَّذي يدخل النَّار الكُبرَى فانه "لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى" (سورة الأعلى، الآية ١٣؛ سورة طه، الآية ٧٤)، أو أنه لن يموت هناك أبداً (سورة فاطر، الآية ٣٦)، أو يأتيه الموت من كُلِّ مكان وما هو بميِّتٍ (سورة إبراهيم، الآية ١٧)؛ بل ينادون من أجل الموت والهلاك. (سورة الفرقان، الآية ١٣؛ سورة الزخرف، الآية ٧٧؛ سورة الحاقة، الآية ٢٧؛ سورة الإنشقاق، الآية ١١).[1] ويبدو أن الرّسول فضل هذه الصورة من الجحيم لأنه أكد على خلود العذاب المقبل، في حين كان يوحي "الموت الثاني" بالهلاك.

[1] ينظرُ لهذه المقاطع وغيرها، أوشانيسي، **أفكار محمّد عن الموت**، ص ١٧ والصّفحات التالية.

وجملة القول، و من دون مُنازِع، إنَّهم خصومُه الّذين يتمُّ تقديمُهم باستخدام المُصطلَحات التقليديّة. ويمكنُنا الاستنتاج أنَّ أولئك الذين لم يؤمِنوا بالعذاب الأبديّ واصلوا إنكارَه في الصّيغة التي تعلَّموا فيها هذا المذهب، في حين كانَ الرّسول يطوّرُ صوراً مَجازيّة جديدة للتّعبير عن رأيه الخاصّ حولَ هذه العبارات.

(ج) نَمُوتُ وَنَحْيَا

إنَّ التعبير الثّاني غير العادي الذي يستخدمُه المُشرِكون هو "نَمُوتُ وَنَحْيَا" (حيثُ يتُوقَّع منهم ترتيبُ الكلمات في الاتّجاه المُعاكِس). يقولونَ تحت ستار أمّة قديمة: **"إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ" (سورة المؤمنون، الآية ٣٧)**؛ لأنَّهم أنفسهم يقولون: **"مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ" (سورة الجاثية، الآية ٢٤)**. لماذا لم يقولوا **"نحْيا ونَمُوتُ"**؟ حيث لا ينبغي أن يفهمَ النَّسق اللّفظي أنّه تأكيدٌ على الاعتقاد بتناسُخ الأرواح (على الرَّغم من أنَّ البدوي يعتبرُه احتمالاً)،[1] وكما لوحِظَ بالفعل، لم يرِد ذكرُ هذا المُعتقَد أو مُحارَبته في الكتاب.

يلجأ الآن بعضُ المُفسِّرين إلى الفكرة المألوفة للموت على أنَّه "عدم الوجود" قبلَ أن نولدَ: يقول الكفَّارُ: **"نَمُوتُ وَنَحْيَا"**، أي كنّا ميّتين فحَيينا، نموتُ بمعنى كنّا أمواتاً، ونحيا، أي فصِرنا أحياءً، وذلك هو كلّ ما في الأمر.[2] لكن الأكثرَ شيوعاً الأخذُ بقول الكفَّار على أنّه يعني "نموتُ نحنُ

---

[1] البيضاوي، **أنوار التنزيل** (بيروت، غير مؤرخ [القاهرة في النسخة الأصل، ١٣٣٠])، ٧ ٧٠، الآية ٢٤ من سورة الجاثية؛ على أساس أن تناسخ الأرواح هو ما يؤمن به معظم الوثنيين.

[2] الماتريدي، **تأويلات**، ١٣، ٣٣٦، مع كلا الشرحين.

ويحيا آخرونَ"، أو "نموتُ نحن ويحيا أبناؤُنا وأولادُنا"؛ جيلٌ يتبعُ الجيل الآخر.[1] يعاني هذا التفسير الأكثر شعبيّةً من عيب الفشل في اعتبار أنَّ القرآن يستخدمُ ترتيبَ الكلمات نفسَه في **(الآية ١١ من سورة غافر)**، حيثُ يعترفُ الكفَّار في الجحيم بذنوبهم لله، كما في قوله: **"قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ"**.

ومرَّةً أخرى، يلجأ بعضُ المُفكِّرين إلى الفكرة القائلة بأنَّ الموتَ لا وجودَ له قبلَ الولادة: يقول الكفَّارُ إنَّ الله أماتَهم قبلَ ولادتهم وأماتَهم بعدها، وأتى بهم للحياة بعد "الموتة" الأولى، ثم بعثَهم بعدَ الثانية. ويمكنُ، كبديل لذلك، القولَ إنَّ الله أماتَهم بعدَ ولادتِهم وأماتَهم مرَّةً أخرى بإخضاعهم لعذاب القبر. لكن كما رأينا، الموت الثاني هو العذاب الأبديّ اللعنة أو الخطيئة المُميتة الأبديّة. وعلاوةً على ذلك في مقاطعَ أخرى، يقولُ الله إنَّ الآلهة الكاذبة لا تملكُ سلطةً على الموت والحياة والقيامة، كما في قوله: **"وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا" (سورة الفرقان، الآية ٣). "وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا" (سورة النجم، الآية ٤٤)؛ و"تَبَارَكَ ... الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ" (سورة الملك، الآيتان ١ و٢).**

---

[1] مقاتل، **تفسير**، ٣، ٧٠٧؛ الطبري، **الجزء** ١٨، ٢١؛ ٢٥، ١٥١-١٥٢؛ الرازي، **تفسير**، ٢٢، ٩٨؛ ٢٨، ٢٦٨، الآية ٢٤ من سورة الجاثية، الآية ٣٧ من سورة المؤمنون؛ الماتريدي، **تأويلات**، ١٠، ٢٨، الآية ٤٧ من سورة المؤمنون، يعتقد الماتريدي بأن القول الأوّل هو المراد إن كان القول من الثنويّة والدهريّة، والقول الثاني هو المراد إن كان هذا القول من غير الثنوية. ينظر جورج تامر، *Gott Zeit und* (برلين، ٢٠٠٨)، ١٩٥ والصفحات التالية.

لا يوجَدُ هنا تضرُّعٌ للموت قبلَ الحياة أو لعذاب القبر يمكنُ أن يفسِّرَ ترتيبَ الكلمات. يتوجَّب علينا التعامل مع تعبيرٍ ثابتٍ هنا.

كما يلحظُ أوشينيسي، إنَّ مصدرَ التّعبير هو سفر التّثنية (٣٢: ٣٩): **"أُنْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي. سَحَقْتُ، وَإِنِّي أَشْفِي، وَلَيْسَ مِنْ يَدِي مُخَلِّصٌ."**[1] وفي سِفر صموئيل الأوَّل (٢: ٦): **"الرَّبُّ يُمِيتُ وَيُحْيِي"**؛ ويسألُ ملكٌ إسرائيليٌّ في سِفر الملوك الثاني (٥: ٧): **"هَلْ أَنَا اللهُ لِكَيْ أُمِيتَ وَأُحْيِيَ؟"** في حديث عن قوى الله في وهبِ الحياة وتدميرها بترتيبٍ مقلوبٍ وقد أصبحَ معياراً. لماذا استخدمَ الله نظامَ ترتيبِ الكلمات هذا في كتابه الأول، وهو السُّؤال الذي يمكنُ أن نتركَه جانباً، لكنَّه أثبتَ جدواه لليهود عندما بدؤوا البحث عن دليلٍ على القيامة في كتابهم المُقدَّس. ويبدو الآنَ واضحاً ضِمناً أنَّ الله كانَ يتحدَّثُ عن الموت والقيامة، وقدَّمتِ الآية في سِفر التّثنية كدليلٍ لدعمِ هذا المُعتقَد في التَّرجومات الفلسطينيّة لأسفار موسى الخمسة: **"إِنِّي أَنَا هُوَ. أنا أُمِيتُ في هذا العالم وَأُحيِي في الآخرة"**، وذلك في إعادة صياغة نصّ سفر التّثنية ٣٢: ٣٩ في ترجوم نيوفِتي.[2] ويرتّبُ سِفرُ التّثنية

[تعليق المترجم: الباريتا Baraita، ברייתא باللغة الآرامية "خارج": مُعتقَد في الشَّريعة الشّفَهيَّة اليهوديّة غيرَ مُدرَج في المشناه، يشيرُ إلى تعاليمَ خارجَ الأجزاء السّتّة للمشناه].

[1] أوَشانيسي، **أفكار محمد عن الموت**، ٢٦ والصفحات التالية.

[2] ب. ف. م. فليشر، "لاهوت الحياة الثّانية في الترجوم الفلسطينيّ إلى أسفار موسى الخمسة"، في جاكوب نيوسنر (محرر)، **مقاربات إلى اليهودية القديمة** ١٦، ١٩٩٩، ٢٦-٢٧؛ راجع سفر الحكمة ١٦: ١٣-١٥، حيث تم تصحيح ترتيب الكلمة الغريبة؛ استشهد به في ي. مونيكندام، "أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي. سَحَقْتُ، وَإِنِّي أَشْفِي (سفر التثنية ٣٢: ٣٩): نسختين من الجدل عن قيامة الموتى"، الأصل اليهودي في **تربيز** ٧٦، ٢٠٠٧، ٣٢٩-٣٥١، الترجمة الانكليزيّة في **هينوخ** ٣٥، ٢٠١٣، ٩٠-١١٨، الملحوظة ١٤ (أتوجه بالشكر إلى Menahem Kister للفت انتباهي إلى هذه الدراسة وإلى د. مونيكندام لسماحها لي برؤية النسخة الانكليزيّة قبل النشر).

الآيةَ نفسَها بداية ضدَّ أولئك (اليهود) الذين يقولونَ إنَّه لا توجَد سلطةً في السَّماء، أو أنَّ هناك سلطتان في السّماء، وثانياً ضدَّ أولئك الّذين يقولونَ أنَّ الله ليسَ لديه القدرةُ ليُميتَ ويُحيي؛ وهو يستبعدُ بعنايةٍ فكرة "أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي" التي يمكنُ أن تؤخَذَ على أنَّها تعني أنَّ الله أماتَ شخصاً واحداً وأعطى حياةً لآخرَ.[1] يسأل في البارَيتا في التلمود البابليّ بالمثل: "هل يمكنُ للموت أن يكونَ لأحدٍ، والحياة لآخرَ، كما هو مألوفٌ في العالم؟"، والرَّدّ مع السَّطر التّالي من سِفر التّثنية ٣٩:٣٢، **"سَحَقْتُ، وَإِنِّي أَشْفِي"**، يثبتُ أنَّ الله يتحدَّثُ عن شخصٍ واحدٍ ونفس الشَّخص؛ "من هنا يوجَد دحضٌ لِمن يقولونَ: إنَّ قيامةَ الموتى ليسَت من الكتاب المُقدَّس". مثلما شفى الله من أصِيبَ بجروحٍ، فإنَّه يبعثُ أولئك الذين ماتوا، وهو ما فسَّرَه الحاخام البابليّ راباه **(توفّي عام٣٥٢)**.[2]

ومثل اليهود المُنشقّين في مواجَهة الحاخامات، يُنكِرُ المُشرِكون أيضاً أنَّ الله يُميتُ ويُحيي، وذلك في ترتيب الكلمات المُستخدَم من الله: **"نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ"(سورة الجاثية، الآية ٢٤)**. وقد يكونُ مُفسِّرو القرآن على حقٍّ عندما يأخذونَ قولَ المُشرِكين بمعنى أن ""نموتَ نحن ويحيا آخرونَ"، أو

---

[1] **سفر التثنية**، ترجمة. ر. هامر (نيو هافن ولندن، ١٩٨٦)، ٣٤٠ (piska ٣٢٩)؛ كما تُرجم في عمل ألان ف. سيغال، **سلطتان في السماء** (بوسطن و لايدن، ٢٠٠٢) (نُشر للمرة الأوّلى عام ١٩٧٧)، ٨٤.

[2] مونيكندام، "أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي"، مع الإشارة إلى التلمود البابلي، جاء في التلمود Pesahim a٦٨؛ السنهدرين b٩١. راجع أيضاً سفر الجامعة راباه ١. ٤، §٢، ومثيلاتها، مذكورة في ملحوظتها رقم ٣٢، حيث من المسلّمة أن أولئك الذين أماتهم الله ليسوا الذين سوف يبعثهم أحياء، لكن فقط بمعنى أنه سيعافي أولئك الذين ماتوا عُرجاً أو عمياناً. تربط مونيكندام ذلك الأمر إلى المجادلة الوثنية، وتدحض أيضاً في إحدى النسختين من كلام راباه، حيث لا يمكن أن يكون الشخص الميت والمبعوث متماثلان.

"نموتُ نحن ويحيا أبناؤُنا وأولادُنا"، ولكنَّ المرءَ يحتاجُ إلى معرفة المقطع التوراتي لفهم سبب التّعبير عن أنفسِهم كما فعلوا. يمكنُ أن نستنتجَ أنَّهم قد نشؤوا في مجتمعٍ عُرِضَ فيه برهانٌ على القيامة في شكل ترتيب كلماتٍ مقلوبٍ مُستمَدّ من الكتاب المُقدَّس. يمكنُنا مُجدَّداً التيقُّن بعقلانيّة أنَّها ليسَت استخداماً لأسلوبِ صياغة الرّسول، على الرَّغم من أنَّه يستعملُ ترتيبَ كلماتِ الكتابِ المُقدَّس أحياناً، كما رأينا، والأكثر شيوعاً أنَّه يصحّحُه. يوعزُ له الله أنْ يقولَ: **"قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ" (سورة الجاثية، الآية ٢٦)**، و **"وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ" (سورة الحجر، الآية ٢٣)**؛ وعندَما جاهرَ إبراهيمُ قائلاً: **"رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ"**، يجيبُ مُتألِّهٌ كافر: **"أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ" (سورة البقرة، الآية٢٥٨)**. وهناك أمثلةٌ أخرى كثيرة **(سورة الأعراف، الآية ١٥٨؛ سورة التوبة، الآية١١٦؛ سورة يونس، الآية ٥٦؛ سورة الحج، الآية ٦؛ سورة المؤمنون، الآية٨٠؛ ٦٨:٤٠؛ سورة الدخان، الآية ٨؛ سورة الحديد، الآية ٢)**.[1] باختصار، ومثل تعبير "الموت الأوّل "، إنَّ ترتيبَ الكلمات المقلوب يظهرُ المُشرِكينَ ليكونوا أقربَ إلى الأدب التّوراتي أو شبه التّوراتي أكثر من قربهم للرَّسول.

ربّما كانَت معرفة المُشرِكين للتّعبير التثنوي من الأدب شبه التّوراتيّ. وفي إحدى الحالات، يسألونَ عن مُعجِزة، ليردّ عليهم الله، كما في قوله: **"وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى" (سورة طه، الآية ١٣٣)**. وبعبارةٍ أخرى، كانَت الكتبُ القديمة ذاتَ قيمةٍ صالحةٍ للإثباتِ

---

[1] نوقشت إلى جانب المقاطع ذات الصلة، في أوشانيسي، **أفكار محمد عن الموت**، ٢٧ والصفحات التالية. ومرة أخرى من دون الاهتمام بحقيقة أن العديد من العبارات قد أدلى بها خصوم الرسول محمد.

فِي التّداوُل، ومن المُفترَض أن تكونَ بينَ المُشرِكين أنفسِهم وإلا لن يكونَ الجوابُ فعّالاً. لقد عرّفت هذه الكتب في أماكنَ أخرى على أنّها مخطوطاتُ إبراهيمَ وموسى، كما في قوله: **"إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" (سورة الأعلى، الآيتان ١٨ و١٩)**، وفي آيةٍ موجَّهة ضدَّ مُشرِك من غير المُحسنين يسألُ عمَّا إذا كانَ لا يعرفُ ما يوجدُ في صحفِ موسى وإبراهيم: أظهرَت لفائفُ المخطوطات، من بين أمور أخرى، أَنَّهُ **"هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا" (سورة النجم، الآية ٤٤)**. لا يكفي هذا، بطبيعة الحال، لإثبات أنَّ العبارة التثنويّة استخدَمت في المخطوطات فعلاً، ولكنّها تشيرُ إليها على الأقلّ كمصدرٍ مُحتمَل. لقد بحثوا بالتّأكيد في القيامة **(سورة النجم، الآيات ٣٨-٤٢، ٤٧، سورة الأعلى، الآيات ١٧-١٩)**، وذلك يستبعدُ إمكانيةَ أن تكونَ مخطوطاتِ موسى هي أسفار موسى الخمسة. كما اقتُبِست أيضاً وكأنّها تتحدَّثُ عن القيامة مثل **"النَّشْأَةَ الأُخْرَى" (سورة النجم، الآية ٤٧)**، وهي، أو واحدة منها (صحف إبراهيم؟)، تبحثُ على ما يبدو أيضاً في الأمم التي اختفَت (سورة النجم، الآيات ٥٠-٥٤). كانت على الأرجح رؤيا تنبؤية.[1]

كانَ مفهوم الموت الأبديّ كموتٍ ثانٍ شائِعاً بينَ اليهود والمسيحيّين والمندائيّين والمانويّين، ولكن سفر التّثنية (٣٢:٣٩) يشيرُ إلى اتّجاه يهوديّ. لقد كانَ اليهودُ هم الّذين اضطرّوا للبحث على نصوصهم الإثباتيّة للقيامة في

---

[1] لقد اقترح ذلك عدة مرات سابقاً، راجع حجي بن شماي، "**صحف** في القرآن ـ ترجمة مشتقة "لسفر الرؤية"، في حجي بن شماي، س. شيكد، وس. سترومزا (محررون)، **التبادل والنقل عبر الحدود الثقافية: الفلسفة، التصوف والعلوم في البحر الأبيض المتوسط (وقائع ورشة عمل في ذكرى البروفيسور شلومو بينس، معهد الدراسات المتقدمة، القدس؛ ٢٨ شباط – ٢ أذار، ٢٠٠٥)** (القدس، ٢٠١٣)، ١ – ١٥.

أسفار موسى الخمسة.[1] لكن لم يقبل المِندائيُّون والمانويّون (الذين آمنوا بالخلود الرّوحيّ) أسفار موسى الخمسة كمصدرٍ جديرٍ بالثّقة، وكانَ للمسيحيّين نصوصُ برهانٍ رائعة في الأناجيل ورسائل الرّسل، والمقطع الأكثر وضوحاً هو المُتضمن لمواجَهة يسوع لقومٍ من الصَّدُّوقيّين الذين أنكروا القيامة **(متى ٢٣-٣٢؛ مرقس ١٢: ١٨-٢٧؛ لوقا ٢٠: ٢٧-٣٨)**، وأيضاً في وصف بولس الطويل عن قيامة الأجساد **(رسالة بولس الرّسول الأولى إلى أهل كورنثوس، الأصحاح ١٥: ٣٥-٤٩)**. وبصرفِ النّظر عن ذلك، كانَ هناك مسيحيّون تقاسَموا الفهم الحاخاميّ للمقطع. لقد استخدمها ترتليان **(توفي نحو عام ٢٢٠)** لإثبات أنّ القيامة ستكونُ جسديّة.[2] واستُشهدَ أوريجانوس **(توفي عام ٢٥٤)** بحقيقة أنّ الآيةَ كانت عن القيامة ضدَّ أولئكَ الّذين أثبتَت الآيةُ لهم أنّ الله في العهد القديم كانَ قاسياً.[3] وتُخبِرُنا عظاتُ الإكليمنضيات الزّائفة، المكتوبة على الأرجح في أنطاكيةَ أو الرَّها حوالي عام ٣٠٠-٣٢٠، أنَّ الله يميتُ ويحيي: يميتُ بيده اليُسرى، الشّريرة، ويحفظُ بيده اليُمنى، التي

---

[1] ينظر فيما استخدموه، **سفر التثنية**، ٣٤٠ (piska، ٣٢٩)، مشيراً من خلال " أربع تلميحات مؤكدة" إلى القيامة، تُرجمت في عمل سيغال، **سلطتان في السماء**، ٨٤ (من طبعة فينكلشتاين، ٣٧٩)؛ في مونيكندام، "أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي" (من طبعة كاهانا، ٣٢٩)؛ راجع أيضاً ب. ف. م. فليشر، "قيامة الموتى ومصادر الترجومات الفلسطينية إلى أسفار موسى الخمسة"، في ألان ج. أفري بيك وجاكوب نيوسنر (محررون)، **اليهودية في العصور القديمة المتأخرة** (لايدن، ٢٠٠٠)، ٣١١-٣٣١؛ ماكنمارا، **العهد الجديد والترجوم الفلسطيني**، ٤.

[2] ترتليان، **عن قيامة الجسد** (موسوعة الآباء ما قبل نيقية، ١٥، محرر. أ. روبيرتس و ج. دونالدسون) (أدنبره، ١٨٧٠)، ٢٨، يعزو الآية إلى إشعياء.

[3] أوريجانوس، **عظات عن إرميا**، ١: ١٦ (ترجمة. ج. س. سميث، واشنطن، ١٩٩٨)، ٢٠-٢١. ينظر لاستخدام اليهوديّة والمسيحيّة للآية بأسلوب لا ثنوي، البراهين في مونيكندام، "أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي"، الملحوظات ٢٠-٢١.

تبتهجُ بحسنات الصّالحين.[1] لقد أُعجِبَ المؤلِّفونَ السّريان بهذه العبارة. ويستخدمُها إفرام لتمجيده "هو مَن يُميتُ ومَن يُحيي"، ويقول باباي عن المسيح إنَّه يُحيي كلَّ شيء " إنَّهُ قيلَ: فَهَا أَنَا، أنا أُميتُ، وأنا أُحيي أيضاً".[2] غير أنَّ أيًّا من المؤلِّفين المذكورين أعلاه لا يستخدمُ العبارة كدليلٍ دينيّ على القيامة نفسِها، وهي ليست مسألة في هذه الإفادات. وعلى النقيض من ذلك، فإنَّ إفرامَ **(توفي نحو عام ٣٤٥)**، وهو مسيحيٌّ من الجانب السّاسانيّ للحدود، يخبرُنا أنّه من حقّنا أن نخشى الموتَ الثاني وأنَّ المُعاناة الرَّهيبة تنتظرُ الأشرارَ الذين لا يؤمنونَ بالقيامة، لنستنتجَ (بعد نقاطٍ أخرى مُتنوّعة) أنَّ الفمَ الحيّ يشهدُ، "أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي".[3] وفي مكانٍ آخرَ يفسِّرُ قولَ بولس بأنَّ **"مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى" (رسالة بولس الرّسول إلى أهل رومية ٥: ١٤)**، بمعنى أنَّ موسى أعلنَ القيامة، ويستشهدُ بسفر التّثنية (٣٢:٣٩)، وهانا في سفر صموئيل الأوّل (٢: ٦)، ومقطع آخر من أسفار موسى الخمسة الذي يستخدمُه الحاخامات كنصٍّ إثبات.[4] ويمثّلُ أفراهاط مسيحيَّة تقتربُ من مُعتقَدات الحاخامات ومُعادِية بشدَّة لليهوديّة، وهو ما يفسِّرُ على أنَّه دليلٌ على

---

[1] **العظات الاكليمنضية** (موسوعة الآباء ما قبل نيقية، ١٧، محرر. أ. روبيرتس وج. دونالدسون) (أدنبره، ١٨٧٠)،٣،٢٠.

[2] كلاهما مستشهد به في أوشانيسي، **أفكار محمد عن الموت**، ٢٩، راجع أيضاً تعديل أفرام للعبارة في الصفحة ٣٢.

[3] أفراهاط، **البراهين**، ٨، ١٩-٢٥. أتوجه بالشكر إلى جوزيف فيتزتوم لتنبيهي إلى استخدام أفراهاط للمقطع.

[4] أفراهاط، **البراهين**، ٨، ١٠؛ ٢٢، ١-٣. والمقطع الآخر هو سفر التثنية ٣٣: ٦ ("لِيَحْيَ رَأُوبَيْنُ وَلاَ يَمُتْ...")، ينظر ماكنمارا، **العهد الجديد والترجوم الفلسطيني**، ١٢٠-١٢١.

أنَّ المُجتمَعات اليهوديّة والمسيحيّة المحليّة لم تكن مُتمايِزة تماماً في عصره.[1] إنَّ العداء العميق للرَّسول ضدَّ اليهود وحقيقة استخدامه باستمرار لحجج تقولُ إنَّ المسيحيّين انفصلوا عن اليهوديّة، يمكنُ أن يشيرَ إلى أنَّه وجدَ نفسَه في وضعٍ مُماثِل.[2]

وقد يُضافُ إلى ذلك أنَّه لا يبدو أنَّ هناك سابقةً مسيحيَّةً لدعوة القيامة بـ "النَّشْأَةَ الأُخْرَى"، والتّعبير ربَّما استُخدمَ في لفائف المخطوطات (وغالباً في القرآن)، أو "الخلق الجديد"، كما يُطلَق عليه الكافرين في كثيرٍ من الأحيان عندَما يُشكِّكون أو يُنكِرون بذلك **(سورة الرعد، الآية ٥؛ سورة الإسراء، الآيتان ٤٩، ٩٨؛ سورة السجدة، ١٠؛ سورة سبأ، الآية ٧؛ سورة ق، الآية١٤).** كانَ وجهُ الشَّبه بينَ الخلق والقيامة أمراً مألوفاً أو اعتيادياً في التّعليم المسيحيّ، كما كانَ الحالُ بالنّسبة لجميع المؤمنين في القيامة الجسديّة،[3] ولكن بالنّسبة للمسيحيّين كانَ "الخلق الجديد" أو "الثاني" قيامةَ المسيح، التي أحيَت وجدَّدَت العالم.[4] وفي سِفر أخنوخ الأوّل نجدُ القيامةَ المُستقبَليّة على أنَّها

---

[1] أ. هـ. بيكر، "ما وراء مكانية وزمانية **الليمس**: التشكيك في "مفارق الطرق" خارج الإمبراطورية الرومانية"، في أ. هـ. بيكر وأ. يـ. ريد (محررون)، The Ways that Never Parted (توبينغن، ٢٠٠٣)، ٣٧٦-٣٧٧.

[2] ينظر للأصل المسيحي لمجادلة الرسول ضد اليهود، أهرنس، "Nachlese "، ١٥٦ والصفحات التالية؛ ينظر للمصدر السرياني، فيتزتوم، "البيئة السريانيّة"، ٢٧١ والصفحات التالية؛ أيضاً ج. رينولدز، **القرآن ونصّه التّوراتي الفرعيّ** (لندن، ٢٠١٠)، ٢٥١.

[3] راجع أفراهاط في ت. أوشانيسي، **الخلق وتعاليم القرآن** (روما، ١٩٨٥)، ٧٣، والجزء الثاني من هذه المقالة.

[4] كما يتحدثون عن الخلق الأوّل والثّاني في سياق مختلف تماماً من الترتيب الذي خلق به الله الأجزاء المختلفة من العالم. ينظر لقيامة المسيح على أنها الخلق الجديد، الاصحاح الخامس من رسالة بولس الرسول الثّانية إلى أهل كورنثوس، الآية ١٧؛ الإصحاح السّادس من رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية، الآية ١٥؛ أثناسيوس الإسكندري، " De sabbatis et

"الخلق الجديد"، وهو رؤية تنبؤيَّة يهوديَّة يقرأه اليهودُ والمسيحيّون (والآخرون أيضاً)على حدٍّ سواء، على الرَّغم من أنَّ الحاخاماتِ ورجالَ الكنيسة قد ابتعدوا عنه في القرن السّادس.(١) ولا شكَّ بطبيعةِ الحال أنَّ الرّسول نفسَه جَلْبَ بشكلٍ كبير المُعتقدات المسيحيّة المُتاحة في السّريانيّة. ويبدو أنَّ هذا صحيحٌ عندَما يعدل كلام الله في سِفر التثنية (٣٢:٣٩) أو عندَما تحدَّث عن الخاطئ في الجحيم على أنَّه لا يموتُ أبداً بدلاً من التّحدُّث عن مُعاناته للموتة الثانية.(٢) لكنَّ خصومَه يقتربونَ من اليهوديَّة أكثر منه، ومن المُحتمَل أن ينظرَ إلى اللَّجوء المُستمِرّ إلى التّقليد السّرياني كجزءٍ لا يتجزأ من مُحاوَلته لإصلاح المُجتمَع الذي نشأَ فيه.

المُناظراتُ الجدليّة:

وفقاً للرَّسول، استندَ المنكرونَ للقيامة إلى مُجرَّد التَّخمين/ الظنّ ("إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ"، سورة الجاثية، الآيتان ٢٤، ٣٢؛ سورة النجم، الآية ٢٨؛ راجع قصة فرعون في سورة القصص، الآية ٣٩)؛ كانوا يرفعونَ من هواهم إلى

"circumcision"، ص ٢٨، ١٣٨؛ غريغوريوس النزينزي، "In novam Dominicam"، ص ٣٦، ٦١٢. لقد لوحظ الاختلاف في أهرنس، "Christliches im Qoran"، ٤٨، حيث يعتبر من الممكن أن يكون التعبير القرآني متأصل في بولس. لا وجود لسابقة سريانية أدلى بها أوشانيسي (**سفر التكوين**، الفصل ٥)، الذي لم يلحظ أن "الخلق الجديد" يمثل أشياء مختلفة في الاستخدام المسيحي والقرآني.

(١) **سفر أخنوخ الأول**، ترجمة. ج. و. ي. نيكلسبورغ وج. س. فاندركام (منيابولس، ٢٠٠٤)، ٧٢: ١؛ لوحظ من خلال أوشانيسي، **سفر التكوين**، ٨٥. لأصداء أخرى من هذا العمل في القرآن، ينظر باتريشيا كرونة، "كتاب المراقبون في القرآن"، في بن شماي، شيكد وسترومزا (محررون)، **التبادل والنقل عبر الحدود الثقافية**، ١٦-٥١ [الطبعة: مُدرجة كمقالة السابعة في المجلد الحالي (الكتاب الأصل)].

(٢) أوشانيسي، **أفكار محمد عن الموت**، الفصول ٣-٤.

الوضع الإلهيّ **(سورة الجاثية الآية ٢٣)**؛ وكانوا يتبعون منطقَهم بدلاً من الوحي. وقد قالَ المسيحيُّون الشَّيءَ نفسَه ضدَّ الوثنيين: اعترفَ أفلاطون بأنَّه كانَ يتحدَّث بشكلٍ تخمينيّ وتقديريّ، وصرَّحَ ثاوفيلوس الأنطاكيّ بأنّه لم تكن هناك حقيقةٌ لمُطالباته؛[١] و كما نقرأ في الإكليمنضيّات الزّائفة، فقد تلقّى الدّينُ الحقيقيّ برهانَه من النّبوءة، في حين قدَّمت الفلسفةُ أدلَّتها من التَّخمين.[٢] لكن ما هو نوعُ "التَّخمين" الذي قصدَه الرّسول؟ وكثيراً ما كانَ المُنكِرونَ للقيامة رجالاً ونساءً حصلوا على تعليمٍ ضئيلٍ أو معدومٍ واستندوا إلى البديهيّة وحسن تقديرهم وحكمتهم. كما قالَ دييغو دي باريونيفو لمحاكم التّفتيش في إسبانيا في عام ١٤٩٤:[٣] "أقسمُ بالله أنَّ الجحيم والجنَّة ليستا سوى وسيلة لإخافتنا، مثل الناس الذين يقولونَ للأطفال: 'سيأكلُك البعبع!'"، وقالَ قرويّ مُسلِم من قرية في جبال زاغروس لعالم أنثروبولوجيا في سبعينيّات القرن العشرين." كلّ الخير والشّر في هذا العالم ... حسناً!، هل تمَّ نقلُ أيّ شخصٍ إلى ذلك العالم ومن ثمَّ عادَ؟". كما قال قرويٌّ آخر: "ربّما كانوا يكذبونَ عندَما قالوا بوجودِ السّماء والجحيم. لم يعُد أحدٌ للحياة مرَّة أخرى ليخبرَنا كيفَ هي الأمور هناك". وذكرَ آخرُ: "بعدَ الموت تُترَك الرّوح ويتحلَّلُ الجسم. لا نعرفُ أكثر من

---

[١] ثاوفيلوس الأنطاكيّ (توفي حوالي عام ١٨٥)، *Ad Autolycum*، ٣، ١٦، مع الإشارة هنا إلى عمر الكون. راجع أيضاً هـ. ل. ي. راميلي، **برديصان الرهاوي** (بيسكاتاواي، ٢٠٠٩)، رقم ٦٣.

[٢] **العظات الاكليمنضية**، ١٥، ٥؛ راجع **الاعترافات الاكليمنضية**، ترجمة. ت. سميث (موسوعة آباء ما قبل نيقية، ٣، محرر. أ. روبيرتس وجـ. دونالديون) (أدنبرة، ١٨٦٧)، ٨، ٦٢؛ ن. كيلي، "مشاكل السلطة والمعرفة في رواية الاكليمنضيات الزائفة عن الاعترافات"، **مجلة الدراسات المسيحية الأوّلى** ١٣، ٢٠٠٥، ٣٢٠، ٣٣٨-٣٣٩.

[٣] جـ. إدواردز، "الإيمان الدينيّ والشك في إسبانيا في أواخر العصور الوسطى"، **الماضي والحاضر** ١٢٠، ١٩٨٨، ٢٥.

ذلك".[1] وكان القرويّونَ الإيرانيّون مُتشكّكين وليسوا مُنكرين، لكن دييغو كانَ من المُتشدِّدين، وكانَ من المُمكِن لنُظرائِه أن يُنكروا القيامة في القرآن على أساس التَّفكير البديهيّ نفسه. ومع ذلك، هناك اقتراحاتٌ بأنَّهم تحرَّكوا في بيئةٍ فكريّة أكثر تطوُّراً.

ويتَّضحُ من خلال القرآن أنَّ الرّسول كانَ يعيشُ في مُجتمَع مولَع بالجدال بشدّة.[2] وسيُجادلُ أولئك الذين كفروا بالباطل لإضعاف الحقِّ والتَّعامل معَ آيات الله وتحذيراتِه على أنَّها مُزاحٌ، كما في قوله: **"وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا" (سورة الكهف: الآية ٥٦). (سورة غافر، الآيات ٤ و٣٥ و ٥٦ و ٦٩، راجع أيضاً سورة الشورى، الآية ٣٥)**، وأيضاً سيُجادلونَ حولَ الله ذاته **(سورة الرعد، الآية ١٣، سورة الحج، الآيتان ٣، ٨، راجع الآية ١٩؛ سورة لقمان، الآية ٢٠)** و**" فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم"**، أي الآلهة الكاذبة/الملائكة **(سورة الأعراف، الآية ٧١، قوم عاد، راجع أيضاً سورة الزخرف، الآية ٥٨)**، وحولَ الطقوس **(سورة الحج، الآيتان ٦٧ و٦٨؛ وربَّما أيضاً سورة الأنعام، الآية ١٢١)**، وعن حقيقة شيءٍ غيرِ مُحدَّد **(سورة الأنفال، الآية ٦)**، وعلى ما يبدو سيُجادلونَ عن القيامة أيضاً **(سورة الحج، الآيتـــــان ٣، ٥)**. كانوا يأتونَ للاستماع إلى الرَّسول من أجل الخلافِ والجدالِ معَه،

---

[1] ر. لوفلر، **الإسلام في الممارسة: المعتقد الدينيّ في قرية فارسية** (ألباني، ١٩٨٨)، ١٩٢، ١٩٨، ٢٢٢، مع آخرين يعبرون عن أنفسهم على نحو مماثل في ٦٨، ٨٢، ٢٠٦-٢٠٧، ٢٠٩؛ راجع أيضاً ٢٧٦-٢٧٧.

[2] راجع **موسوعة القرآن**، محرر. جين دامن ماكوليف (لايدن، ٢٠٠١-٢٠٠٦)، المدخل. " النقاش والنزاع" (ماكوليف).

ويقولونَ: **"إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" (سورة الأنعام، الآية ٢٥)**. وسيُشرِكون المُؤمنينَ في الخلاف أيضاً، كما في قوله: **"وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ" (سورة الأنعام، الآية ١٢١)**، على الرَّغم من أنَّهم أيضاً مُطالَبون بالجدال مع أهل الكتاب **"وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (سورة النحل، الآية ١٢٥؛ ٢٩:٤٦)**. وكانَ قومُ نوح يتجادلونَ بالباطِل مع نوح **(سورة غافر، الآيتان ٤ و٥)**، وجادلَهم نوح كثيراً **(سورة هود، الآية ٣٢)**. لقد كانَ الإنسانُ أكثرَ شيء جدلاً؛ أي جدالاً ومُجادلةً **(سورة الكهف، الآية ٥٤)**، و**"هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ"**؛ أي مُجادِلٌ في الخصومة مُبيِّنٌ للحجَّة **(سورة النحل، الآية ٤؛ سورة يس، الآية ٧٧)**؛ وتؤكِّد آيةٌ مدنيَّةٌ أنَّ **"لاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ" (سورة البقرة، الآية ١٩٧)**.

كيفَ يجبُ أن نفهمَ مُصطلَح "جدال" من النّاحيّة التّطبيقيّة؟ حيثُ يستخدمُ القرآنُ الجذورَ نفسها "جدل" و"خصم" فيما يتعلَّقُ بالمحاجّة الجدليّة،[1] والمُرافعة الدّفاعيّة،[2] والمُناظَرات الجدليّة الشرعيّة،[3] لذلك فإنَّ كلا الجذرَين يمكنُ استخدامهما بالمعنى التطبيقيّ بدلاً من مُجرَّد التّشاحُن

---

[1] "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا" (سورة المجادلة، الآية ١)، يليها تشريع عن الطلاق "بالظهار".

[2] "يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ" (سورة هود، الآية ٧٤)؛ "يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا" (سورة النحل، الآية ١١١)؛ "لاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ" (سورة النساء، ١٠٧)، على الأرجح أي لا تجادل (صيغة المفرد) أيها الرسول؛ "هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً" (سورة النساء، ١٠٩)، (الآن في صيغة الجمع).

[3] أيضاً سورة البقرة، الآية ٢؛ سورة آل عمران، الآية ٤٤؛ سورة النساء، الآية ١٠٥؛ سورة ص، الآيات ٢١-٢٢، ٦٤؛ سورة الزخرف، ٤٨؛ سورة ق، ٢٨؛ ربما أيضاً سورة الزخرف، الآية ١٨.

العادي، والحجج والمُناقَشة. ويتساءَلُ المرءُ عمّا إذا كانَ ينبغي أن يفهمَ الجدالَ الذي يُشارِك به المُشرِكون معَ المؤمنين على أنّه مُناظَرة رسميّة.

إنَّ مُشارَكةَ الكفَّار في مُناظَراتٍ رسميَّةٍ هو ما أشارَت إليه الآية ٥٨ من سورة الزخرف قبلَ كلّ شيء، **"وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ"**، و"هُوَ" أي [يسوع]؟. وبغضّ النّظر عن الآية التي يأتي فيها الكفَّارُ إلى الرّسول للخلاف ورفض دعوتِه على أنَّها أساطيرُ الأوّلين، فهذه هي المرَّة الوحيدة التي نسمعُ فيها ما قالوه فعلاً عندَما كانوا يتجادَلون، وما يلفتُ النَّظر هو الاقتباسُ عنهم وكأنَّهم يسألونَ سؤالاً ذا حدَّين. والمُناظراتُ الجدليّة الرّسميّة هي هواية شعبيَّة جدّاً في الشَّرق الأدنى قبلَ ظهور الإسلام، تبدأُ إلى حدٍّ أنموذجيّ مع شخصٍ يقدِّمُ لآخرَ خياراً بينَ موقفَين ("هل الشّمس إله أم لا؟"). سيجيبُ الخصمُ، ممَّا يثيرُ المزيد من الأسئلة، وغالباً ما تكونُ ثُنائيّة الحدَّين أيضاً، وتهدفُ دائماً إلى دفع الخصم إلى زاويةٍ لا يمكنُ الهروب منها ("إذا قالوا X، ثم نسأل ... وإذا كانوا يقولون Y، حيثُ السّخافة براءة")؛ ويتحقَّقُ النَّصرُ عندما يصمتُ الخصم.[1] لم تكن جميع المُناظراتِ الجدليّة حولَ اللاهوت، ويمكنُ لمُناظرٍ جيد المُجادَلة في سبيل وضدّ أيّ شيء. لقد تخاصمَ النّاس في القطاعين الخاصّ والعام، وأمامَ المَحاكم وفي الشَّوارع، وفي الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة والساسانيَّة، أحياناً بشكلٍ عفويّ، أو من

[1] راجع مايكل كوك، "أصول الكلام"، **نشرة كلّيّة الدراسات الشّرقيّة والأفريقية** ٤٣، ١٩٨٠، ٣٢-٤٣، مع دليل سرياني إضافي في كتاب جاك طنوس، "بين الخريستولوجيا والكلام؟ حياة ورسائل مار جرجس أسقف العرب"، في جورج أنطون كيراز (محرر)، ***Malphono w-Rabo d-Malphone*: دراسات على شرف سيباستيان ب. بروك** (بيسكاتاواي، ٢٠٠٨)، ٦٨٠ والصفحات التالية. بالنسبة للواقعة برمتها، ينظر ليم، **النقاش والسلطة والنظام الاجتماعيّ في العصور القديمة المتأخرة** (بيركلي، ١٩٩٥).

خلال اتّفاقٍ أو ترتيبٍ مُسبَقٍ للحدث في أحايين أخرى، وجمعَت المُناظراتُ الجدليّة الحشودَ في الأماكن العامّة. وبالمُقابِل، يمكنُ للحشود أن تثيرَ المُناظراتُ: عندما تجمعُ جمهوراً حولَ الفيلسوف السُّوري يامبليخوس **(توفي عام ٣٢٥)** وزميله أليبوس الإسكندريّ، أرجأ هذا الأخيرُ كلَّ التّساؤلات حولَ الفلسفة، وانتقلَ إلى الجدال، وسألَ: "أخبرني، أيُّها الفيلسوف، هل الرَّجلُ الغنيُّ ظالمٌ أو وريثٌ للظّالم، نعم أم لا؟ لأنَّه لا يوجدُ حلٌّ وسطٌ".[١] ومن شأن المُشاركين المهرة في مثل هذه المُسابقات اللّفظية الوصول السَّريع للشُّهرة، وكانَ للتنافُس جاذبية استثنائيّة للشَّباب لأنَّه كانَ لعبةً تُكافِئ الذَّكاء والسّرعة بدلاً من الخبرة والتعلُّم. لقد استمرَّ الناس في الانخراط في المُناظرات بعد ظهور الإسلام، واستمرَّ المُسلمونَ في استخدام الكلمة القرآنيّة "جدال"، على الرَّغم من أنَّها اعتمدَت أيضاً الكلمة الجديدة "كلام" لهذه الطّريقة في تدارُس المُشكِلة، ولموضوع النّقاش في هذا الأسلوب.

وقد أعربَ المفكّرونَ الجادُّونَ في الشّرق الأدنى قبلَ الإسلام عن تأسُّفٍ لهذا الاختزال للأسئلة المُعقَّدة لتصبحَ ألعاباً لفظيَّةً مُبسَّطة ("لعبة إكس- أو اللاهوتية"، كما يدعوها كوك).[٢] على سبيل المثال، يقولُ القدّيس باسيليوس الكبير **(توفي عام ٣٧٩)** إنَّ الهراطقة سيستخدمونَ القياس المنطقيّ الجدليّ مثل "هل تعبُد ما تعرفُه أو ما لا تعرفُه؟" ومن شأن كلّ إجابةٍ إثارةَ مزيدٍ من

---

[١] ليم، **النّقاش والسّلطة والنّظام الاجتماعيّ**، ٤٩.

[٢] كوك، "أصول الكلام"، ٤٠.

الأسئلة: "لذلك، فإنَّ السؤالَ لا يُطرَحُ إلاّ من أجل التّخاصُم".[١] ردُّ فعل الرّسول مُشابِهٌ: **"مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ" (سورة الزّخرف، الآية ٥٨)**. والهجومُ هو أفضلُ شكلٍ من أشكال الدّفاع، كما يخبرُ باسيليوس الكبير قرّاءَه عن الأسئلة الافتتاحيّة التي يمكنُهم استخدامُها: "يمكنُ أيضاً طرح السّؤال العكسيّ لهم: ما الذي أعلنَه الابن الوحيد عن الأب، جوهره أو قوّته؟ إذا كانَ قوّته، ثمَّ ... إذاً كانَ جوهره، قل لي ... ". وفي القرآن يرشدُ الله الرّسول على نحوٍ مُماثِل، **"فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ، أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ"؟ (سورة الصافات، الآيتان، ١٤٩ و١٥٠)**. إنّه ليسَ سؤالاً مُناسِباً ذا حدّين، ومعَ ذلك، لا يوجدُ علاوةً على ذلك "إذا قالوا نعم، ثم يقول" في مجموعة الآيات هذه. لكن كما يلحظُ فان إيس، هناك مقاطعُ أخرى يستخدمُ فيها القرآنُ تركيبَ "كلام" ويفترضُ "أسلوب دليل للحجج".[٢] كانَ يمكنُ لرفض الشباب مُعتقَدات أسلافهم على أنّها أساطيرُ الأوّلين أن يكونَ من خلال المُشارَكة في مُناظَرات.

يشيرُ القرآنُ في بعض الأحيان إلى انخراطِ الكفَّار في نشاطٍ مرفوضٍ بازدراء مثل "يخوضون" في الأشياء، ويوضّحُها المُعجميون كعبارة "للدُّخول في خطابٍ كاذِبٍ أو باطِلٍ". لقد تمَّ ذلك في مجموعاتٍ، لأنَّ الرّسول و/أو

---

[١] باسيليوس، الرّسالة ٢٣٤ (ص ٣٢، ٨٦٨-a٨٧٢) في س. ج. بونيس، " المشكلة المتعلقة بالإيمان والمعرفة، أو المنطق والوحي، كما فُسرت في رسائل القديس باسيليوس الكبير إلى أمفيلوخيوس أسقف أيقونية"، **المجلة اللاهوتية الأرثوذكسية اليونانيّة** ٥، ٢٠٠٤، ٣٨.

[٢] جون فان إيس، "تطور الكلام المبكر"، في ج. ه. أ جيونبول (محرر)، **دراسات عن المجتمع الإسلامي في القرن الأول** (كاربوندال وإدوردسفيل، ١٩٨٢)، ١١٢ والملحوظة ١٢، مع الاستشهاد بسورة البقرة، الآيات ١١١، ١٣٥، ١٤٢؛ سورة آل عمران، الآيات ٢٠، ٣٠؛ سورة يونس، الآيات ١٥، ٢٠، ٣٨، ٥٠-٥١. أتوجه بالشكر إلى مايكل كوك لتذكيري بهذه المقالة.

المؤمنُ بشكلٍ عامّ حذَّرَ بالامتناع عن المُشارَكة عندَما يكونُ الموضوع آيات الله: **"وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (سورة الأنعام، الآية ٦٨)**. وتذكرُ سورةٌ مدنيَّةٌ المؤمنين كما في قوله: **"وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا" (سورة النّساء، الآية ١٤٠)**، وذلك في إشارةٍ على ما يبدو إلى الآية ٦٨ من سورة الأنعام، وتذيل كلمة "يخوض" في الحاشية على أنّها كفرٌ وسخريّةٌ: حتّى الآن، يمكنُ للخوض في الأشياء أن يعني ببساطة التّهكم أو السّخرية من وعظ الرّسول. (يستغربُ المرءُ أنَّ خصومَه لا يزالونَ يشعرونَ بالحرّية للسّخرية منه بحلول زمن سورة البقرة، ولكنَّها مُشكِلة أخرى). إنَّ تعبيرَ "يَخُوضُوا" ليس تعبيراً واضحاً بأيّة طريقةٍ عن التهكُّم أو السُّخرية. وتعني الاستعارة أنَّ المُشارِكين كانوا "يخوضونَ" في موضوعاتٍ يُنصَحُ أن تُترَكَ وحدَها، ويأخذُ المرءُ أنَّه في سياقِ قيامِهم بذلك سيسخرونَ من مزاعم الرّسول، وليسَ في أثناء الخوض فيها: وسمح للمؤمنين عل الرّغم من كلّ ذلك بالمُشارَكة بعدَ خوض الخصوم في موضوعاتٍ مُختلِفة. أمَّا الفقراتُ الأخرى فتُشيرُ إلى أنَّ "الخوضَ" كانَ نوعاً من اللّعب، ونجدُ النّصيحة والمشورة في قوله: **"فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ" (سورة الزخرف، الآية ٨٣؛ سورة المعارج، الآية ٤٢؛ راجع أيضاً سورة الأنعام، الآية ٩١)**. كما تقولُ آيةٌ أخرى بعدَ وقتٍ قصيرٍ من ذكر الخوض: **"وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا" (سورة الأنعام، الآية ٧٠)**. وإذا سألَ أحدُ

المُنافِقين (عن الأشياء الّتي قالوها)، يقولون **"إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ"** (وبالتالي السورة المدنية، التوبة، الآية ٦٥، راجع الآية ٦٩). و"سيشكّكُ" الكافرين، كما في قوله: **"بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ" (سورة الدخان، الآية ٩)**؛ كما تقولُ آياتٌ أخرى، فإنَّ كلَّ كذّابٍ ذي إثمٍ بربّه **"إِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ" (سورة الجاثية، الآية ٩)**. وعلى الرَّغم من أنَّ جميعَ المراجِع يمكنُ أن تشيرَ إلى مُجرَّد مُداعَبة، ومزاح غير مسوَّغ وإغاظة صريحة، يبدو "الخوض" في الأشياء وكأنَّه مُصطلَحٌ ازدراء للمُجادَلة (وهو في الواقع كيفَ يفهمُه المُفسِّرون التقليديّون، معَ الأخذ بالقرآن لمنع "كلام").[1] كانَ في سياق المُجادَلة بأنَّ الكافرينَ سيرفضونَ آيات الله على أنها أساطير أوّليين **(سورة الأنعام، الآية ٢٥)**، وأيضاً في أنَّهم سيتعاملونَ معَ آياتِ الله وتحذيراتِه كسخريةٍ يسخرونَ بها **(سورة الكهف، الآية ٥٦)**: كما في حالةِ يسوعَ، لقد حوَّلوا تساؤلاتٍ خطيرةً للغاية إلى مُجرَّد ألعاب.

التَّقسيماتُ الفرعيّة للمُشركين:

لقد رأينا حتّى الآنَ أنَّ جميعَ المُشرِكين، كما يبدو، قد كبروا كمؤمنينَ بإلهِ الكتابِ المُقدَّس في مُجتمَع استمدَّ مُعتقَداتُه من اليهوديّة أو من شكلٍ من أشكال المسيحيَّة الأقرب إلى جذوره اليهوديّة ممّا كانَ عليه الحالُ في العادة، وأنَّ بعضاً منهم فقدوا إيمانَهم بالقيامة، ربَّما من خلال المُشارَكة في المُناظَرات

---

[1] فخر الدين الرازي، **تفسير**، ١٣، ٢٥، سورة الأنعام، الآية ٦٨؛ راجع عنوان كتاب الأشعري، **رسالة استحسان الخوض في علم الكلام**.

الجدليّة من النَّوع الشَّائع في جميع أنحاء الشَّرق الأدنى في ذلك الوقت. ويبدو أنَّنا نستطيعُ تصنيفَها إلى ثلاث مجموعات.

تتألَّفُ المجموعة الأولى من المُشرِكين لما يُمكِن أن نسميَه النّمط التّقليديّ، وربَّما الأغلبيّة العُظمى. يؤمنُ أولئكَ المُشرِكون بالله والكائِنات الأدنى، ورأَوا الله كخالقٍ وحاكمٍ لهذا العالم، وقبلوا تماماً بأنَّه سيعيدُ الحياة إليهم يومَ الدّين. كما كانوا يؤمنونً بالرُسل، ولا يؤمنونَ برسولِ القرآن فقط.[1] خطؤهم من وجهة نظرِ الرّسول، وبصرفِ النَّظر عن رفضهم له، يكمنُ جزئياً في عزوهم لشركاءَ إلى جانبِ الله، و في عدم اهتمامهم بيوم الدّين إلى حدٍّ ما، الذي اعتبروه بعيداً و/أو شيئاً لا يخشى منه لأنَّهم كانوا على يقينٍ من خلاصِهم.

اختلفَت المجموعة الثانية عن الأولى في أنَّها شكَّكت أو نفَت القيامة فقط. وقد ندعوهم بالمُنكَرينَ التقليديّين. كما كانوا يؤمنونَ بالله، والكائنات الأدنى، وخلقِ وحكمِ الله لهذا العالم، وبالرُّسل أيضاُ، ولكنَّهم لم يكونوا على يقينٍ من أنَّ الله سيعيدُ الحياةَ إليهم، و يصرُّ البعضُ على أنَّه لن يفعلَ ذلك، على ما يبدو من دونِ الإيمان بأيِّ أشكالٍ بديلةٍ من الحياة بعدَ الموت. يتفاعلُ الرّسول مع المجموعَتين بسوءِ فهمٍ تامّ. فهو لا يستطيعُ ببساطةٍ أن يفهمَ كيفَ يمكنُهم نسب شركاء إلى الله أو إنكار القيامة حتّى مع التّأكيد على أنَّ الله قد خلقَ لهم، السَّموات والأرض **(سورة العنكبوت، الآية ٦١؛ سورة لقمان، الآية ٢٥؛ سورة الزخرف، الآيتان ٩ و٨٧)**، وأنَّه يرسلُ المطرَ **(سورة العنكبوت، الآية ٦٣)**، وأنّه هو ربُّ الأرض ومَن فيها، وربّ السّموات السَّبع، وحاكم كلّ شيءٍ

[1] راجع كرونة، "الملائكة في مواجهة البشر".

(سورة المؤمنون، الآيات ٨٢-٨٩). إنَّ الجزءَ الأكبرَ من الجدل القرآني ضدَّ المُشرِكين موجَّهٌ ضدَّ هاتَين المجموعتَين.

المجموعة الثالثة التي يمكنُ أن نسميَها المُنكِرين الراديكاليّين. لا يميزُهم الرّسول عادةً عن نظرائِهم التقليديّين، بحيثُ يصعبُ صياغةَ ملفّهم الشَّخصي، ولكن يشيرُ مقطعان إلى نفيهم دورَ اللّهِ كخالقٍ وحاكمٍ لهذا العالم، وهو الأمرُ الذي قبلَته المجموعتان الأخريان. المقطع الأوّل هو مشهد الرّجل الغني الذي يذهبُ إلى حديقته قائلا: **"مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً" (سورة الكهف، الآيتان: ٣٥ و٣٦)**. لماذا يقولُ إنّه لا يعتقدُ بعدم هلاكها أبداً؟ ربَّما ببساطة يبالغُ في التَّحدُّث: كلّ ما يعنيه هو أنَّه لن يموتَ في حياته، وذلك كما يقترحُ الماتريدي.[1] ويوجد العديد من المقاطع في القرآن التي تُشيرُ فيها "أبداً" إلى حياة النّاس، ولكن فقط لأنَّه يشيرُ إلى البشر ("فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا"، كما نقرأ في السورة نفسها، سورة الكهف، الآية ٥٧). وتعني الكلمة (أَبَدًا) حرفياً التّأكيدات الكثيرة بأنَّ النّاس سيمكثونَ في الجنَّة أو الجحيم خالدين إلى الأبد، وأيضاً حينَ قالَ إبراهيمُ ومن معَه أنَّهم براءٌ من قومِهم، وظهرَ بينَنا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا، أي أنّها سوفَ تستمرُّ إلى الأبد، كما في قوله: **{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} (سورة الممتحنة، الآية ٤)**. ويمكنُ أن يكونَ المقصود من "أَبَدًا" الأسلوب الحرفيّ على قدم

[1] الماتريدي، **تأويلات**، ٩، ٥٦.

المُساواة مع مثل الرَّجل الغنيّ. وباختصار، يتساءلُ المرءُ إذا كانَ يمثّلُ على أنَّه أزليّ: فهو لا يؤمنُ بالقيامة لأنَّه لا يعتقدُ أنَّ العالمَ سوف ينتهي أبداً.

إذا كانَ الرّجلُ الغنيّ يرى أنَّ العالمَ لن ينتهيَ أبداً، فإنَّ المرءَ يتوقَّعُ منه أن ينكرَ وجودَ بدايةٍ للعالم أيضاً، وهذا يعني أنّه شرحَ الأمرَ وكلَّ شيء فيه من دون اللّجوء إلى مَسلمة الخلق الإلهيّ. و ربَّما يكونُ رأيُه مقدَّراً ضمناً من خلالِ ردّ صديقِه، كما في قوله: **" قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا"؟ (سورة الكهف، الآية ٣٧)**. لا نقدّم إجابةَ الرَّجل الغنيّ، ربَّما لأنَّه لم تكن هناك حاجةٌ لتوضيح الخيارات هنا: إمّا أن يقولَ إنَّ الله قد خلقَه فعلاً، وفي هذه الحالة فإنَّ الخلقَ مساوٍ لإثباتِ القيامة؛ وإلاّ كانَ سينكرُ أنَّ الله قد خلقَه، وفي هذه الحالة تخطّى كلَّ المعايير والحدود. إنَ القولَ بتواجدِ بعض الذين اتَّخذوا موقفاً خارج المعايير والحدود واضحٌ في القطعة الثانية من الدّليل، الآية ٢٤ من سورة الجاثية: **"وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ... وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ"**. إذاً يعتقدُ هؤلاء الكفَّار بأنَّ الدَّهر هو مُهلِكهم بدلاً من الله، وبالكاد يمكنٌ أن يكونوا قد آمنوا أنَّ خالقهم كانَ الله. ويمكنُ أن يُضاف إلى ذلك دليلٌ ثالث، وهو أنَّهم وغيرهم من المُنكرين للحياة الآخرة قد تمَّ تمثيلَهم على أنَّهم عبروا عن أنفسهم بأسلوبٍ اختزاليّ. كما يقولون: "مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا"؛ "وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ"؛ وإنَّ هذا (أي القيامة) "إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ". إنّ الاختزاليّة هي سمة من سمات فلاسفة الوضعيّة التي تقولُ بأنَّ العقل البشريّ يستبعدُ مزاعمَ الوحي. وما وسمَه الرّسول كتخمينٍ وتأليهٍ ذاتيّ مُتغطرِس هو في نظرهم الطّريق إلى المعرفة الحقيقيَّة.

إذا كانَ المُنكِرون الراديكاليّون فلاسفة الأبديَّة، فهل كانوا يؤمنونَ بالله على الإطلاق، وماذا فعلوا بشأن الكائنات الأدنى؟ فيما يختصُّ بالله، من المُستحيل إثبات أنَّهم أنكروا وجودَه، ويبدو أنّه أمرٌ غيرُ مُحتمَل أيضاً. لكن يبدو أنهم أنكروا مفهومَ توحيده باعتباره خالقاً وضابطاً وقاضياً لهذا العالم. وإنَّ رؤيتهم للكيانات الأدنى أكثر صعوبة في تمييزها، لأنَّ السّور المكّيّة تُعادِل عمليّاً سوءَ الحكم في الرأي حول القيامة بالشرك. **"إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَى" (سورة النجم، الآية ٢٧)؛ "وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ" (سورة الزمر، الآية ٤٥)**. يمكنُ لهذه المقاطع وغيرها من الطبيعة نفسها أن توجَّه ضدَّ المُنكِرين التقليديّين، بطبيعة الحال، ولكن يوجدُ "شرك" حتّى في رواية الرَّجل الغنيّ (على الأرجح فيلسوف الأبدية). وهنا، يمكنُ للفهم الحرفيّ للشّرك أن يُجهد الأدلّة. وكما رأينا، يستجيبُ صديقُ الرّجل الغنيّ بسؤاله عمّا إذا كانَ الرّجلُ الغنيّ ينكرُ خالقَه. بعد ذلك ينتقلُ إلى تصريحٍ لقناعاته الخاصّة: **"لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا" (سورة الكهف، الآية٣٨)**. لم يقُل الرَّجلُ الغنيّ كلمة حولَ كائناتٍ أدنى: ماذا أو من كان الذي أشركه مع الله؟ من الصَّعب أن نرى ما يمكنُ للجواب أن يكونَ بخلافِ "هواه". إنَّ المُنكِرين الراديكاليّين في سورة الجاثية، الذين اعتقدوا أنَّ الدَّهر سيهلكهُم، قالوا صراحةً أنَّهم قد ألهو أهواءَهم: **"أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ"؟ (سورة الجاثية، الآيتان ٢٣ و٢٤؛ أيضاً سورة الفرقان، الآية ٤٣)**، كما لحظَ عالمٌ لاحقٌ: "الهوى إلهٌ مَعبودٌ".[1] يمكنُ أن يكونَ هؤلاء الراديكاليَون مُشركين

[1] أبو حاتم الرّازيّ، **كتاب الزّينة**، جزء **أصحاب الأهواء والمذاهب**، عبد الله سلوم السامرائيّ،

فقط بمعنى الأخذ بمنطقِهم ليكونَ موثوقاً كما هو وحي الله، أو الأسوأ من ذلك، لإبطاله، ممَّا يجعلُ منهم متألّهين ذاتيّاً بعد أسلوبِ فرعون. وربَّما ذلك أيضاً المقصودُ في الآية حولَ أولئك **"الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ" (سورة الأنعام، الآية ١٥٠؛ راجع سورة النمل، الآية٦٠ في صيغة "بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ")**. وقد يكونُ هذا منطقيّاً ومعقولاً، لأنَّه إذا كان المُنكِرون الرّاديكاليّون يعتبرونَ أنَّ الله غير ذي صلةٍ بهذا العالم، فإنَّه من الصَّعب أن نرى ماهيّة الدّور الذي احتفظوا به للكائنات الأدنى. لكنَّ القرآنَ لا يُعطينا الكثيرَ من الأدلّة لنستخدمَها.

السّورُ المدنيَّة:

تشيرُ السّور المدنيَّة إلى الإيمان والكفر بالله واليوم الآخر كثيراً، وذلك باستخدام عبارةٍ لا تظهرُ في السّور المكّيّة. حيثُ يتمُّ حثّ الناس على الإيمان بالله واليوم الآخر (سورة البقرة، الآية ١٦٢، راجِع سورةَ النّساء، الآية١٦٢)؛ والمساجد مُصرَّحٌ ومُعلَن عنها فقط لأولئكَ الذين يؤمنونَ بالله واليوم الآخر، والذين يقيمونَ الصّلاةَ ويدفعونَ الزَّكاة ويخافونَ الله، وليسَت للمشركين **(سورة التوبة، الآيتان ١٧ و١٨)**؛ والْبِرَّ هو الإيمانُ بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والرّسل، وكذلك إنفاق المال، كما في قوله: **"لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا**

في **الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلاميّة** (بغداد، ١٩٧٢)، ٢٤٧، مُستشهِداً بعالمٍ مجهولٍ سورة الفرقان، الآية ٤٣.

عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" (سورة البقرة، الآية ١٧٧)، "وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا" (سورة النساء، ١٣٦؛ راجع سورة البقرة، الآية ٢٨٥). وأولئكَ الذين كفروا في كلّ هذه الأمور يمكنُ اعتبارهم مُنكرين راديكاليّين، ومرَّةً أخرى بمعنى أنَّهم رفضوا المفهومَ التوحيديّ لله. يوحي هذا التّفسير بنفسه بقوَّة مُحدَّدة في مقطعٍ من سورة البقرة التي نواجهُ فيها أشخاصاً مُتعجرِفين فكريَّاً يدعونَ الإيمانَ بالله واليوم الآخر، لكنَّهم لن يؤمِنوا، **"وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ"**. يقولُ الرّسول إنَّهم هم السّفهاء، وذلك ربَّما إشارة إلى سِفر المزامير ١٤: ١ (**"قَالَ الجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: لَا يُوجَدُ إِلَهٌ!"**)، ويضيفُ: **" مِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ... وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ... وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ" (سورة البقرة، الآيات ٨ و١٣ و١٤)**.[١] ونسمعُ عن أشخاصٍ غيرِ مُستقرِّين على نحوٍ مُشابِه وقد تمَّ تعريفُهم على أنَّهم أهلُ الكتاب **(سورة المائدة، الآية ٦١، راجع الآية ٥٩)**، كطائفةٍ من أهل الكتاب **(سورة آل عمران، الآية ٧٢)**، وفريق من اليهود ومنهم أمِّيُّون **(سورة البقرة، الآيـــــات: ٧٥**

[١] فيما يتعلق **بشياطينهم**، راجع "إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ" (سورة الأعراف، الآية ٢٧، في إطار طرد آدم وحواء من الجنة). ويُفترَض على نحوٍ واضح أنَّ تلكَ الشياطين تكمنُ خلفَ كلّ الأفعال الخاطئة، راجع سورة الأنعام، الآيات ٦٨، ١٢١؛ سورة الحج، الآيتان ٣-٤.

و٧٦، ٧٨).[1] و يبدو مرَّةً أخرى أنّنا نواجهُ أقلية راديكاليّة، تتكوَّنُ هذه المرَّة من يهودٍ وعربٍ على حدّ سواء. لا شيءَ يقالُ في المقاطع الثلاثة الأخيرة عن اليوم الآخِر، ولكن تخبرُنا الآية رقم ٢٩ من سورة التّوبة على نحوٍ معروفٍ أنَّ أهلَ الكتاب أولئك الذين لا يؤمنونَ بالله ولا باليوم الآخِر يجبُ أن يقاتِلوا حتّى يدفعوا الجزية، كما في قوله: **" قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"**.

إنَّ السّور المدنيّة، بمعزلٍ عن المقطع الذي يتكلَّمُ عن الأشخاص المُتكبّرين فكريّاً، تمثّلُ إشكاليّة في هذه الطّريقة للإيمان بالله، وغالباً ما يستخدمُ "اليوم الآخِر" كتعبيرٍ مُحمَّدٍ أكثر قليلاً ممّا يقولُه الرّسول. ونجدُ الأمرَ في آيةٍ معروفةٍ، كما في قوله: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرّسول وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرّسول إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً" (سورة النساء، الآية ٥٩)**. ولا يجبُ على المطلَّقات **"أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ" (سورة البقرة، الآية ٢٢٨)**؛ ويجبُ إن كنتم تؤمنونَ بالله واليوم الآخِر جَلد الزّانية

---

[1] خلافاً مع س. غونتر (في ماكوليف (محرر)، **موسوعة القرآن**، المدخل "أمِّي")، لا أستطيعُ أن أرى أنَّ كلمة أمِّي لتعنيَ شيئاً آخرَ سوى "غير يهود (أغيار)" في القرآن: تتوافقُ الأمّة العربيّة مع الأمّة اللاتينيَّة/الأمم اليونانيّة، ويناسبُ مُصطَلح "غير اليهود" كلّ السّياقات حيثُ وجود كلمة أمِّي. وبطبيعة الحال، فإنَّ المُصطلَح سيكونُ مُتشابه إلى حدٍّ كبيرٍ مع كلمة عربيّ في المنطقة العربيّة، لكن ما يقصدُ به ببساطة هو غير اليهود. كما أنَّ المعنى "أمِّي" هو من وحي مذهبيّ، وقد تمَّ تأييده بسورة البقرة، الآية ٧٨ "وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ": يدلُّ الاستمرار بالقول إنّهم يظنّون "وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ" على أنَّ معنى عدم معرفتهم به هو تجاهله، وليس أنّهم غير مُتعلّمين أو غير قادِرين على قراءَته.

والزّاني من دون رأفةٍ بهما، كما في قوله: **"الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ" (سورة النور، الآية ٢)**؛ وإذا طلبتُم الإعفاءَ من القتال، فإنَّكم ستُعتبَرون غيرَ مؤمنين بالله واليوم الآخر **(سورة التوبة، الآيتان ٤٤ و٤٥؛ راجع أيضاً سورة البقرة، الآيتان ٢٣٢و ٢٦٤؛ سورة النساء، الآيتان ٣٨ و١٦٢)**. وتعبيرُ الإيمان بـ "الله ورسوله" غالباً ما يُعثَر عليه مُجمَّداً على نحوٍ مُماثِل.[١] ومعَ ذلك نأخذُ في الاعتبار حقيقةَ أنَّ الإيمانَ بالله واليوم الآخِر (وليسَ الإيمان بالأنبياء والكتاب المُقدَّس) أصبحَ "شِبُّولَتاً"[*] للطّاعة، ولدينا هنا حالةٌ يستحيلُ فيها تمييز الواقع وراءَ الجدل. كيف لنا حرفياً أن نفهمَ الآية رقم ٢٩ من سورة التّوبة على أهلِ الكتاب الّذين يجبُ أن يقاتلوا لعدم الإيمان بالله واليوم الآخِر؟ وهل أنكروا الله أو اليومَ الآخِر بأيّ معنىً آخرَ غير أنَّهم رفضوا الانضمامَ إلى حزب الرّسول أو دعمِه بشكلٍ أصحّ؟ ببساطة لا يمكنُ أن نعرفَ من دونِ صوتِ المُعارِضين أنفسِهم. باختصار، يبدو أنَّ المُنكرين الرَّاديكاليّين قد عُبِّرَ عنهم أيضاً في السّور المدنيّة وهو كلُّ ما يمكنِنا قوله عنها، ومُمثّلين بينَ كل من اليهود والعرب. لكن مناقشة القيامة والحياة

[١] راجع سورة النّساء، الآيتان ١٥٠، ١٥٢، حيثُ إنَّ "إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ" على خطأ لإيمانهم ببعضِ رسل الله وليسَ آخرين؛ سورة النّساء، الآية ١٧١، حيثُ يُقال "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ... فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاثَةٌ". قارن أيضاً سورة آل عمران، الآية ١٧٩؛ سورة الحديد، الآيتان ١٩، ٢١.

[*][تعليق المُترجِم: "شِبُّولَتْ" كلمة عبرية استخدمَها رجالُ جلعاد عندَما حاربَ يفتاح الجلعاديّ أفرايم لتمييز لهجة الأفرايميّ عن الجلعاديّ، فالإفرايميّ ينطقُ حرف "الشين" سيناً، فإن اخطأَ وقالَ "سبلوت" قتلوه. وفي آيةِ سِفر القضاة ١٢:٦ "كَانُوا يَقُولُونَ لَهُ: «قُلْ إِذًا: شِبُّولَتْ» فَيَقُولُ: «سِبُّولَتْ» وَلَمْ يَتَحَفَّظْ لِلَّفْظِ بِحَقّ. فَكَانُوا يَأْخُذُونَهُ وَيَذْبَحُونَهُ عَلَى مَخَاوِضِ الأُرْدُنِّ. فَسَقَطَ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ مِنْ أَفْرَايِمَ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا"].

الآخرة تحدثُ فقط في السّوَر المكّيّة بتفصيلٍ كافٍ للسَّماح لنا بمُعايَنة المواقفِ المُتنوّعة للمُشرِكين حولَ هذه المسألة.

(الجزءُ الثّاني)

المُشرِكونَ في القرآن والقيامة

كيفَ لنا أن نشرحَ مُعارَضة عقيدةِ القيامة والآخِرة الموصوفة في القرآن؟ الجوابُ المُعتاد هو أنَّها تعكسُ الوثنيّة العربيّة، الّتي لا يبدو أنّها قد شَملَت الإيمان بأيّ شكلٍ ذي مَغزى للحياة بعدَ الموت.[1] إنَّ جذورَ الوثنيّة للمُعارَضة مُعترَف بها عالميّاً لتكشفَ في قوله: {**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهر وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ**} **(سورة الجاثية، الآية ٢٤)**، حيثُ ميّز المُنكِرون الرّاديكاليّون "الدَّهر" كقاتلهم.[2] ولا يمكنُ لهذا أن يكونَ صحيحاً كليّاً. حيثُ يبدو من المُرجَّح أنَّ الوثنيّة العربيّة قد لعبت دوراً في المُعارَضة، ولكن مُساهَمتها ليسَت بهذه البساطة أو الصّراحة كما يُفترَض عادةً.

الدَّهر العربيّ:

يُفترَضُ من المُنكِرين الرَاديكاليّين في الآية ٢٤ من سورة الجاثية التّعبير عن وجهة النّظر التّقليديّة للعرب الوثنيّين، لأنَّ الشعر الجاهليّ كثيراً ما يتكلَّمُ عن الوقت (الدَّهر والزّمان)، مُساوِياً في كثيرٍ من الأحيان بينَه وبينَ المصير،

[1] م. م. بريفهان، "الحياة بعد الموت في التّصور العربيّ المُبكّر"، في **الخلفيّة الروحيّة للإسلام المُبكِّر** (لايدن، ١٩٧٢)، الفصل ١٠؛ ج. ي. سميث وإيفون يزبك حداد، **الفهم الإسلاميّ للموت والقيامة** (ألباني، ١٩٨١)، المُلحَق أ؛ ر. ي. هومرين، "*Echoes of a thirsty owl*: الموت والحياة بعد الموت في الشعر قبل الإسلام"، **مجلّة دراسات الشرق الأدنى** ٤٤، ١٩٨٥، ١٦٥-١٨٤، لاسيّما ١٦٧؛ **موسوعة القرآن، مُحرَّر**. ج. د. ماكوليف (لايدن، ٢٠٠١-٢٠٠٦)، المدخل "الموت والميت" (٥٠٧ - ٥٠٨).

[2] على سبيل المثال، هـ. رينغرن، دراسات في القَدَريَّة العربيّة (أوبسالا وفيسبادن، ١٩٥٥)، ٥٩؛ ل. ي. غودمان، "الوقت في الإسلام"، في أ. ن. بالسَليف وج. موهانتي (محررون)، **الدّين والوقت** (لايدن، ١٩٩٣)، ١٣٩؛ د. ي. ماديجان، "*Themes and Topics*"، في ج. د. ماكوليف (مُحرَّر)، **مُلحَق كامبريدج للقرآن** (كامبريدج، ٢٠٠٦)، ٨٩؛ جورج تامر، *Zeit und Gott* (برلين، ٢٠٠٨)، ١٩٣ والصّفحات التالية.

كمصدرٍ لسوء الحظّ البشريّ، بما في ذلك الوفاة. كما يلحَظُ غودمان، فإنّ التوجُّه الانفعاليّ لهذه المادّة ليس ميتافيزيقيّاً عادةً، بل رثائيّاً.(١) لقد تمَّ وصفُ الوقت بأنَّه قاتِلٌ، ولصٌّ ومُدمِّرٌ؛ إنَّه يلدغُ ويضربُ وينخرُ ضحاياه، ويلتهمُهم من دون أن يُصابَ بالسُّمنة، بصرفِ النَّظر عن مَراعيه الغنيّة.(٢) ولا يوجدُ أيّ معنىً في أنَّ الوقتَ (الدَّهر)، بدلاً من الله، يفعلُ كلَّ هذا.

وعلى النقيض من ذلك، فإنَّ "الله" بقدرِ ما يُذكَر، وبأيِّ شكلٍ من الأشكال، يظهرُ على قدم المُساواة مع الدَّهر. على سبيل المثال، لدى زهير بن أبي سُلمى شِعْرٌ يروي أنَّه غيرُ مُدرِك لأيّ شيءٍ دائمٍ أو أبديّ "**إلاّ الجِبالَ الرّواسِيَا، والسّماءَ والبِلادَ وَرَبَّنَا، وأيّامَنَا مَعْدُودَةً واللّيالِيَا**".(٣) ويصفُ زهيرٌ هنا نفسَه كمُؤمنٍ بالأبدية، لكنَّ جبالَه وسماءَه وبلادَه (العالم)، وأيامَه ولياليه (الدَّهر\الزَّمن)، تظهرُ جنباً إلى جنبٍ مع "ربّنا" كثلاثةِ مظاهرَ دائمةٍ للكون؛ وهي تشكِّل المسرحَ الأبديَّ الذي يلعبُ فيه البشرُ حياتَهم العابرة، ويرفرفونَ عبرَه على الرَّغم من أدائهم المُختصَر. ويوجَد أيضاً أشعارٌ يبدو أنَّها تُميِّز الله والوقت، أو تصفُ الله كمصدرٍ له، أو تزعمُ أنَّ المصيرَ يلدغُ فقط إذا سمحَ الله بذلك، أو إذا كانَ الله لا يحمي الضَّحايا.(٤) وسواء كانَ ذلك صحيحاً قبلَ الإسلام أو لم يكن، فلا يوجدُ معنىً هنا عن الوقتِ كبديل لله.

وفي المُقابِل، لا تملكُ الآية ٢٤ من سورة الجاثية أيّ تشبيهٍ قويّ في وصف الوقت (الدَّهر) على أنّه قاتلٌ، ولا يعبّر المُتكلِمونَ في تلك الآية عن شكوى

---

(١) غودمان، "الوقت في الإسلام"، ١٣٨.
(٢) هـ. رينغرن، القَدَرِيَّة، ٣٠ والصّفحات التالية.
(٣) هـ. رينغرن، القَدَرِيَّة، ٣٣-٣٤.
(٤) هـ. رينغرن، القَدَرِيَّة، ٤٦ والصفحات التالية.

حولَ الوقت أو رثاءٍ لقوَّته، وليسَ هناك ما يشيرُ إلى أنَّهم ينظرونَ إلى الوقت والمصير بعينِ المُساواة. إنَّ الدَّهرَ بالنّسبة لهم هو مُجرَّد مرورِ الوقت، وبدء الشّيخوخة (كما يشرحُ المُفسِّرون: مرور الليالي والأيّام، وطول العمر، واختلاف الليل والنهار).[1] ومعَ ذلك، غالباً ما يستغلُّ المُفسِّرون فرصةَ الاستشهاد بحديثٍ نبويّ يخبِرُ النّاس ألاّ يفتروا على الدَّهر استناداً على أنّ الله هو الدَّهر، مثلما هو في الشّعر في بعض الأحيان؛ على الرَّغم من أنّ الطَّبريّ يقولُ إنَّ كافراً اشتكى من الوقت، ممّا أدَّى إلى الكشف عن هذه الآية، ولكن لا يوجدُ شيءٌ في الآية نفسها لاقتراح ذلك.[2] يستخدمُ كلٌّ من المُنكِرين في القرآن والشعراء الكلمة المُميّزة "الدَّهر"، لكنَّ موقفَ الشّعراء لا علاقةَ له بحالة الاستنكار في القرآن.[3]

إنَّ الدَّهرَ هو بديلٌ عن الله في الآية ٢٤ من سورة الجاثية، لأنَّ إلهَ الرّسول هو إلهٌ مُتعالٍ يُعزى إليه الخلق وإدارة وحكم الكون الذي رآه زهيرٌ ببساطة كمُشارِكٍ معَه في الوجود. ويمكنُ أن يُعزَى الوتدُ بينَ الاثنين إلى التوحيد، الّذي جعلَ الأوّل يتبعُ للآخر جوهريّاً؛ كانَ أمثالُ زهير ذات مرّة داخلَ عالم التّوحيد، وكانَ عليهم أن يختاروا بينَ قبول سيادة الله على حساب الكون ذاتيّ

---

[1] أيضاً مقاتل والطبريّ والزّمخشريّ، على سبيل المثال.

[2] الطبري، **جامع البيان عن تفسير القرآن** (بيروت، ١٩٨٨)، **الجزء ٢٥**، ١٥٢، سورة الجاثية، الآية ٢٤ (و ذُكِر). نوقش الحديث في ي. غولدزيهر، *Studien Muhammedanische* (هاله، ١٨٨٩-١٨٩٠)، ١، ٢٥٤؛ تامر، *Zeit und Gott*، ١٩٩ والصفحات التالية.

[3] يُنظر للمقاطع التي يوجَد فيها تقاطُع أفضل بين الشّعر والقرآن، ت. بوير، "أهمّية الشّعر العربيّ المُبكِّر للدّراسات القرآنيّة بما فيها الملحوظات عن "**كُلّ**" وسورة الحجّ، الآية ٢٧، وسورة الشّعراء، الآية ٢٢٥، وسورة الطور، الآية ٣١"، في أنجيليكا نويفيرت، ونيكولاي سيناي، وميشائيل ماركس (مُحرَّرون)، **القرآن في سياق** (لايدن وبوسطن، ٢٠١١)، ٦٩٩-٧٣٢.

التنظيم، واستبقاء هذا الكون على حساب الله. ويبدو أنّ مُعظَم المُشرِكين في القرآن قد قبِلوا سيادة الله، ولكن أولئك في الآية ٢٤ من سورة الجاثية اختاروا الاستبقاءَ على عالمهم ذاتيّ التنظيم. وهم يبذلونَ جهداً ضدَّ إطار عمل الموحّد، الذي يشيرُ فيه القرآنُ مرَّةً أخرى إلى نموِّهم وازدهارِهم: لأنَّه إذا كانَ الرّسولُ قد ظهرَ كأوّل واعظٍ توحيديّ في بيئة وثنيّة، فإنَّ الرّدَّ الواضحَ عليه سيكونُ بأنَّه قد أساءَ فهمَ طبيعة الله (كما قالّ الوثنيّون اليونانيّون للمسيحيّين في كثيرٍ من الأحيان). ولكن ليسَ هناك نقاشٌ حولَ طبيعة الله في القرآن، إلا نحوَ الكائنات الأدنى. يؤمِنُ الرّسولُ ومُعظَم خصومه بأنَّ الله هو خالقُ العالم وحاكِم كلَّ شيء، وهذا بحَدّ ذاته ما رفضَه البعضُ. وهذا يناسبُ حقيقةَ أنَّ خصومَ رسولٍ يرفضونَ القيامة كخرافةٍ قديمة مألوفة لآبائِهم، يصوغونَ أنفسهم في مُصطلَحات اختزاليَّة توحي بازدراء موقف المؤمِنين. ولكن قبلَ كلِّ شيءٍ، وكما رأينا، فإنَّ ادّعاءَهم اللّاذع "نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إلاَّ الدَّهر" هو إنكارٌ للآية **"نْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي. سَحَقْتُ، وَإِنِّي أَشْفِي، وَلَيْسَ مِنْ يَدِي مُخَلِّصٌ" (سفر التثنية ٣٥ : ٣٢)**. ومثل بقية المُشرِكين، قد يكون المُنكِرون الرّاديكاليّون وثنيّين بمعنى أنَّهم لم يكونوا يهوداً أو مسيحيّين رسميّاً؛ يعد ربط كراهيَّتهم لعقيدة القيامة مع تراثِهم الوثنيّ أمراً معقولاً، حتّى وإن كانوا مُتحوِّلين أو شُمِلوا بذلك رسميّاً. لكنَّهم كانوا وثنيّين أعلنوا العصيان ضدَّ عقيدةِ الكتاب المُقدَّس من داخل مُجتمَعٍ تُهيمنُ عليه المُعتقَدات التوراتيّة، وليسوا كما الدُّخلاء في مُقاوَمة الدُّخول إلى مثلِ هذا المُجتمَع.

ليسوا بأية حال من الأحوال الوثنيُّين أو تاركي الوثنيَّة الوحيدين في الشرق الأدنى قَطْعاً في الزَّمن الذي كانوا يحاولونَ فيه التشبُّث بمعرفتِهم المُتوارِثة عن الكون. نجدُهم بينَ الزّرادشتيّين واليهود والمسيحيّين أيضاً. إنّ إنكارَ القيامة والحياة الآخِرة هي واحدة من أفضل سماتِهم الموثَّقة، ولكنَّهم مثل أقرانهم في القرآن يُنكرونَ الله في بعض الأحيان، وكثيراً ما يكونونَ في حالة ازدراءٍ من المزاعِم الدّينيّة أيضاً. وجملة القول، ما نراهُ في القرآن ليسَ فتحاً توحيّدياً لبؤرةٍ استيطانيَّةٍ عربيّةٍ قديمةٍ للوثنيّة، بل نضالاً داخلَ مُجتمَع توحيديّ على العلاقة بينَ الله والعالم الطبيعيّ. وهذا ليسَ لإنكارِ أنّ شبهَ الجزيرة العربيّة ككلٍّ كانَت قاعدةً أماميّة للوثنيّة، ربَّما تكون، بالنّسبة لكلِّ أجزائها، قد تحوَّلت إلى اعتناق اليهوديّة أو المسيحيّة. ولكنَّ القرآنَ لا يقدِّمُ لنا رؤيةً ومعرفةً عن شبه الجزيرة العربيَّة ككلٍّ، إلا لمنطقةٍ واحدةٍ مُحدّدٍ فيها، أو اثنتَين وذلك إذا قبِلنا الاتّحاد التقليديّ للسّوَر المكّيّة والمدنيّة بأماكنَ مُختلِفةٍ؛ وما نراهُ في تلك المنطقة (أو المنطقتَين) هو نِزاعٌ موثَّقٌ في جميع أنحاء الشّرق الأدنى قبلَ الإسلام. والآتي ذكرُه هو مُحاولةٌ لتوثيق هذا الادِّعاء.

الزّرادشتيّة:

عارضَت المصادرُ الزّرادشتيّة المُنكِرين لوجود الجنَّة والجحيم والقيامة في أغلب الأحيان. كانَت أولى الأدلّة على الأرجح كتاب الأفيستا Sūdgar Nask، الباقي في مُلخَّص بهلويّ فقط: يتعاملُ، من بينِ أمورٍ أخرى، مع "مفهوم الظَّالمين بعدمٍ وجودِ جنَّةٍ، وأنَّ التَّجدّد لا يحدثُ، ولا يُبعَثُ الميتُ،

وأنَّ هذا التحوُّلَ لا يمكنُ أن يحدثَ".[1] ومن المُفترَض أنَّ الكاهن الزّرادشتيّ كردير في القرن الثالث قد أقامَ نقوشاً ضخمةً ضدَّ هؤلاء الفاسقين، يخبرُ فيها المارّة ألّا يكفروا بالحياة بعد الموت، "لأنَّ عليهم أن يعرفوا يقيناً بوجود جنّةٍ وجحيم، والفاضِلُ هو من يَصعدُ إلى الجنَّة والمُفسِد/الكاذب هو مَن يُلقَى في الجحيم".[2] يمكنُ القول بكلّ تأكيدٍ أنَّه "كردير"، لأنَّه كانَ في رحلةٍ سماويَّة وشهدَ هذه الأشياء بنفسِه. ربَّما كانَ القومُ المُفسِدينَ/ الظّالمين من فلاسفةِ الأبديّة المُؤمنين بالتّناسُخ، وهي عقيدةٌ يبدو أنَّها كانت مُتَّبعة في إيران على نطاقٍ واسع.[3] ومع ذلك، بحلول القرن السادس، أصبحَت كلُّ أنواع الحياة بعدَ الموت وأحياناً الآلهة أو الإله الأوحد (أهورا مَزدا) موضعَ شكٍّ أو إنكار. الطّبيب برزويه، الناشِط في ظلّ حكم كِسرى الأوّل (٥٣١-٥٧٠)، يخبرُنا في مُقدَّمته لكتابِ كليلة ودمنة أنَّه فقدَ إيمانَه بدين أبائِه وأجداده، لكنَّه حاول عدمَ "إنكار البَعْث والقيامة والجزاء والعقاب".[4] وينسَبُ الفضل لفوزورجميهر

---

[1] *Dēnkard*، ٩، سورة هود، الآية ١٩، مُحرّر ومُترجَم. ب. ب. سانجانا (بومباي، ١٨٧٤-١٩٢٨)، ١٧، الصفحة ٢٦=٢٢.

[2] د. ن. ماكنزي (مُحرّر ومُترجَم)، "نقش كردير"، في ج. هيرمان، **الصخرة الساسانيّة المنحوتة في نقش رستم** (Iranische Denkmäler، Iranische Felsreliefs، ١؛ برلين، ١٩٨٩)، ٦١؛ ب. جينيو (مُحرّر ومُترجَم)، *Les quatre inscriptions du mage Kirdīr* (باريس، ١٩٩١)، ٩٩.

[3] فيما يتعلَّق بهذا النّوع من الزّرادشتيّة (أو، في نظر البعض، الوثنيّة الإيرانيّة)، ينظر باتريشيا كرونة، The Nativist Prophets of Early Islamic Iran: الثورة الريفيّة والزّرادشتيّة المحليّة (كامبريدج، ١٠١٢)، الجزء الثاني. لقد تمّ التنويه لكلّ الأدلّة عن إنكار القيامة المذكورة هنا في الفصل ١٦.

[4] ثيودور نولدكه (مترجم)، "Burzōes Einleitung zu dem Buche Kalīla waDimna"، *Schriften der Wissenschaftlichen Gesellschaft in Strassburg* ١٢، ١٩١٢، ١٨-١٩. لا يمكنُ لابنِ المقفع أن يكونَ قد كتبض هذه المقدمة، حيثُ كانت شكوكُه الحقيقيّة أو المزعومة ذات طبيعة مُختلِفة.

بأطروحة بهلوية مُهداة لكسرى الأوّل نفسَه مُعلِناً فيها أنَّه خالٍ من الشّكّوك المُتعلّقة بوجود الآلهة والجنَّة والجحيم والقيامة، وأعربَ عن أسفِه لكونِ الرّوح الشّريرة تسبَّبت بإخفاء جزاء الحسَنات والعِقاب على الخطايا في آخر الزّمان عن ظَنّ الناس.[١] ويذكرُ كتاب المشورة البهلوي أنَّ الرَّجل يصبحُ فاسقاً لخمسة أمورٍ، أحدُها عدم الإيمان بـ (خُلود) الرّوح ، ويؤكِّدُ لنا في بيانه الختامي أنَّ كلَّ شيءٍ سيكونُ جيداً إذا كنّا غيرَ مُشكِّكين بخلقِ أهورا مَزدا للعوالم الرّوحيّة والدّنيويّة، والقيامة وجسد المُستقبَل.[٢] ووفقاً لتقريرٍ مشهورٍ يحملُ تاريخاً طويلاً من التنقيح، قامَ الكاهنُ أردا فيراف بجولة في الجنَّة، وذهبَ إلى الجحيم مثل كردير، ورأى النّاس في الجحيم الّذين كانوا هناك لأنَّهم رفضوا الآلهة والدّين؛ "لم يؤمِنوا بالغيب ولم يعترفوا بالدّين أو الخالق أهورا مَزدا؛ ارتابوا في النعيم السّماوي وبؤس الجحيم ومجيء القيامة والجسد الأخير".[٣] وتحدث الكاهن الكبير فيه- شابور، الذي كانَ نشطاً في ظلّ حكم كسرى الأوّل أيضاً، عن anast-gōwišnīh، "القول بعدم الوجود" والّتي يمكنُ ربّما ترجمتها على أنَّها "الإلحاد".[٤] ولا نعلمُ ما سبب فقدان الإيمان هذا، ولكن

---

[١] محمد نوابي (مُحرّر ومُترجَم)، *Buzurgmihr Yādgār-i* (تبريز، غير مؤرّخ؛ نسخة مطبوعة من منشورات كليذة الآداب، تبريز، خريف، سنة ١١ [١٩٦٠])، الملحوظات ٤، ٤٢؛ في J.C. Tarapore أيضاً (مُحرّر ومُترجَم)، Pahlav*i Andarz-Nāmak* (بومباي، ١٩٣٣)، ٣٩-٤٠، ٤٣.

[٢] B.N. Dhabhar (مُحرّر ومُترجَم)، *Aōshnari Dānakī Andarj* (بومباي، ١٩٣٠)، ١٨ (الملحوظة ٣٨)، ٢٣.

[٣] البروفيسور جينيو (مُحرّر ومُترجَم)، *Vīrāz Le livre d'Ardā* (باريس، ١٩٨٤)، الفصول ٥٦، ٦١.

[٤] *hazār dādastān ī Mādagdān*، سورة سبأ، الآية ١٢، مُحرّر ومُترجَم. أ. بيريخانيان، **كتاب الأحكام الألف (كتاب قانونٍ ساسانيّ)**، ترجمَه عن الروسيّة ن. غارسويان (كوستا ميسا، ١٩٩٧)، ٣١١-٣١٢؛ مُحرّر ومُترجَم. مـ. ماكوتش، *Das sasanidische Rechtsbuch*

يحتملُ أن تكونَ المُشارَكة في الوجود بينَ نظم العقيدة المُتنافِسة وشعبيّة الخلافات قد لعِبا دورا فيه.

وكيفما كانَ يبدو الحال، استمرَّ الارتياب والإنكار إلى ما بعدَ الغزو العربيّ. وفي الأدب الصَّغير المنسوب إلى ابن المُقفَّع، يعلنُ أنَّ : "**المؤمن بشيءٍ من الأشياء، وإن كانَ سحراً، خيرٌ ممَّن لا يؤمنُ بشيءٍ ولا يرجو مَعاداً**"؛ يشيرُ أيضاً إلى الأشخاص الذين كانَ لدىهم شكوكٌ حولَ الله وكفروا به.[1] وتعلنُ أسسُ العقيدة الزَّرادشتية في اللّغة البهلويّة أو الفارسيّة الّتي أعادَ المقدسي نسخها: "إنّي لا أشكّ في وجود أهورا مَزدا و أماهراسباندس. أنا حرٌّ من الشّكّ في القيامة".[2]

ويذكرُ دينكارد خطيئة أداء العبادة في حين يعتقدُ بعدم وجود الآلهة،[3] ويشيرُ مراراً إلى الإثم في عدم الإيمان، أو إثارة الرّيبة حولَ وجود الله (أهورا

"Hazār Dātistān ī Mātakdān" (الجزء ٢) (فيسبادن، ١٩٨١)، ٢١٦-٢١٧، تمَّ تحويلُها إلى "افتراء" من خلال بيريخان (في التّرجمة الإنكليزيّة)، و "كلام كاذب" في ماكوتش. ينظرُ لترجمتِها "الإلحاد"، *EIr*.، المَدخل. "دهريّ" (شاكي).

[1] ابن المُقفَّع، **آثار**، بيروت ١٩٨٩، ٢٩٧ و ٢٩٥ على التّوالي. ينظرُ لأصلِ المؤلِّف، ي. كريستو ناغي، "عن موثوقيّة الأدب الصّغير المنسوب لابن المُقفَّع والمُشكِلات المُتعلِّقة ببعض عنواناته"، *Acta Orientalia Academiae Scientiarum Hungaricae* ٦٢، ٢٠٠٩، ١٩٩-٢١٨، والأدبيّات المذكورة هناك.

[2] المَقدسيّ، **كتاب البدء والتاريخ**، مُحرَّر ومُترجَم. س. هوارت (باريس، ١٨٩٩-١٩١٩)، ١، ٦٢-٦٣؛ مترجم. س. شيكد، **المثنويّة في التّحوُّل: تنوُّعات الدين في إيران الساسانيّة** (لندن، ١٩٩٤) ٣٢-٣٣.

[3] ميشائيل شتاوسبيرغ، "جهنّم في التّاريخ الزّرادشتانيّ"، Numen ٥٦، ٢٠٠٠، ٢٣١، نقلاً عن Dk Dlb vi.

مَزدا)؛[1] كما يتحدَّثُ عن إرْشاد النّاس إلى الإيمان من خلال إقناعهم أولاً أنَّ الخالق موجود.[2]

ويَظهرُ المُلحِدون الزّرادشتيّون تحتَ مُسمَّى "nēst-yazat gōwān"، "'القائِلون' لا يوجَد أي إله"، في "شكند گمانيک ويچار" في القرن التّاسع الميلاديّ.[3] ويعتبر ذلك عدداً مُذهلاً من الشَّهادات، بالنّظر إلى قلَّة الأدلّة المُتوفّرة لدينا على الزّرادشتيّة في الحقبة ذات الصّلة.

اليهوديّة:

على الجانب اليهوديّ، إذا عادَ المرءُ إلى الوراء بالزَّمن بدرجةٍ كافيةٍ، يجدُ أنَّ القاعدة هي عدم الإيمان بالحياة بعد الموت، لكن أصبحَ الاعتقادُ في القيامة مُهيمناً بحلول القرن الثاني الميلاديّ. ومع ذلك، يوجَدُ العديد من الموادّ الربَّانيّة "الحاخاميّة" الّتي تتضمَّن مُجابَهة لعدم الإيمان بالآخرة. وتقولُ قصّةً معروفة أنَّ ماترونا واجهَت الحاخام الفلسطيني جوسي في القرن الثاني مع الآية التوراتيّة حولَ رفض يعقوب أنْ يتعزّى عندما كانَ يعتقدُ أنَّ يوسفَ قد ماتَ **"فَقَامَ جَمِيعُ بَنِيهِ وَجَمِيعُ بَنَاتِهِ لِيُعَزُّوهُ، فَأَبَى أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ: «إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي نَائِحًا إِلَى الْهَاوِيَةِ». وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ."(سفر التكوين ٣٧: ٣٥)**، وكانَت تَستخدِمُ الكتابَ العبريَّ لإثباتِ عدم وجودِ القيامة.[4] ويقالُ إنّ عدداً من الحاخاماتِ

---

(١) J. de Ménasce (مترجم)، *Le troisième livre du Dēnkart* (باريس، ١٩٧٣)، الملحوظات ١٨٩، ٣٣٨، ٤١٠.

(٢) ماتيو موليه، "Le problème des sectes zoroastriennes"، *Oriens* ١٣-١٤، ١٩٦١، ١٠، نقلاً عن ملخص *Nask Varshtmānsr* في Dk ٩، ٤٢: ٢ في الترقيم الغربي.

(٣) J. de Ménasce (مُحرّر ومُترجَم)، *Škand-Gumānīk Vičār* (فريبورغ في سويسرا، ١٩٤٥)، الفصل ٥، ٦٤ والصّفحات التالية.

(٤) **سفر التّكوين**، ٨٤: ٢١.

الفلسطينيّين في القرن الثّالث قد صوّروا عيسو كمُنكِرٍ للقيامة ولله ذاتِه؛[1] و وفقاً لأحدِ هؤلاء الحاخامات، كانَ عيسو هو الشَّخصُ المذكور في سفرِ المزامير ١٤: ١ **{قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: «لَيْسَ إِلهٌ»}**. أمَّا المشناه (حوالي ٢٠٠ م) فهو ينكرُ جزءاً من العالم إلى أن يصلَ لقائمةٍ من الخاطئين، بما في ذلك أولئك الّذين يكذبونَ الأصل السَّماوي للتَّوراة، والأبيقوريّين، والّذين يقولونَ "لا يوجدُ قيامة للأموات [لتكونَ مُستمدَّة من التَّوراة]". إنَّ الكلماتِ الوارِدة بينَ قوسَين هنا، والّتي ربَّما جرى إقحامَها في أثناء عملية النَّقل، أفصحَت بأنَّ المُنكِرين كانوا أو فهِموا على أنَّهم يهود.[2] وتوجَد قوائم مُماثِلة في توسفتا (أواخر القرن الثّالث / أوائل القرن الرّابع) وغيرها،[3] ويتمُّ مُناقشَتها في كلا التلمودَين (البابليّ والفلسطينيّ)، حيثُ يُعتبَر عادةً أنها نُقِّحَت حوالي عام ٤٠٠ و ٥٠٠ م على التوالي.

---

[1] **سفر التكوين،** ٦٣: ١١، ١٣، ١٤ (anon., Resh Laqish and R. Levi)؛ **التلمود البابليّ** (يُشار إليه فيما بعد)، Baba Bathra ١٦a، b (ربي يوناتان).
[تعليق المُترجِم: ذُكِرَت في العهدِ الجديدِ عبارةُ "يتَّقونَ الله" أو "يخافونَ الله" وهي إشارةٌ إلى المُتعاطِفين معَ الدّيانة اليهوديّة **(يُنظَرُ إلى سِفر أعمالِ الرُّسل: ١٠: ٢ و٢٢ و٣٥؛ ١٣: ١٦ و٢٦)**، وأيضاً "المُتعبِّدات" أو "المُتعبِّدون" **(يُنظرُ إلى سفر أعمال الرسل ١٣: ٥٠؛ ١٦: ١٤؛ ١٧: ٤ و١٧؛ ١٨: ٧)**، حيثُ اشتركَ هؤلاء معَ اليهود في العبادة ولكنَّهم لم يختتِنوا].

[2] **التّلمود الأورشليميّ (يسمى أيضا تلمود أرض إسرائيل)** السنهدرين، ٢٧b–c؛ Pe'ah ١٦b؛ Hagigah ٧٧b؛ bt، السنهدرين ٩٠a؛ راجِع س. سيتزر، "الحديث عن طريقهم إلى الإمبراطوريّة: اليهود والمسيحيّون والوثنيّون يناقشون قيامة الجسد"، كارول باخوس (محرَّر)، **اليهوديّة القديمة في سياقها الهلنستي** (لايدن، ٢٠٠٥)، ١٥٩، راجع. ١٦٣؛ ه. ج. بيكر، "'Epikureer im Talmud Yerushalmi"، في ب. شيفر (محرَّر)، التّلمود الأورشليميّ والحضارة الرومانيّة اليونانيّة (توبينغن، ١٩٩٨)، ٤٠٠ والصّفحات التالية.

[3] سيتزر، "الحديث عن طريقهم إلى الإمبراطوريّة"، ١٦٢.

لقد أنتِجَت مُعظَمُ هذه الموادّ في حقبةٍ مُبكِّرةٍ جدّاً لتكونَ مَوضِعَ اهتمام هنا. على سبيلِ المثال، تمثّلُ قصَّةُ ماترونا سيّدة رومانيَّة كريمة النَّسب من النّوع القادِر على حضورِ خدمة كنيس، وربَّما تصبحُ خوفاً من اللهِ أو حتَّى بروسيليت. ويوجَدُ العديد من القِصص التي تُطرَحُ فيها أسئلةٌ صعبةٌ من الحاخام جوسي، الّذي يستجيبُ بأسلوبٍ وُدّيّ.[1] لكن هذه الموادّ أُدرِجَت في مجموعاتٍ لاحِقة، ممَّا أثار التَّساؤل إلى أيِّ مدىً ظلَّت المّشاكل الّتي تواجهُها ذات صلةٍ بالموضوع. ويظهرُ سؤالُ ماترونا بشأن القيامة في نسخةٍ مُختلِفة في مجموعة نصوص وضعت ربما في أواخر القرن الثامن (ربَّما في إيطاليا)؛ هنا المهرطِق هو (مين) الذي يواجه "حاخامنا" مع آيةِ رفضِ يعقوبَ أنْ يتعزَّى، وكلّ من ادّعاء الهرطقة واستجابة الحاخام مُبيَّنة على نحوٍ أكثرَ وضوحاً ممّا كانَت عليه في النّسخة الأولى.[2] ومن الصّعوبة تصديق أنَّ اهتمام الحاخامات البابليّون، مثل حسدا **(توفي ٣٠٩)** أو راباه **(توفي ٣٥٢)**، كانت أكاديميّة بحتة، عندَما حاولَ هؤلاء إثباتَ أنَّ عقيدةَ القيامة كانت موجودة في التّوراة.[3] وتعليقاً على قائمة تضمَّنت المُكذّبين بالقيامة - جنباً إلى جنبٍ مع المُستهزئين، والمُكذّبين بالتّوراة وغيرهم – من بين أولئك الذين سيذهبونَ إلى جهنّم إلى الأبد، يصرّحُ راباه في إصدار واحد أنَّ "من بينَهم الأكثر وسامة من سكان

[1] يُنظَر للاطلاع على كلّ هذا، ر. غيرشينزون وإريش شلوموفيتش، "مُناقَشة يهوديّة غنوصيّة في القرن الثاني: الحاخام جوسي بن حلفتا وماترونا"، **مجلّة لدراسة اليهوديّة** ١٦، ١٩٨٥، ١-١٤، لاسيّما ٣، ٩-١٠، ٣٣.
[2] ت. تاونسيند (مُترجِم)، **مدراش تنحوما** (نصّ س. بوبر المنقح) (هوبوكين، ١٩٨٩)، ١، ٢٣٦؛ كما تمَّ الاستشهاد بها في غيرشينزون و شلوموفيتش، "جوسي بن حلفتا وماترونا"، رقم ٣٣ (Vayeshev، ٨؛ مُحرّر. بوبر، ١٨١).
[3] *bt*، السنهدرين b٩١.

ماهوزا (قطيسفون / مدائن)".[1] وكانَ معروفاً لإبيفانيوس أنَّ اليهودَ (و / أو السّامريّين) اعتقدوا أنَّ عيسو قد أنكرَ الله (٤٠٢ أو ٤٠٣).[2]

تُقدّمُ الترجومات عدّة روايات مُختلِفة قليلاً عن النّزاع بينَ قايين (قابيل) وهابيل الذي بلغَ ذروتُه بوفاة الأخير. يظهرُ قايين كصاحبٍ لرأيّ هرطوقيّ في كلٍّ منها، ولكنَّ بدعتَه ليسَت هي نفسها في النّصوص المُنقَّحة المُبكِّرة واللاحقة، وفقط النّصوص المُنقّحة اللاحقة هي ذات أهمّية هنا.[3] يقولُ في هذه النّصوص: "**أنا أعلمُ أنَّ العالمَ لم يُخلَق بالرّحمة، وأنّه لا يحكمُ وفقاً لثمار الأعمال الصّالحة، وأنَّ هناك تحيُّزاً في الحكم. لا يوجَد قضاءٌ ولا قاضٍ، ولا عالم آخر؛ لا يوجَد أيّ جزاء للحقّ؛ ليسَ هناك حسابٌ للفاسقين**".[4] وباختصار، يُنكِر قايين أنَّ هناك أيَّ شكلٍ من أشكال المُكافَأة للفضيلة في هذا العالم أو في الآخِرة. وقد عُرفت بدعتُه على أنّها صدوقيّة أو إبيقوريّة.[5] لكنّنا من ناحية

[تعليق المُترجِم: إنَّ سفر الجامعة "كوهيليث Qoheleth" وفقاً للقس أنطونيوس فكريّ هو سِفر من الأسفار الشعريّة والحكميّة، ومن أسفار الزّهد والنّسك في الكتاب المُقدّس، يقرؤُه الإنسانُ فيشعرُ ببطلانِ هذا العالمِ وما فيه من مُتعِ الجسد. وتحثُّ عباراتُه على التّوبة والانسحاق وتُثبتُ أنَّ الإنسانَ لو عاشَ بعيداً عن الله يتعبُ].

[1] *bt*، رُوش هَشَنَه a١٧، مع نسخة في الحاشية تفسّر العبارة على نحوٍ مُختلِف.

[2] إبيفانيوس، **عن الأوزان والمقاييس** (ترجمة النّصّ السريانيّ ج. إلمِر دين، شيكاغو، ١٩٣٥)، الفقرة ١٧. يتحدَّث عن سيماخوس، مترجِم العهد القديم، مُدَّعياً أنّه كانَ سامرّياً أصبحَ مرتّداً يهوديّاً.

[3] تُرجمت كلُ النسخ في ج. فيرمز، "النسخ الترجوميّة لسفر التكوين الإصحاح ٤، الآيات ٣-١٦"، **النشرة السنويّة لجمعيّة جامعة ليدز الشّرقيّة** ٣، ١٩٦١-١٩٦٢، ٨١-١١٤؛ كما توجَد المُناقَشة الأكثر فائِدة من وجهة النّظر الحاليّة في ج. م. باسلر، "قايين وهابيل في التراجيم الفلسطينيّة: مُذكّرة موجَزة عن جدالٍ قديم"، **مجلّة دراسة اليهوديّة** ١٧، ١٩٨٦، ٥٦-٦٤، مع الإشارة إلى مطبوعات سابقة في رقم ٥٨.

[4] وهكذا ترجوم نيوفيتي (وأشكاله المختلفة الثانوية) والترجوم المجزأ.

[5] راجع س. إيزنبرغ، "جدال ضدّ الصّدوقيّين في رواية الترجوم الفلسطينيّ"، **نشرة هارفرد اللاهوتية** ٦٣، ١٩٧٠، ٤٣٣-٤٤٤، والمادة المطبوعة في باسلر، "قايين وهابيل"، رقم ٦٣.

نجدُ النّظرة ذاتَها في سِفرِ الجامعة القديم جداً، حيثُ لم يكن الله رحيماً أو عادِلاً من منظورٍ إنسانيّ، ويقترنُ فيه التّشاؤم العميق حولَ طرائق هذا العالم مع الكفر بالحياة بعدَ الموت أيضاً؛ ومن ناحية أخرى نواجهُ مرَّة ثانية وجهة النظر هذه في مرحلة لاحقة، في القرنين الرّابع والخامس، والآن بينَ الوثنيّين والمسيحيّين من النّوع المُخاطب في الاكليمنضيات المُزيّفة، وفي كتابات نيميسيوس أسقف إميسا (حمص باللاتينيّة) و ثيودوريطس القورشيّ (نوقشت أدناه). و وجدَ هؤلاء الوثنيّون والمسيحيّون أنّه من المُستحيل الإيمان بإلهٍ حصلَ على عنايةٍ إلهيّة في هذا العالم، أو بأيّ إلهٍ على الإطلاق، حيثُ كانَ من الواضح أنَّ العالَمَ لا يحكمُه القانون أو المنطق: لم يحصل عملُ الخير على مكافأة، بل على مُعامَلةٍ سيئةٍ، في حين ازدادَ العنفُ والفساد في السّلطة وجمع الثروة. لقد اعتقدَ هؤلاء المُتشائِمون أيضاً أنَّه من المُستحيل الإيمان بالحياة بعد الموت. ومن المنطقي أن يكونَ هناك يهودٌ من القرن الرابع والخامس من الذين شاركوا وجهة النّظر هذه وهو ما تعكسه الترجومات. وهو موقفُ قايين ذاته في أنَّ الملك منسى الخاطِئ ارتدَّ عندَما تعرَّضَ لعقابٍ وتابَ، كما في Pesikta de-Rab Kahana (القرن الخامس؟): "حيثُ يوجَد حكمٌ، هناك قاضٍ"، لقد صاحَ الآن مُدرِكاً أنَّ الرَّبّ هو الله، كما في سفر أخبار الأيام الثّاني ٣٣: ١٣ {**وَصَلَّى إِلَيْهِ فَاسْتَجَابَ لَهُ وَسَمِعَ تَضَرُّعَهُ، وَرَدَّهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ إِلَى مَمْلَكَتِهِ. فَعَلِمَ مَنَسَّى أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللهُ.**}[١] وللحصول على أدّلة دامغة، علينا ترقُّبُ الإمبراطور جستينيان الأوّل الذي أصدرَ في عام ٥٥٣ أحكام جديدة شهيرة

[١] *Pesikta de-Rav Kahana*، ترجمة. و. ج. براود و ي. ج. كابستين (فيلاديلفيا، ١٩٧٥)، piska ٢٤، ص ٣٧٦؛ استُشهد بها في إيزنبرغ، "جدال ضد الصدوقيين"، ٤٤٣، مع الإشارة إلى طبعة بوبر، ١٨١a.

أخذَ على عاتقِه استخدامها لسنّ القوانين حولَ اللغة الّتي ستُستعمَل في خدمة الكنيس، والتي أضافَ فيها التحذير الآتي على موضوعٍ مُختلِف تماماً:

"وإذا حاولَ بعضُ الناس من بينِهم أن يقدّموا لغواً مُخالِفاً للدّين، مُنكِرين القيامة ويوم الحساب العظيم وأنَّ الملائكة موجودةٌ كعمل الله وخلقه، يجبُ طردَ هؤلاء الناس من الأماكن كلّها، ولا يجوزُ نطقُ أيّ كلمةٍ تجديف من هذا النوع الذي يُظهِرُ بوضوحِ الجهلَ بمعرفة الله. نحن نفرضُ أقسى العقوبات على أولئكَ الذين يحاولونَ نطقَ هذا الهراء، وتنقية أمّة العبرانيّين بهذه الطّريقة كلّياً من الإثم الذي أُدخِلَ عليها".[1]

وهنا يوجد بدعتان، تمَّ صياغتُهما على أنَّهما حالتا إنكار: لم يكن هناك قيامة أو يوم دينونة و لم تكُن الملائكةُ موجودةً كمخلوقاتٍ الله. ولا يمكنُ للمرء الجزم إذا كانَت الهرطقة الأولى وصلَت إلى الرّفض الكامِل للآخرة. وقد فُهِمت الهرطقة الثّانية على أنَّها إنكارٌ بوجود الملائكة[2]، ولكن يبدو أنَّ ما حرّم في الواقع هو "**أنَّ الملائِكة هي عملُ الله وخلقُه**"، كما في تفسيراتٍ وترجماتٍ أخرى للنّصّ،[3] ومن النّاحية الإيجابيّة، كانَ الادّعاء هو أنَّ الملائِكة غير مخلوقة

---

[1] الأحكام الجديدة ١٤٦ (peri Hebraiōn)، الفصل ٢، مُحرّر ومُترجَم. أ. ليندر، **اليهود في التّشريع الإمبراطوريّ الرّومانيّ** (ديترويت والقدس، ١٩٨٧)، ص ٤٠٦ = ٤٠٩.

[2] أيضاً مايكل آفي-يوناه، **اليهود في ظلّ الحكم البيزنطيّ والرّومانيّ** (نيويورك، ١٩٧٦؛ الأصل العبريّ، ١٩٤٦)، ٢٥٠.

[3] بول كاله، **جنيزة القاهرة**، الطبعة الثانية (أوكسفورد، ١٩٥٩)، ٣١٦؛ كارل ليو نيوتليتش، *Die Juden im christlischen Imperium Romanum* (القرنين ٤-٦) (برلين، ٢٠٠١)، ١٦٠؛ ي. كلينغنبرغ، "Judengesetzgebung Justinians Novellen zur"،

ومُشتَرَكة في ألوهيّة الله. كما يوضّحُ الموضوع الرّئيس للأحكام الجديدة، فإنَّ اليهود الذين تمَّ مُخاطَبتهم كانوا في الجزء الناطق باليونانيّة من الإمبراطوريّة، والدليل الوحيد على الأخذ بها هو نقشُ فسيفساء في كنيسِ عينِ جدي بقرب البحر الميت. ولكن ذلك يعتمدُ على قراءة النّقش الذي رفضَه البعضُ، وعلى أيِّ حالٍ كانَ يتعلَّقُ بقضيّة اللّغة بدلاً من القيامة.[1]

ففي هذه الأحكام الجديدة، كما هي الحالُ في القرآن، إنَّ الإيمانَ بطبيعةِ الملائكةِ غيرِ المخلوقة (الأزليّة) أمرٌ مُتسلسِلٌ مع إنكار القيامة، وهنا يتساءلُ المرءُ كما في القرآن، عمّا يمكنُ أن تكونَ العلاقة، إن وُجِدَت، بينَ الموقفين: هل كانوا ببساطة داخلَ المُجتمَع نفسه، كما هو مُرجَّح في القرآن، أو أنّهم كانوا مُرتبطين بطريقةٍ أو بأخرى؟ ومن المُستغرَب قلّة ما ذكرَه اليهودُ حولَ ذلك. لقد كتبوا قدراً كبيراً عن هذه الأحكام الجديدة، لكن اهتمامهم كانَ على نحو دائم تقريباً في قوانينها حول لغة الكنيس. وتُحرِّمُ الأحكامُ الجديدة أيضاً اثنتين من البدع المُذهِلة التي نادراً ما تُذكران.[2] كانَ البحث الأكمل عند جوستر، الذي كتبَ قبلَ قرنٍ من الزّمان، وفسَّرَ الأحكام الجديدة بأكملِها كقرار من جستنيان لصالح المذاهِب الفارسيّة على حساب نظرائِهم الصدّوقيّين، من دونِ

في د. ميديكوس، هانز يواكيم ميرتينز وآخرون (محررون)، *Festschrift für Hermann Lange zum 70. Geburtstag* (شتوتغارت، برلين وكولوغن، ١٩٩٢)، ١٦٠.

[1] ليندر، اليهود، ٤٠٤، راجع الببيلوغرافيا، ص ٤١١.

[2] فيما يتعلق بالمادة المطبوعة عن الأحكام الجديدة بغض النظر عن تلك المذكورة هنا، ينظر م. ماير، *Das andere Zeitalter Justinians: Kontingenzerfahrung und Kontingenzbewältigung im 6. Jahrhundert n. Chr*. (غوتنغن، ٢٠٠٣)، ٢٨٩، الملحوظة ٢٩٥. لم يناقِش ماير الهرطقات.

أن يدَّعي أنَّ الصدّوقيّين نجوا كطائفةٍ فعلاً.[1] إنَّ نفيَ الصدّوقيّين للقيامة هو أمرٌ مشهودٌ له بأدلّة واضِحة؛ ويعرف أنَّ بدعتَهم تمتدُّ إلى الملائكة فقط من خلال الآية ٨ و ٩ من سفر أعمال الرّسل ٢٣، والتي تنصُّ على **"أَنَّ الصَّدُّوقِيِّينَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَيْسَ قِيَامَةٌ وَلاَ مَلاَكٌ وَلاَ رُوحٌ"**، وهو مقطَعٌ مُتنازَع عليه كثيراً.[2] إنَّ أصحابَ البدع في رواية جستنيان لا ينكرونَ وجودَ الملائِكة (أو الأرواح)، ولو أنَّ جوستر جادلَ بأنَّ الصّدوقيّين لم يفعلوا ذلك، لكانَ قدَّم حجَّةً أفضلَ لنفسِه (كما يبدو الرّأي العام الآن).[3] لكنّه لم يفعل، وعلى الرّغم أنَّ لديه الفضل في تحديد مجموعةٍ حقيقيّة أو مزعومةٍ من الهرطقات المُتعلَّقة بالموضوعات المُتباينة للقيامة والملائِكة، فإنَّ اقتراحَه لم يجد استحسانَ المؤلّفين اللّاحقين. لقد اقترحَ آفي- يوناه، في الأربعينيّات من القرن العشرين، أنَّ أصحابَ البدع في أحكام جستنيان الجديدة كانوا "السّامريّين وأولئك اليهود الذين شارَكوا وجهات نظرهم".[4] ومعروف أنَّ السّامريّين نفوا القيامة، وذلك من خلال أوريجانوس،[5] وإبيفانيوس،[1] ورسالة رابانية

[1] ج. جوستر، *Les Juifs dans l'Empire* (باريس، ١٩١٤)، ١، ٣٧٤-٣٧٧.

[2] يُنظَر ف. باركر، "المُصطلَحات "ملاك" و"روح" في سفر أعمال الرّسل ٢٣، ٨"، *Biblica* ٨٤، ٢٠٠٣، ٣٤٤-٣٦٥، والمادّة المطبوعة المذكورة هنا.

[3] يعرّف جوستر البدعة في أحكام جستنيان الجديدة على أنّها ادّعاء بأنَّ الملائكة لم تكُن مخلوقاتٍ إلهيّة، التّعبير الذي ينطوي ضمناً، ربَّما من غير قصدٍ، على أنَّ المُهرطقين نظروا إلى الملائِكة على أنَّهم مُجرَّد بشر. وبالتأكيد لا يمكنُ للصّدوقيّين أن يفسّروا الملائِكة في الكتاب المُقدَّس العبريّ أسوةً بالمُهرطِقين، لكن على الأرجح فسّروهم على أنّهم هيئاتٌ قصيرةُ الأمد لله بدلاً من كائناتٍ مخلوقةٍ بحدّ ذاتها.

[4] آفي-يوناه، اليهود **في ظلّ الحكم البيزنطيّ والرّومانيّ**، ٢٥٠.

[5] أوريجانوس، **في متى**، ٢٣: ٢٢ (*mpg* ١٣، العمود ١٥٦٤)؛ العظة ٢٥ في **سفر العدد** (*mpg* ١٢، ٧٦٣).

(حاخاميّة)،[٢] والاعترافات الإكليمنضية المُزيّفة،[٣] والمُؤلّفين اللاحقين.[٤] لكن لماذا وجبَ على جستنيان إدانة مُعتقَدٍ ساميّ في أحكامٍ عن اليهود؟ لقد كانَ يعرّف السّامريّين جيداً، لأسبابٍ من بينِها أنّهم قد ثاروا ضدَّه، ومن غير المُحتمَل أن يخلطَ بينَ عقائدِهم وعقائد اليهود.[٥] ولهذا السّبب يضيفُ آفي-يوناه: "هؤلاء اليهود الّذين يشاركونَ مُعتقداتِهم". ولكن إذا كانَ هناك يهودٌ أنكروا القيامة، لماذا وَجَب عليهم أن يكونوا مدينونَ بإدانتهم السّامريّين؟ ولماذا يجبُ أن يرتبطَ إنكارُهم مع إنكار طبيعة الملائكة المخلوقة؟

منذُ ذلك الحين، يبدو أنَّ اليهود فقدوا الاهتمام بهذه المسألة. فعلى سبيل المثال، يرفضُ باحثٌ حديثٌ كلَّ المعلومات الواردة في الأحكام الجديدة على أنّها مُجرَّد انعكاس لحجّة مسيحيّة مُناسِبة للنقاش، مشيراً بكلّ بساطة إلى أنَّه

---

[١] إبيفانيوس، *Panarion*، ترجمة. ف. ويليامز (لايدن، ١٩٨٧-١٩٩٤)، ١، ٣٠ (الجزء رقم ٩. ٢. ٣).

[٢] *Masseket Kutim*، الفقرة ٢٨، في ج. أ. مونتغومري، السامريّون، أقدم الطّوائف اليهودية (فيلادلفيا، ١٩٠٧)، ٢٠٣: سيتمُّ استقبال السامريّين في المُجتمَع، إذا أنكروا جبل جرزيم (الطور) وقبلوا القيامة.

[٣] إكليمنضس (مُسنَد)، **اعترافات** (الموسوعة المسيحيّة ماقبل نيقية، ٣، محرر. أليكسندر روبيرتس وجيمس دونالدسن، إدنبيرغ، ١٨٦٧)، ١. ٥. ٤؛ راجع ١، ٥٧.

[٤] مثلاً، ثيودور بار كوني، *Livre des scolies (de Séert recension)* ، مُحرّر. آدم شير (باريس، ١٩١٠)، ١٩١٢؛ مترجم. ر. هيسبل و رينيه دراغويت (لوفان، ١٩٨١-١٩٨٢)، الميمر ٥، ٢٥؛ أبو قرة، **ميمر في وجود الخالق والدّين القويم**، محرّر. ي. ديك (روما، ١٩٨٢)، ٢٠٣، حيثُ يواجهُ الباحِث عن الحقيقة السامريّين، الذين يتضمَّنُ وصفَهم لإيمانهم ما يأتي: "عندَما نترُك هذا العالم، هو الهلاك إلى الأبد. ليسَ هناك قيامة". راجع ميلكا ليفي روبن (مُحرّر ومُترجَم)، **استمراريّة التّأريخ السّامري لأبي الفتح السامريّ الدّنفي** (برينستون، ٢٠٠٢)، ١٢٦=٨٧، فيما يتعلّق بوجود الدّوسيتيّين في فلسطين في القرنَين الثّالث والتّاسع.

[٥] تمَّ افتراضُ التباس بسيط بين الاثنَين من كلينغنبرغ، "أحكام جستنيان الجديدة"، رقم ١٦٠، يليه أ. شارف، "جستنيان"، في **الموسوعة اليهوديّة**، ١٠، ٤٧٨.

يذكرُ أيضاً "عقائد مُعيَّنة" لا ينبغي لليهود أن يؤمنوا بها.[١] لكن وصف جستنيان لهذين البدعتَين لا يستندُ على ذلك الأساس. حيثُ كانَت المصادر المسيحيّة المُبكّرة تتّهم اليهود بعبادة الملائكة، لكنّها لا تصفُها أبداً على أنَّها إنكار للملائكة كعمل من أعمال االله،[٢] وعلى الرَّغم من أنّها تتَّهم الصّدوقيين أيضاً بعدم الإيمان بالقيامة والملائكة والأرواح، كما لوحِظ فعلاً، لكن وجود الملائكة ليس من بين الأمور التي أنكرَها أصحابُ البدع عند جستنيان، ولا كانَ المُصطلَح "صدوقيّ" مُستخدم. يمكنُ للمرء الاستدلال أنَّ البدع الحقيقيّة قد استرعَت اهتمام جستنيان، وذلك على الأرجح لأنَّ اليهود الغاضبين قد ندَّدوا بإخوتِهم المُتديّنين الضّالّين إلى السّلطات، أو بدلاً من ذلك، لأنَّهم استقطبوا انتباهَ السّلطات من خلال اتّخاذ إجراءاتٍ عنيفةٍ ضدَّهم من تلقاء أنفسهم.

لا تزالُ هويّة أصحاب البدع غير معروفة، لكنَّنا لا نحتاجُ إلى التذرُّع بالصّدوقيّين لتفسير هويّتهم. حيثُ إنَّ يهوديّاً مثل الطبيب دومنوس، الذي علّم في الإسكندريّة في زمن زينون (٤٧٤-٤٩١)،[٣] على سبيل المثال، من المُحتمَل أن يكونَ من الأفلاطونيين؛ وإذا كانَ الأمرُ كذلك، أنكرَ قيامةَ الجسد ومثل الملائكة على أنَّها انبثاقات، وهو موقفٌ لا يمكنُ توثيقُه بالنّسبة للقرآن، لكنَّه يمكنُ أن يكونَ ما تدينُه أحكامُ جستنيان الجديدة. لسوء الحظّ لا يتمُّ

---

[١] ل. ف. روتغرس، "الأحكام الجديدة ١٤٦ لجستنيان بين اليهود والمسيحيّين"، في ر. كالمين وس. شولرتز (محررون)، المجتمع **والثقافة اليهوديّة في ظلّ الإمبراطوريّة الرومانيّة المسيحيّة** (لوفان، ٢٠٠٣)، ٣٨٧.

[٢] راجع لورين ستكنبروك، **تبجيل الملاك والخريستولوجيا** (توبينغن، ١٩٩٥).

[٣] بولي فيسوا، *Realencyclopädie*، ٩، المدخل. "دومنوس".

تسجيلُ وجهات نظر دومنوس حولَ هذا السّؤال. وكانَ من بين تلاميذه الطّبيب جيسيوس (وثنيّ جاءَ من البتراء)، الذي علّمَ في الإسكندريّة في عشرينيّات القرن الخامس، والذي يمثّلُ الوثنيّة المُتغطرِسة لزكريا البليغ (أسقف ميتيلين) المسيحيّ. إنَّ آراءَه حولَ الملائكة أو الآخرة لم يتمَّ تسجيلُها أيضاً. لقد ذكر أنَّه قد عُمِّد قسراً، وذلك من دون تغيير مُعتقَداته، وأنَّه قد سخِرَ من مُعجِزات الشّفاء التي يزعمُ أنَّها من عمل القدّيسين.[1] إنَّ جيسيوس، وهو وثنيٌّ ساحرٌ من البتراء دربه يهوديّ في بيئةٍ يسيطرُ عليها المسيحيُّون، قد لا يقدِّمُ لنا على وجه التَّحديد المُنكِر الراديكالي الذي نلقاه بينَ المُشرِكين، لكنَّه يجعلُنا على درجةٍ قريبة جدّاً من مكانَ الميلاد والبيئة الدّينيّة وموقف الازدراء على حدٍّ سواء.

المسيحيّة:

إذا رجعنا بالزَّمن بعيداً إلى الوراء بدرجة كافية على الجانب اليونانيّ الرومانيّ، يصبحُ الكفرُ بالحياة بعدَ الموت شائِعاً هناك أيضاً. إنَّ بعضَ الوثنيّين، ولاسيّما الأفلاطونيّين، يؤمنونَ بخلود الرّوح (أو على وجه التَّحديد في أكثر أجزائها نبلاً، الرُّوح العقلانيّة أو العقل)، ولكنَّ الطبيبَ جالينوس **(توفي عام١٩٩م)**، وهو مُعجَبٌ كبيرٌ بأفلاطون، والذي أصبحَ الجهةَ الطبّية الأكثرَ قراءةً على نطاقٍ واسعٍ في منطقةِ الشَّرق الأدنى، واجهَ مُشكِلةً في الاتّفاق معه،

---

[1] ر. غوليت (محرر)، *Dictionnaire des philosophes anti*ques (باريس، ١٩٩٤-٢٠٠٠)، المدخل. "Ges(s)ios" (ر. غوليت)؛ راجع هـ. ج. ماغولياس، "حيوات القديسين كمصادر بيانات لتاريخ الطب البيزنطي في القرنين السادس والسابع"، *Byzantinische Zeitschrift* ٥٦، ١٩٦٤، ١٣٠، ١٣٢-١٣٣؛ ي. واتس، "الإرث الباقٍ للطبيب جيسيوس"، **الدراسات البيزنطية والرومانية واليونانية** ٤٩، ٢٠٠٩، ١١٣-١٣٣.

قال: "**يبدو أفلاطون مقتنعاً بأنَّ الجزءَ العقلانيّ من الرُّوح خالدٌ، ولكن بالنسبة لي أعتقدُ أنَّه يمكنُ أن يكونَ غير ذلك أيضاً**". وقد تركَ السّؤال مفتوحاً بما أنَّه لا يؤثِّر على المُمارَسة الطبّية.[1] لقد واصلَ العديدُ مشاركةَ شكوكِه، على الرَّغم من التقدُّم الظّافِر للمسيحيّة. وفي الإكليمنضيّات المُزيَّفة، السَّابِق ذكرُها عدّةَ مرَّاتٍ بالفعل، أحد الأبطال وثنيّ رومانيّ المولد، يؤمِنُ بعلم التّنجيم وينكرُ وجودَ الله والعنايةَ الإلهيّة على أساس أنَّ كلَّ شيءٍ يُحكَمُ بالحوادثِ العرضيَّة والقدر، بمعنى الاقترانِ الذي يُحدِثُ ولادةَ أحدِهم؛ فهو يقاومُ تغيُّر دينِه لأنَّه لا يستطيعُ القبولَ بخلودِ الأرواح والخضوع لعقوبة الخطايا. ومن غيرِ المُقترَح ارتباطُه بآلهة أسلافه، أو إلى أيّ مدرسةٍ فلسفيَّة في هذا الصّدد؛ فهو ببساطة لا يستطيعُ أن يُقنِعَ نفسَه بالإيمانِ بإلهِ المسيحيّين، لأنَّ كلَّ ما يعرفُه عن العالمِ يتعارضُ مع ما يمثّلهُ هذا الإله: عالمٌ يفترِضُ أنَّه خُلِقَ معَ وضعِ رفاهيَّة الإنسانِ في الاعتبار، ولغاية أخلاقيَّة للحياة البشرية، ونهاية سعيدة عندما يحصل الجميع على ما يستحقونه من مكافآت عادلة. ونجدُ مع ذلك في الإكليمنضيات المزيَّفة أنَّه يغيِّرُ دينَه في النّهاية تحتَ تأثيرِ ابنِه، وهو المسيحيّ الذي يعلّمُه الفرقَ بينَ الإيمان على أساسِ النّبوءَة (أي الوحي) والفلسفة، وهو أمرٌ تخمينيّ[2]. ونلتقي

---

[1] جالينوس، "إن قوى النفس تابعة لمزاج البدن"، في *Minora Scripta*، ٢، ٣٦: ١٢-١٦؛ جالينوس، "حول ذلك الذي يعتبر رأياً"، في *Minora Scripta* ٤، ٧٦١، ذُكر كلاهما في ماير مايكل بار آشر، "Quelques aspects de l'éthique d'Abū Bakr al-Rāzī et ses origines dans l'oeuvre de Galien" (الجزء ٢)، *Studia Islamica* ،٧٠، ١٩٨٩، ١٢٣-١٢٤.

[2] العظات الإكليمنضية، ١٤، ٣؛ ١٥، ١، ٥؛ ن. كيلي، "مشكلات المعرفة والسلطة في رواية الإكليمنضيات الزائفة عن الاعترافات"، **مجلة الدراسات المسيحيّة المبكرة** ١٣، ٢٠٠٥، ٣٢٠، ٣٣٨-٣٣٩.

في أعمالٍ لاحقةٍ بأمثالِ هذا الرَّجل كمسيحيّين مُشكِّكين ومسيحيّين بالاسم فقط.

يأخذُنا أفراهاط (توفي عام ٣٤٥) إلى الجانب الساسانيّ من الحدود، والذي واجهَ أيضاً قوماً من الذين أنكروا القيامة، وربَّما الآخرة بالإجمال. كانوا سيسألونَ: "ما هو المكانَ الذي يتلقَّى فيه الصَّالحون مكافأةً جيدةً؟ وما هو المكانَ الذي توجَد فيه العذابات؟"، ويعني ذلكَ إنكار وجودها على نحوٍ واضحٍ. لقد كانوا قوماً يتَّصفون بقلةِ الفهم أولئك الذين اعترضوا على الحياة بعدَ الموت، والتي كتبَ عنها أفراهاط في تبياناته عن الموتِ والآخرة.[1]

بعد ذلك بجيلٍ أو اثنَين، كتبَ غريغوريوس أسقف نيصص (توفي بعد عام ٣٩٤) في الأناضول حواراً يأخذُ فيه دورَ المُشكّك المسيحيّ الذي يشتبهُ في أنَّ الرُّوح تموتُ مع الجسدِ، ويعزو الجزءَ المؤمنَ الراسِخ لشقيقتِه ماكرينا. وفي دورِه كمُشكِّك يفسِّرُ غريغوريوس أنَّ الكلمات الإلهيّة تقودُ الإيمانَ بخلودِ الرُّوح، لذلك يقبلُها المرءُ "من خلال نوعٍ من العبوديَّة الباطنيَّة"، وليسَ من خلال الموافَقة الطوعيَّة. إنَّ الدورَ الذي يدَّعيه هو دور عن مسيحيّ يريدُ بحقٍّ أن يؤمنَ بالحياة بعد الموت، لكنَّه لا يستطيعُ ذلك ببساطة، ومع ذلك يخضعُ للسلطة. وتكمُن الصُّعوبة في حقيقة أنَّه عندما يموتُ الجسم، يتحلّلُ إلى العناصر التي كانَ يتشكَّلُ منها. وإذا كانت الروح مركَّبةً من المُركّبات، فإنَّها ستتحلّلُ أيضاً، وبالتالي تزولُ عن الوجود؛ ولو أنَّ الروح كانت موجودةً في العناصر، لكانَت مُتماثِلة معَهم. ومن ناحية أخرى، إذا كانَت طبيعتها مُختلِفة عن طبيعة العناصر، لا يمكنُ أن تكونَ فيهم، لكن لا مكانَ آخرَ يمكنُ لها أن

[1] أفراهاط، **البراهين**، ٨، ١٩؛ ٢٢، ٢٤.

تتواجدَ فيه. كانَ كلُّ شيءٍ يتكوَّنُ من أربعة عناصر (الأرض والهواء والنار والماء)، أو أربع صفات أوليّة (حرارة وبرودة ورطوبة وجفاف)، كانَت أموراً بدَهيَّة وارتكزَت إليها جميع علوم العصور القديمة المُتأخِّرة. تقبلُ ماكرينا ذلك كلّياً، لكنَّها ترفضُ اعتراضات غريغوريوس مثل النوع الذي يقدِّمه الرَّواقيّون والأبيقوريّون: كانَت الأشياء الملموسة لصغار النُّفوس على شكل جدارٍ حَجبَ رؤيتَهم للأشياء التي لا يمكنُ أن يُنظَر إليها إلا من خلال العقل، لذلك كانَ عليهم أيضاً أن يزيلوا من تعليمهم الألوهيّة نفسَها التي تحافظُ على الكون. ولكن أيّاً كانَ من يقولُ "لا إلهَ" هو أحمق، وكما تلاحِظ، نقلاً عن مزمور ١٤: ١، تعلنُ الخليقة خالقَها بكلِّ صراحةٍ. لقد وافقَ غريغوريوس، ومنذُ ذلك الحين فصاعداً، أصبحَ يساعدُ مفهومُ الإنسان في تدبُّر أمر البقيَّة، باعتبارِه صورةُ مُصغَّرة جنباً إلى جنب مع مفهوم الرّوح كصورة الله.[1] وقد عالجَ المشاكلُ المُتعلِّقة بالقيامة الجسديَّة، ويوجدُ أيضاً إشاراتٌ عدائيّة لجدليّين أذكياءَ من الذين يستخدمونَ طرقاً تحليليَّة لقلب الحقيقة فيما يتعلَّقُ بكلتا المجموعتَين من المَشاكل.[2]

نيميسيوس أسقف إميسا، الذي كتبَ في سورية حوالي عام ٣٩٠، لديه فصلٌ يذكر فيه الناس الذين ينكرون امتدادَ العناية الإلهيّة إلى تفاصيل على أساس أنَّ الله لا يمكنُ أن يكونَ المُشرِف على عالم مستوطنة فيه جرائمُ القتل

---

[1] غريغوريوس أسقف نيصص، **عن الرّوح والقيامة** (تحرير وترجمة. ي. راميلي، ميلان، ٢٠٠٧، مع الإبقاء على أرقام الأعمدة؛ *mpg* ٤٦، اللاأعمدة ١١–١٦٠)، الأعمدة ١٧ وما يليها؛ ترجمة س. ب. روث (كريستوود، نيويورك، ١٩٩٣)، ٢٩ وما يليها.
[2] غريغوريوس، عن الرّوح، الأعمدة ٥٣، ١٢٩ وما يليها، ١٥٢–١٥٣؛ ترجمة. روث، ٥١، ١٠٣ وما يليها، ١١٧.

والمظالم والإثم من جميع الأنواع، والذي لا يحكمُه قانونٌ ولا منطقٌ: يعاملُ الخيرُ على نحوٍ غير عادلٍ عموماً، في حين ينمو الخبثُ والعنفُ في السّلطة والثّروة ومواقع القيادة والمصالح الدنيويّة الأخرى.

يردُّ نيميسيوس بأنَّ هؤلاء الناسَ جاهلونَ أشياءَ كثيرةً كما يبدو له، ولاسيّما خلود الرّوح: "لأنّهم يفترضونَ أنّها خالدةٌ وتقيّدُ نصيبَ الإنسان في هذه الحياة"، مُعتبِراً أنَّ "الروحَ تعاني الفناءَ مع الجسد".[١] يقدّم نيميسيوس هنا وجهةَ نظر شعبيَّة، ربّما مُستوحَاة (على الأقلّ في عرضه) من الإسكندر الأفروديسي،[٢] ويمكن أن يكونَ أنصارُها وثنيّين من النّوع الذي واجهَنا في الإكليمنضيات المُزيَّفة، يقولُ نيميسيوس صراحةً أنَّه يكتبُ للوثنيّين والمسيحيّين واليهود على حدٍّ سواء، مُضيفاً أنَّه سيحاولُ إقناع الوثنيّين على أساس الأشياء التي يؤمنونَ بها.[٣] ويجبُ على جمهورِه أنَّ يضعَ في اعتبارِه أنَّ "أكثرَ الإغريق (الوثنيّين) حكمة" يؤمِنُ بتناسُخ الأرواح، على الرَّغم من أنَّ هذا المُعتقَد كانَ "معيباً في بعض الحالات الأخرى".

كتبَ ثيودوريطس القورشيّ **(توفي ٤٦٠ م)** بعدَ ذلك كتاباً كامِلاً ضدَّ مُنكِري العناية الإلهيّة، ونُقِل كتابُه كمُحاضَراتٍ، وربَّما كانَ ذلك في أنطاكية. وتشملُ الأخطاءُ الّتي سردَها: عدم القدرة على الاعتقاد بأيّ شيءٍ خارجَ نطاقِ الحواس؛ وتأليه العناصر؛ وإنكاراً صريحاً للألوهيّة؛ والإيمان بإلهٍ لا يهتمُّ إلا

[١] نيميسيوس الحمصيّ، **عن طبيعة الإنسان** (ترجمة. ر. و. شاربليس و فيليب فان دير إيجك، ليفربول، ٢٠٠٨)، ٢١٣-٢١٤، ٢١٧.

[٢] راجع نيميسيوس، **طبيعة الإنسان**، الملحوظات ١٠٣٠، ١٠٣٢؛ راجع ب. شاربليس، "نيميسيوس الحمصيّ وبعض نظريات العناية الإلهيّة"، *Christianae Vigiliae* ٣٧، ١٩٨٣، ١٤٨ وما يليها.

[٣] نيميسيوس، **طبيعة الإنسان**، ٢٠٤-٢٠٥، ٢١٨، راجع ٧٣-٧٤.

بنفسه في هذا العالم (الموقف الأبيقوري) أو بأيّ شيءٍ تحتَ سطحِ القمر (وهو رأي يعزَى عادةً إلى أرسطو). ثمَّ تنتقلُ القائِمة إلى أولئكَ "الذين يحملونَ لقبَ المسيحيّين الرسميّ"، ممَّا يشيرُ إلى أنَّ أصحابَ المُعتقَدات السّابقة كانوا من الوثنيّين. ولكن ليسَ للأخطاء المُدرَجة للمسيحيّين الرَّسميّين أيُّ علاقةٍ مع العناية الإلٰهيّة، وفي لحظةٍ معيَّنة، يخاطبُ المُنكِرين للعناية مُباشَرة، حيثُ قالَ لهم " أنتم الذين تمَّ تخليصُكم من خطيئة الشّرك، وأقرَّيتم بأنَّ جميع الأشياء المرئيَّة مخلوقة؛ أنتم الذين تعشقونَ خالقَها، تنفونَه عن خلقه، وتؤكِّدونَ أنَّ مثل هذا الكون المأمور لا ربَّانَ له، ليكونَ بلا هدفٍ مثل سفينةٍ بلا دفةِ صابورة".[1]

على ما يبدو، فإنَّ أصحابَ الأخطاء التي ذكرَها كانوا مسيحيّين أيضاً، على الأقلّ من الناحيّة الرسميّة. كانوا يؤمنونَ بالله، أو أنَّ معظمَهم آمنَ بالله، وليس بالعناية الإلٰهيَّة. لكن كما لحظ َ نيميسيوس في رسالته، إذا كانَ الله غير مُعتَنٍ، فهو لا يحمي أو يعاقبُ أو يكافئُ، ولا توجَد أيّ نبوءةٍ، لذلك "من الذي سيعبدُ إلٰهاً لا يمكنُه أن يقدِّمَ لنا عوناً حولَ أيّ شيء؟"[2] ومن دون عناية إلٰهيّة، لكانَ العالم يحكمُه المصيرُ أو مجموعاتٌ عرضيّة من العمليّات الطبيعيّة، و وجودُ الله كانَ غير ذي صلةٍ، أو كاحتمالٍ آخرَ، كانَ "الله" ببساطة عبارةً عن كلمة أخرى لتلك العمليات. و هنا نقتربُ من موقف المُشرِكين الراديكاليّين.

كما يتوقَّع المرء، فإنَّ خصومَ ثيودوريطس ضمّوا أشخاصاً يُنكرون الحياة الآخِرة أيضاً. ويصلُ إلى هذه المسألة في ارتباطٍ مع مُشكِلة أنَّ الفضيلة تذهبُ

---

[1] ثيودوريطس، **عن العناية الإلٰهيّة**، ترجمة. ت. هيلتون (نيويورك، ١٩٨٨)، ١: ١٣ (مع الملحوظات الافتتاحية)، ٢: ٢١.

[2] نيميسيوس، **طبيعة الإنسان**، ٢٠٦.

غالباً من دونِ مُكافأة في حين يزدهرُ الشرُّ، وهي المُشكِلة التي كانت تزعج أيضاً قايين في الترجوم وجمهور نيميسيوس. كما يذكر أنَّ هذا لن يكونَ مُجحِفاً، إذا لم تكن هناك حياة بعد الموت، لكن "هناك حياة أخرى موجودة، وفيها يدفعُ أولئك الذين يهربونَ هنا من العقاب العقوبة الواجبة، والذين لا يتمتّعون بعوائد جهودهم في الفضيلة في الحياة الحالية، سيحصلون على مُكافَأة كفاحهم". ويضيفُ بحذرٍ أنَّه "ربَّما تجدُ نفسك في انسجامٍ معي؟" لكنَّه يعلمُ أنَّ البعض لا يوافقونه، لأنَّه يمضي في مُحاولة لإقناعهم: لم يرسَل إلى الإغريق (الوثنيّين) أيّ نبيٍّ أو رسولٍ أو أحد من تلاميذ المسيح، ولكن على الرَّغم من ذلك، كما يزعَم، كانوا مُقتنعين بهذه الأمور، مُنقادِين وفقاً للطبيعة وحدها؛ وكانَ شعراؤهم وفلاسفتهم على حدّ سواء يؤمنونَ ويعلّمون بأنَّ الأشرار سيعاقَبون وينالون جزاءً عادلاً في الحياة المُستقبليّة، تاركين سجلاً خطّياً من تعاليمهم. "ربّما أنت أيضاً مُقتنِعٌ بالطبيعة (*physei tē*)، بناءً على إرشادات من هذه الحقائق، واقتناعاً بما قيلَ للتو، ستضمُّ صوتك إلى صوتهم و توافقُ على أنَّ هذه الأمور هي كذلك".[1] وكما كانَ الحال مع الوثنيّين الإغريق، كانَ من الضَّروري إقناع أولئك الذين أنكروا كلاً من العناية الإلهيّة والحياة الآخرة بالحجج القائمة على الطبيعة، أي المنطق القائم على ما تراه، وتسمعه، وبطريقةٍ أخرى إدراك الحواس فيما يتعلَّق بالعالم من حولك.

---

[1] ثيودوريطس، **العناية الإلهية**، ٩: ٢٣-٢٤. لقد تمَّ اقناع المُترجِم الإنكليزي "بالمنطق الطبيعي" " tē *physei peithomenous*" (*mpg* ٨٣، ٧٢٩)، وهو تزيين للحقائق (مُبالغة في رواية الحقائق) بدأه المُترجِم اللاتيني وأُعيد إنتاجه بالترجمة الفرنسيّة من خلال ي. أزيما (أتوجَّه بشكري إلى هاينريش فون شتادن للتأكيد على عدم وجود شيء إضافيّ مُتضمَّن).

ثُمّ ينتقلُ ثيودوريطس للنظر في الادّعاء بأنَّ الحياة الآخرة حياةٌ روحيَّة بحتة، ويصلُ في نهاية المطاف إلى مُشكلة القيامة الجسديّة، التي ينكرُها خصومه أيضاً، كما يقول: كانوا يحكمون على الأمور وفقاً لمعايير عجزهم، لأنَّهم كانوا يعتقدون بأنَّ ما كانَ مُستحيلاً بالنّسبة لهم هو مستحيل لله أيضاً؛ لكن الله يمكنُ أن يعيدَ تجميعَ الجسم حتّى بعد أن يتحلَّلَ، ويتحوَّل إلى غُبار وينتشرُ في كل الاتّجاهات، في الأنهار، و في البحار، وبينَ الطّيور الجارحة، أو الحيوانات البريّة، وفي النّار أو في الماء. وقال: "أنا أحضرُ كلَّ ما تبذلونه من أسباب الكفر".[1] إنَّها الأسس التي نلتقي مرَّة أخرى في القرآن. لقد خلقَ الله السَّمَوات برغبته، ويستجيب ثيودوريطس، بأنَّ الله خلقَ الأرض مزيَّنة بالمروج والبساتين وجميع أنواع المحاصيل؛ تكلَّم الكلمة ببساطة، حيثُ ظهرَ عددٌ لا يحصى من المخلوقات الحيَّة على اليابسة وفي الماء وفي الجو: يمكنُه بالتأكيد إحياء الجسد أيضا. كانَ تجديدُ شيءٍ موجود بالفعل أسهل من خلقه من لا شيء. لماذا لم يكن المُعارِضونَ راغبينَ في قبول القيامة، عندَما كانوا يرونَ باستمرار تكرار استنساخها في حياتهم؟ لقد أرسلَ الله المطر من السَّموات، ممَّا سبَّب تبرعُم البذور ونمو النّباتات؛ يجبُ على المُنكِرون النّظر إلى أغصان الكروم وأشجار أخرى، أو إلى أجسادهم؛ كانت طبيعةُ الأجنة والتشكيل الأولي للبشر دليلاً كافياً على القيامة.[2] كانت حجج ثيودوريطس في خدمة القيامة مُتطابِقة إلى حدٍّ كبير مع حجج القرآن. لقد استخدمَها في إثبات العناية الإلهيّة، وعلاوةً على ذلك، تظهرُ خصومه ليكونوا من الجاحدين؛[3] ورفضوا

[1] ثيودوريطس، **العناية الإلهية**، ٩: ٣٤-٣٥.
[2] ثيودوريطس، **العناية الإلهية**، ٩: ٣٦-٤٢.
[3] ثيودوريطس، **العناية الإلهية**، مثلاً: ١: ٣٧؛ ٣: ٢١، ٢٣؛ ٤: ٣٤؛ ٥: ٦.

رؤية السُّبل الرائعة التي كانَ فيها كل شيء في العالم، سواء كانَ ذلك في السموات، والأرض، والحيوانات أو المُجتمَع البشري، قد رتبت لصالحهم. وهنا كما في القرآن الكريم، الاستغاثة هي إلى الله كما رأينا في الطبيعة.

وقيل لنا في زمن ثيودوسيوس الثّاني (حكم ٤٠٨ م حتى ٤٥٠ م)، إنّ بدعةً ظهرَت، وهذا الأمر حيَّرَ الكنيسة. كانَ يقودُها اثنان من الأساقفة، ويفترَضُ أنَّهما تَثقّفا جيداً في الفلسفة اليونانيّة. "بعض الزَّنادقة قالوا إنه لم يكن هناك قيامة للموتى، وقال آخرون إنَّ الجسم المُتفكّك والمُتفسّخ والمُتحلّل لا يمكن إحياؤه، وتلقَّت الروح وحدَها الوعد بالحياة".[١] يبدو أنَّ هناك مُختلِفان هنا، يقول أحدهما إنَّ القيامة من الموت غير موجودة بمعنى لا وجودَ للحياة الآخرة على الإطلاق، وآخر مؤدَّاه أنَّ الرّوح وحدها ستحيا إلى الأبد. كتب ثيودوريطس ضدَّ الموقفَين نفسهما حوالي ذلك الوقت، ولكن ذلك قد يكون من قبيل المُصادفة. ومهما يكن هذا الأمر، تألّفت قصَّة الفتية السَّبعة النائمين (أصحاب الكهف) ضدّ التعاليم "الصدوقيّة" للأسقفين، لتصبحَ الأكثر رواجاً: أخذ التّجار السّريان القصّة على طول الطّريق إلى بلاد الغال، وأخذها المسيحيّون في بلاد ما بين النهرين إلى بلاد الصغد.[٢] وكانت القصَّة

---

[١] أسطورة الفتية السّبعة النائمين في أفسس في النّسخة النثريّة السّريانيّة القديمة، مُترجم. ف. ريسل، في *Archiv für das Studium der neueren Sprachen und Literaturen* ٩٣، ١٨٩٤، ٢٦٣-٢٦٤؛ راجع سيدني غريفِث، "المعرفة المسيحيّة والقرآن العربيّ: "أصحاب الكهف" في سورة الكهف وفي الرواية المسيحيّة السريانيّة"، في جبرئيل سعيد رينولدز (محرر)، **القرآن في سياقه التاريخيّ** (لندن، ٢٠٠٨)، ١٠٩-١٣٧.

[٢] ينظر لرواية غريغوريوس أسقف تور (توفي ٥٩٣ أو ٥٩٤)، التي تُرجمت له من السريانية، ي. بيترز، **الرُّهبان، الأساقفة والوثنيّون** (فيلادلفيا، ١٩٧٥)، ٢٠٢؛ ينظر لرواية بلاد الصغد، نيكولاس سيمز ويليامز، **مخطوطة بلاد الصغد المسيحيَّة 2c** (برلين، ١٩٨٥)، ١٥٤-١٥٧.

معروفة في منطقة الرّسول أيضاً. حيث يروي القصّة كدليلٍ على تهديد / وعد الله، مع التّشديد على التّهديد، وقد كانَ يعرف، المسيحيّين على نحو مُحتمَل، أنّهم على خلاف في مسألة ما إذا كانَ ينبغي إقامة نصب تذكاريّ في موضع النائمين (أصحاب الكهف): "الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا" (انظر سورة الكهف، الآية ٢١). لقد اختلفَ بعضُ الناس، بما في ذلك السكانَ المحليّين كما يبدو، حول عدد النائمين هناك، وتتراوحُ الأعداد بين ثلاثة إلى سبعة، أو أربعة إلى ثمانية بما في ذلك الكلب الذي كان معهم، ولكن لا ينبغي للمرء أن يورّط نفسه في هذه المسألة ولا التّشاور مع أيّ شخص حول هذا الموضوع، كما في قوله: **{سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاء ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا} (سورة الكهف، الآية ٢٢)**. كما كانَ هناك اختلافٌ في الرَّأي حولَ عدد السّنوات التي نام فيها النائمون، لأنّه من وجهة نظر الرّسول، بعثَهم الله **"لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا" (سورة الكهف، الآية ١٢)**. وهنا يعتقدُ المرء أنَّ القصَّة كانت موضعَ الكثير من النّقاش في المنطقة قبلَ وقتٍ طويل من رواية الرّسول لها.

وعلى الرَّغم من جهود ثيودوريطس، لا يزالُ القديس سمعان الأصغر (المتوفّي عام٥٩٢)، وهو مُعاصرٌ لمُحمَّد، يعتقد أنَّ أنطاكية ملوثةٌ بمستهزئين أثمّاء تتضمَّنُ أخطاؤهم إنكارَ القيامة؛ والمُعتقدات ذات العلاقة بالتّنجيم بما في ذلك أنَّ تموضُعَ النّجوم سبب الزلازل والأوبئة والزّنا والقتل؛ و " النَّزعة الآلية" (يعني هذا فرضاً وجهة النظر بأنَّ العالم قد نشأ من تلقاء

نفسه)؛ والعقيدة، وهنا تتَّسم بأنّها مانويّة، أي أنَّ الخلق كانَ نتيجةً للقدر أو للأحداث العرضية. وعندما جاءَ أمانتيوس إلى أنطاكية، الذي قمعَ الثورة السامريّة في ٥٥٥، قامَ بمطاردة وسجنَ وقتلَ أعداداً كبيرةً من هؤلاء الناس، وأحرقَ جميعَ كتبهم وأوقفَ عبادةَ "أنصابهم" في الشَّوارع. كما رأى سميون، كانَ يعملُ أمانتيوس كأداة الله.[١]

ومرَّة أخرى، تستمرُّ الشّهادات بعد الفتوحات العربيّة. لقد كانَ يوجد سريان، في نهاية القرن السّابع، أرادوا معرفةَ كيف كانَ من الواضح عدم موت الرّوح مع الجسد، لأنَّ البعضَ اعتقدَ بصحّة هذا الأمر. ويعتقدُ بعض "السّفهاء من الناس" بأنَّ "الإنسان لا يختلفُ عن الحيوانات في أيّ شيء". و وفاة إنسانٍ أشبه بوفاة حيوان تماماً، لأنَّ (البشر) ليس لديهم روحٌ خالدةٌ. لأنَّه قيل، البشر والحيوانات لهم الموت نفسُه بمُجرَّد إراقة دمائهم".[٢] وبعد خمسين عاماً، قامَ

---

[١] ب. فان دن فين (مُحرّر ومُترجَم)، *La vie ancienne de S. Syméon Stylite le Jeune* (٥٢١-٥٩٢) (بروكسل، ١٩٦٢)، الفقرات ١٥٧، ١٦١. فيما يتعلّق بمُحاولات طيموثاوس الأنطاكيّ في الردّ على وجهة النظر القائلة: "الحياة الحالية فقط حقيقيّة، مليئة بالضّوء والمتعة، ولا يوجدُ ولادة أخرى أفضل، وأكثر إثارة للإعجاب من الحياة الحالية." (وهو مُشابه على نحوٍ ملحوظ للآية القرآنية "وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ"، سورة الأنعام، الآية ٢٩، راجع سورة المؤمنون، الآية ٣٧، سورة الجاثية، الآية ٢٤)، ينظر د. كراوسمولر، "طيموثاوس الأنطاكي: المفاهيم البيزنطيّة عن القيامة، الجزء ٢"، *Gouden Hoorn* ٥، ١٩٩٧-١٩٩٨، http://goudenhoorn.com/2011/11/28/timothy-of-antioch-byzantine-concepts-of-the-resurrection-part-2/، quoting Patrologia Graeca 86, 257c16.-١٩

[٢] مزمور. أثناسيوس، "Quaestiones ad ducem Antiochum"، *mpg* ٢٨، الأعمدة ٦٠٨، ٦٨١ (الأسئلة١٧، ١٣٤)؛ راجع ج. داغرون، "L'Ombre d'un doute: l'hagiographie en question, vie–xie siècle"، *Dumbarton Oaks Papers* ٤٦، ١٩٩٢، ٦٢-٦٣ (أتوجَّه بشكري إلى يانيس بابادويناكيس على هذه المراجع).

مجمعُ هييرية، الذي عُقِد في عام ٧٥٤، بتأديب أيّ شخصٍ "لا يعترفُ بقيامة الموتى، ويوم الحساب".[١] ولكنّنا نسمعُ المزيد عن هؤلاء الناس في الإمبراطوريَّة الساسانيَّة السّابقة. حيث يخبرُنا بيوحنان بر فنكاي أو يوحنا ابن الفنكي، الذي كتبَ في تسعينيَّات القرن السّادس، أنَّ الشياطين مسؤولةٌ عن عدد من الأخطاء. بعضهم أقنعَ الرّجال "أنَّه لا يوجد إله على الإطلاق، والبعض الآخر أنَّ هناك إله لكنَّه من لدن العناية الإلهيّة ... وقد أقنعوا الآخرين بتسمية العناصر الصَّامتة الله".[٢] ويبدأ المُسلمونَ بعد ذلك بوقتٍ قصير إخبارَنا عن هؤلاء الأشخاص تحتَ مُسمَّى "أصحاب الدَّهر".

إنَّ مُصطلَح "دهريّ" هو مُصطلحٌ شامِلٌ لكلّ من كذَبَ أو أنكرَ الخلقَ من العدم، وبالتالي أولئك الذين طرحوا كمُسلّمَة مبدأ وجود شيءٍ أزليّ جنباً إلى جنبٍ معَ الله، بقدر ما كانَ يعزَى العالم إلى الله تقريباً. وبهذا المعنى الواسِع كانَت الدَّهرية تشملُ المانويّين وغيرهم من أتباع الثنويَّة. وعلى نحوٍ أكثر شيوعاً، كانوا أصحاب الطّبائع. حيثُ يعتقدُ أصحاب الهيولى أنَّ الله قد خلقَ العالم من المادَّة الأوليّة قبلَ الأبديَّة (hylē كلمة يونانيَّة\ تعني الأصل أو المادَّة)، أو الاعتقاد بأنَّ العالم نشأَ من تلقاءِ نفسه مُنبثِقاً من هذه المادَّة. ويعتقدُ أصحاب الطّبائع عادة أنَّ المكوَّنات النّهائية في العالم هي الصّفات الأوليّة الأربع (طبائع "طبيعة")، الحرارة والبرودة والرُّطوبة واليُبوسة، التي كانت

[١] م. ف. أناستوس، "الجدال حول تحطيم الأيقونات كما تمَّ تقديمه في مجمع هييرية لتحطيم الأيقونات عام ٧٥٤"، في كتاب ك. فيتزمان (محرر)، **دراسات القرون الوسطى والكلاسيكيّة المُتأخّرة تكريماً لـ أ. م. فريند، jr** (برينستون، ١٩٥٥)، ١٨٦.

[٢] يوحنّا ابن الفنكي، **كتاب النقاط البارزة عن تاريخ العالم الدنيوي**، مخطوطة مينغانا السريانية. ١٧٩، الميمر ٩، قدمه لي ريتشارد باين بكل كرم.

موجودة دائماً في اتحاد، والتي تم إعادة تجميعها وحلها باستمرار، وهو ما يمثل كل ما نراه من حولنا. إنَّ العالم، وليس مكوناته النهائية فحسب، كانَ موجوداً دائماً وسيبقى. لقد اعتقدَ البعض أنَّ يكون هناك "طبيعة" خامسة تنظّم عمل الطّبائع الأربع الأخرى، وعادة في شكل روح أو أفلاك سماوية، وآمنَ البعض أنَّ الله خلق العالم من الطّبائع الأزليّة؛ ولكن أَصرَّ "الدَّهريّ الأصيل" على عدم وجود خالق أو حاكم بأمر العناية الإلهيّة (مدبر)، ولا وجود لملائكة أو أرواح أو رسل أو أنبياء أو كتب مُنزلة أو نواميس مقدَّسة أو جزاء بعد الموت أو حياة آخِرة بأي شكل من الأشكال إطلاقاً.[1]

وباختصار، أينما نظرنا، فإنَّ أتباع وجهة النظر البدَهيَّة التي تقول إنَّنا نموتُ عندما نموتُ، صامدون ضدَّ إجماع جديد يقول إنَّنا سنبقى على قيد الحياة، بل وسنستعيدُ أجسادنا، وهو رأي يدعمه على نحوٍ رسميّ كل من المؤسَّسات الرُّومانيّة والسَّاسانيّة، غالباً بالقوَّة، وأيضاً الحاخامات. إنَّ أولئك الذين يعارضونَ الإجماع هم في بعض الأحيان مُتحوِّلٌ حديث و/أو مُتردِّد اعتنقَ المسيحية أو الزّرادشتيّة أو الحاخاميَّة الأرثوذكسيَّة، أو حتى الوثنيّين على نحو علني، ولكنَّهم يشملون أيضاً الأشخاص الذين انتقلوا من الموروث

---

[1] *الموسوعة الإسلامية، الطبعة الثانية*، المدخل. "الدّهرية" (غولدزيهر وغويشون)؛ *EIr*. المدخل، "الدّهري"، *الطبعة الثالثة*، المدخل. "أصحاب الدهر" (كرونة)؛ باتريشيا كرونة، " أصحاب الدّهر وفقاً للجاحظ"، *Mélanges de l'Université Saint-Joseph* ٦٣، ٢٠١٠-٢٠١١، ٦٣-٨٢ [محرر: أعيدت طباعته في باتريشيا كرونة، **الإسلام، الشَّرق الأوسط القديم وتنوُّع الإلحاد**، المُجلَّد ٣ من **دراسات مُجمَّعة في ثلاث مُجلَّدات**، محرر. ه. سيوروا (لايدن، ٢٠١٦)؛ المقالة ٥]: باتريشيا كرونة، "الكونيات الكافِرة"، في س. شميدتك (محرر)، **كتيب أوكسفورد للاّهوت الإسلامي** (أوكسفورد، ٢٠١٦) [مُحرَّر: أعيدت طباعته في كرونة، **الإسلام، الشَّرق الأوسط القديم وتنوُّع الإلحاد**، المقالة ٦].

الأرثوذكسي إلى الشّكّوك والإنكار والتي أصبحت الآن سمة من سمات الوثنيّة: [1] وبالتالي يفترض المرء أن بورزو واليهود كانوا وراء قايين في الترجوم، وأهداف رواية جستينيان القصيرة. كما توضّح تقارير نيميسيوس و ثيودوريطس، فإنَّه غالباً ما تكونُ الشّكّوك مُرتبِطة بفلسفةِ الإغريق وغيرها من العلوم، ويقترحُ ذلك أيضاً في أنَّ العديد من الدَّهرية، مثل بورزو، كانوا من الأطباء وعلماء الفلك وغيرهم ممَّن يهتمُّون بأعمال العالم الطبيعيّ. يبدو أنَّ ما يحاربَه الرّسول في القرآن هو الشّكّل العربيّ لهذه الظَّاهرة العامَّة في الشَّرق الأدنى.

المُفسِّرون و أصحاب الدَّهر:

ربَّما استحدثَ المسلمون مُصطلَح "دهريّ" بالإشارة إلى الآية رقم ٢٤ من سورة الجاثية، اعترافاً بأنَّ الكتابَ كانَ يتحدَّثُ عن الكافرين الرّاديكاليين من النّوع نفسه الذي يواجهونَه الآن في الأراضي التي احتلَّت.[2] ومع ذلك، لم تبدر عن المُفسِّرين الأوائل وجميع أهل الأثر أية إشارة أو تلميح حول هذا الأمر. كانت عيونُهم ثابتة على الجزيرة العربيّة مثلما كانَت عيون الحاخامات البابليّين على فلسطين، وكانَ كلّ ما أخبرونا به عن المُنكِرين للآخِرة في القرآن، هو أنَّ المُشرِكين من مكة، أو العرب في الجاهلية، لم يؤمِنوا بالقيامة أو الحياة بعد الحياة. نودُّ لو نعرفَ ما الذي قاله الأوائل من أهل الكلام بين المُفسِّرين حولَ

[1] فيما يتعلَّق بالإلحاد كخاصّية وثنيّة، ينظَرُ يوحنا ابن الفنكي أعلاه، الملحوظة ٧٥. ثيودور بار كوني، *Scolies*، الميمر ١، ٢٩.

[2] وهكذا *EI2*، المدخل. "الدّهرية"؛ *EIr*، المدخل. "الدهريّ"؛ م. ج. مكدرموت، "أبو عيسى الورَّاق عن الدّهرية"، *Mélanges de l'Université Saint-Joseph* ٢، ١٩٨٤، ٣٨٧ (لكن لم يوافق الجميع).

الموضوع، لكن يبدو أنَّ أولَ مُتكلِّم تمَّ الحفاظ على آرائِه هو أبو عيسى الورَّاق (أواخر القرن الثّالث / التّاسع). كتبَ أبو عيسى عن المذاهب الدينيّة، لا عن القرآن، لكنَّه ضمَّ العرب ما قبلَ الإسلام إلى عمله، وأعادَ بناء مُعتقَداتهم على أساس القرآن؛ بعبارة أخرى، لقد شاركَ في المشروع ذاته مثلما نسعى في هذه المادَّة، إلا أنَّه ساوى ضمنيَّاً بينَ جمهور الرّسول و العرب ما قبلَ الإسلام بشكلٍ عام. وفقاً لما يراه، فإنَّ بعضَ العرب يؤمنونَ بالله، والخلق والقيامة، لكن يعبدون "الأصنام" (أي الكائنات الأدنى) للتقرُّب إلى الله (راجع سورة الزمر، الآية ٣)، وشاركوا في مُختلَف المُمارَسات الطقسيّة لتحقيق هذه الغاية؛ يؤمن آخرون بالله والخلق، ولكن لا يؤمنونَ بالقيامة؛ ولا يزالُ آخرون ينكرون الخالق ويميلون إلى التعطيل(*) (تجريد الله من صفاته أو إزالته تماماً) والدَّهرية (القول بالدَّهر)؛ كانوا هم الذين قالوا: **"وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهر وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ" (سورة الجاثية، الآية ٢٤).**[١] وباختصار، وصلَ أبو عيسى إلى المجموعات الثلاث من الكفَّار ذاتها مثلما يقترحُ في هذه المقالة: المُشرِكون التقليديّون، المُنكِرون التقليديّون و المُنكِرون الرّاديكاليون.

كيفَ استنتجَ أبو عيسى وجودَ مُشركين يؤمنون بالقيامة؟ لسوء الحظّ لا يقولُ لنا، ولا يقدّم عبد الجبار، الذي يستشهدُ به، سوى معلومات من

(*)[تعليق المترجم: معطلة العرب وفي معتقداتهم يقول عبد الكريم الشهرستاني: فصِنفٌ منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة، وقالوا بالطّبع المُحيي، والدَّهر المفني، الملل والنّحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الطبعة الأولى/٢٠٠٥، ص:٣٨٥-٣٥٩-٣٦٠.]

(١) أبو عيسى الوراق في عبد الجبار، **المغني**، ٥، محرر. محمّد محمود الخضيري (القاهرة، ١٩٦٥)، ١٥٦.

التّراث.[1] ولا نستطيعُ الحصول على أيّ تفسير لأبي منصور محمّد بن محمّد الماتريدي السمرقندي أيضاً. حيثُ يخبرُنا الماتريدي أنَّ بعض المُشرِكين يؤمنونَ بالقيامة في حين ينكرُها آخرون من خلال الدَّهرية.[2] كما يقول إنَّ المكّيين أدرجوا في مجموعات مُختلِفة: بعضهم كانوا موحَّدون نفوا القيامة؛ وكانَ آخرون مُشرِكين [مُنقسِمين حول القيامة؟]، وانضمَّ بعضُهم إلى مذهب أهل الدَّهر.[3] تبدو تلك الفرق بأنَّها الفِرق الثلاث نفسها، باستثناء أنَّ الفرقة الأولى هي الآن مجموعة من الموحّدين حتّى وفقاً لمعايير الماتريدي. ويقولُ في مقالٍ آخر باعتقاد إحدى الفرق بحدث العالَم وإقرارهم بفنائِه، لكنَّهم ينكرون إحياءَه بعد الفناء، في حين تذهبُ فرقة أخرى بمذهب أهل الدَّهر، لأنَّهم يقولونَ بقِدم العالَم ولا يقولون بفنائه.[4] يقدّم لنا ما سبَق مذهبين مُختلِفين أيدهما المُنكِرين، وذلك في عصره على نحو مُحتمَل، مع أنَّنا نود لو نعرفُ كيفَ قرأ عنهم في القرآن. لقد قدّمَت جميع الفرق كمُعطيات لتوضيح المقاطع غير الواضِحة ولكن غالباً ما تتركُ من دون ذكر في تعليقاته على الآيات المُشيرة إليهم والأكثر وضوحاً. وبالتالي يرى الماتريدي في احتمال أن يكونَ مُنكِرو الحياة الآخرة في الأمة التي اختفت من الثنوية أو الدَّهرية في الآية ٣٧ من سورة

[1] يخبرُنا بوجود أخبار عن عبد المطلب، زيد بن عمر وأوس بن ساعدة تشيرُ إلى أنَّهم يؤمنونَ بالخالق والقيامة؛ أمَّا في حال كانَ يعتبرُهم مُشرِكون فهذا غير واضِح (عبد الجبار، المغني، ٥، ١٥٦).

[2] الماتريدي، **تأويلات القرآن**، محرر.بـ. توبالوغلو وآخرون (اسطنبول، ٢٠٠٥–٢٠١٠)، ١٥، ٤٤، ad ٥٨ : ٩.

[3] الماتريدي، **تأويلات**، ١٤، ٣٣٩، ad ٥٧ : ٨.

[4] الماتريدي، **تأويلات**، ١١، ٤٠٥، ad ٣٤ : ٧.

المؤمنون،[1] ويذكرُ وجود دهريّة في مكة في تعليقاته على الآية ٣٦ من سورة القيامة "**أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى**"؟ [2]، لكنّه لا يذكرُ الدَّهرية في تعليقاتِه على الكفَّار الذين قالوا وما يهلكُنا إلا الدَّهر.[3] ويخبرُنا أيضاً بأنَّ المنافقين في المدينة: إما أنَّهم كانوا دهرية فنافقوا أو كانوا أهل كتاب فنافقوا، لكنه يقول ذلك في شرح للآية ١٣ من سورة الحشر، للناس الذين لا بصيرةَ لهم (قَوْمٌ لّا يَفْقَهُونَ)، والذين من المُمكن أن يكونوا أي الصّنفين،[4] وليس في اتّصال مع الآيات التي توحي بالدَّهرية فعلاً. وفي تعليقاته على الآية ١٥٠ من سورة النّساء، عن أولئك "**الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**"، يعرّف الذين يكفرونَ بالله على أنَّهم دهرية، ويفهم التتمة "ورسله" كإشارة للّذين يؤمنونَ بالله ويكفرونَ بالرّسل كلهم؛ لكنه تفسيرٌ مُصطنَع بالنَّظر إلى استمرار المُتّهمين بإعلان إيمانهم ببعض (الرّسل) في مَعزل عن بعض الرُّسل الآخرين؛ يتَّخذُ الماتريدي ذلك على أنَّه قيلَ من فرقةٍ ثالثة من الناس.[5] يكون لنا ذلك انطباعاً بأنَّه يضغطُ في الدَّهرية في تفسيره للمقاطع المُثبتة على نحوٍ موثَّق من خلال المُفسِّرين الأوائل، وأنَّه من المُمكِن أنَّ يكون قد حصلَ على فرق المُشرِكين الرّئيسة الثلاث من أبي عيسى، مملوء بمعرفة استناداً إلى تجربته الخاصة. ومع ذلك، فإنَّه من اللافت قبول أبي عيسى والماتريدي وجود مُشارِكين يؤمنون

---

[1] الماتريدي، **تأويلات**، ١٠، ٢٨.
[2] الماتريدي، **تأويلات**، ١٦، ٣٠٩، ٧٥: ٣٦.
[3] الماتريدي، **تأويلات**، ١٣، ٣٣٦، ٤٥: ٢٤.
[4] الماتريدي، **تأويلات**، ١٥، ٨١، ٥٩: ١٣.
[5] الماتريدي، **تأويلات**، ٤، ٩٤، ٤: ١٥٠.

بالقيامة كأمرٍ مفروغٍ منه، وهو موقف قد يبدو لمُعظَم الإسلاميين وكأنَّه مُحاوَلة تعديل مُتطرِفة.

إنَّ رواية أبي عيسى، المذكورة أعلاه من خلال عبد الجبار، استخدمت أيضاً من الشهرستاني **(توفي عام ١١٥٣/٥٤٨)**، الذي يستشهِد بعددٍ أكبر من الآيات لتوضيح المجموعات الثلاث، وربّما في إعادة لإنتاج نسخة عن كتابات أبي عيسى أو جمعها بنفسه. ومع ذلك، تركنا مرَّة أخرى من دون موادّ توضيحيَّة للمجموعة الأولى، أي المُشرِكين الذين آمنوا في القيامة، حيثُ إنَّ الآيات التي أدلى بها تتعلّق بمواقفَ أخرى لهم. أمَّا بالنسبة للمجموعة الثانية، فإنَّ اختيار الشَّهرستاني للآيات أمرٌ مُدهِشٌ. فهو لا يقدِّمُ أي من تلك المواد الواردة في هذه المقالة، بل بالأحرى يفردُ المقاطع التي يجادلُ فيها الله، من الخليقة حتى القيامة، على سبيل المثال الآية ٧٨ من سورة يس، عن الذي **{ضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ}**، أو الآية ١٥ من سورة ق، التي ينفي فيها الله استنزاف قواه بالخلق الأول، كما في قوله: **{أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ}**، مُعلِناً ارتباكَ الخصوم من خلق جديد. و وفقاً للشهرستاني، يجادلُ الله هنا في فرضيّات الكفَّار المنطقيَّة: يعتقدُ الخصوم بالخلق الأوّل، يتعيَّن لذلك أن يؤمنوا بالقيامة أيضاً. حسب علمي، لا يوجدُ شيءٌ في هذه الآيات لإظهار تقاسُم الكفَّار لفرضية الرّسول، ولكن بالطبع يوجدُ آياتٌ أخرى تبيِّن إيمانَهم بالخلق الأوّل، ولذلك ربَّما يكون الشهرستاني على حقٍّ. أمَّا فيما يتعلَّقُ بالمجموعة الثالثة، فهو يستشهدُ فقط بالآية المعروفة ٤٥:رقم ٢٤ من سورة الجاثية التي سبق وقدَّمها أبو عيسى نفسه، لكنَّه يضيفُ اعتقاد هؤلاء المؤمنين بأنَّ الطبيعة هي من يمنح الحياة، والدَّهر

مهلكها؛ وعندما قالوا "مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا"، كانوا يلمحون إلى الصّفات الأوليّة (الطبائع) التي يمكنُ إدراكها في هذا العالم السفليّ، واختزال الحياة والموت إلى تركيب وفناء هذه الصفات.[١] وباختصار، يصف هؤلاء المؤمنين بأنّهم دهرية وأصحاب الطبائع.

لقد أصبحَ ذلك في الواقع وجهة نظرٍ مُشتركة بحلول القرن الرابع / العاشِر. ويعتقد علي بن إبراهيم القمّي من فقهاء الإمامية بأنَّ الآية رقم ٨٢ (سورة المؤمنون) والآية رقم ٢٤ (سورة الجاثية) موحَىً بها عن الدَّهرية المألوفة له كمُسلمين غير صادِقين تحوَّلوا عن دينهم خوفاً على حياتهم أو مُمتلكاتهم.[٢] وكانَ الفيلسوف محمد بن يوسف العامريّ **(توفي ٣٨١ / ٩٩٢)** ضد الدَّهرية، واعتقد أيضاً بأنَّ الآية رقم ٢٤ (سورة الجاثية) موحَىً بها عنهم.[٣] ويبيّنُ فخر الدين الرازي **(توفي ٦٠٦/١٢٠٩)** اشتراك أولئك الذين قالوا "وما يهلكنا إلا الدَّهر"، في الرّأي القائل إنَّ تولُّد الأشخاص كانَت بسبب حركات الأفلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع، وإذا وقعت تلك الامتزاجات على وجهٍ خاص حصلت الحياة، وإذا وقعَت على وجهٍ آخرَ حصلَ الموت، بحيثُ لا حاجةَ في هذا الباب إلى إثبات الفاعل المُختار (الخالق).[٤] ويوضِّح

---

[١] الشهرستاني، كتاب المِلل والنّحل، محرر. و. كوريتون (لندن، ١٨٤٢-١٨٤٦)، ٤٣٢؛ محمّد سيد الكيلاني (القاهرة، ١٩٦١)، ٢، ٢٣٥؛ مُترجَم. د، جيمارت وج. مونوت، Livre des religions et des sectes (يونيسكو، ١٩٨٦)، مترجم. ٢، ٤٩٧. ولسوء الحظّ، لم يكن لدى ابن الملاحمي فصل عن العرب قبلَ الإسلام، وهو المصدر الأفضل لأبي عيسى.

[٢] القمّي، تفسير (بيروت، ١٩٩١)، ٢، ٦٨، ٢٧٠.

[٣] العامريّ، كتاب الأمد على الأبد، مُحرّر ومُترجَم. ي. روسون، فيلسوف عربيّ عن الرّوح وقدرها (نيو هافن، ١٩٨٨)، ٩، ١ (١٦٠=١٦١).

[٤] الرّازي، تفسير، الجزء السّابع والعشرون، ٢٦٩-٢٧٠.

ابن كثير أنَّ الآية تعبر عن " قول الدَّهرية من الكفَّار ومن وافقَهم من مُشرِكي العرب في إنكار المَعاد (القيامة)"،[1] وهلمَّ جرا: بل إنَّ المُفسِّرين كانوا سعداء بإثبات الهويّة الآن.

وربَّما يكون كل هؤلاء المُعلّقين مُذنبين بتهمة المُفارَقة التاريخيَّة، حيثُ لا يوجدُ لديهم أدلّة مُستقِلة للدَّهرية أو أصحاب الطبائع في أي من شبه الجزيرة العربيّة أو في أي مكانَ آخر قبلَ ظهور الإسلام. يقولُ الأديب أبو العلاء المعرّي (المَذهب ٤٤٩/١٠٥٨) إنَّ الأباطرة الفرس سيضطهدون الزَّنادقة من النَّوع الذي يدعى دهريَّة، والذي يمكنُ أن يعبّر عن رواية تاريخيَّة، لكنَّه قد يكون مُجرَّد تحديث للحقيقة المعروفة في اضطهاد الساسانيّين للمانويين.[2] و قد يحدثُ أن يستنتجَ المُفسِّرون ببساطة من صياغة نص الآية ٢٤ سورة الجاثية، أنَّ الآية يجب أن تتحدَّث عن مُنكِري الحياة الآخرة من النّوع الذي عرفوه من منطقتهم وزمانهم.[3] و ما زلنا بعدَ قرونٍ عديدةٍ لا نملكُ أي دليلٍ مُستقل على الدَّهرية في الجزيرة العربية، لكنّنا نعرفُ على الأقلّ أنَّهم كانوا مُمثّلين تمثيلاً جيدا في الشرق الأدنى بشكلٍ عام في وقت ظهور الإسلام. وعلى هذا الأساس، يميلُ المرءُ للاستنتاج بأنَّ المعلّقين المُذنبين بالمُفارقة التاريخيّة كانوا على حقٍّ. ويبدو أنَّ المُنكِرين للآخرة في القرآن يمثّلون في الواقع نسخةً عربيةً للاتّجاه الأوسع المُسمى بالدَّهرية عندَ المسلمين بعد غزوِهم للشرق الأدنى.

---

[1] ابن كثير، تفسير (القاهرة، بلا تاريخ)، ٤، ١٥٠، مع انتقاد "فلاسفة التوحيد".

[2] المعريّ، رسالة في الغفران (بيروت، بلا تاريخ)، ٢٩٤ (رد على ابن القريح، المتنبي، شكوى الدهر).

[3] بالمثل تامر، Zeit und Gott، ١٩٤، عن الشهرستاني. ينطبقُ الشّيء عينه على الشّريف المُرتضى، الأمالي، محرر. م. أ. ف. ابراهيم (القاهرة، ١٩٥٤)، ١، ١٢٧. ١٠.

الخلاصة:

لقد ناقشَت هذه المقالة أنَّ المُشرِكين في القرآن كانوا موحّدين في المعتقَدات التوراتيّة التي استمدَّت تعاليمها من اليهوديَّة أو شكل من أشكال المسيحيَّة الأقرب إلى جذورها اليهوديَّة ممَّا كانَ عليه الحال عادة. على الأرجح كانوا شكلاً محلّياً من المسيحيَّة اليهوديَّة و مصدرنا الوحيد عنها هو القرآن،[1] ولكن ذلك أكثر مما يمكنُ استدلاله من الأدلَّة المُقدَّمة هنا. رسمياً، يبدو أنَّهم لا يزالون وثنيّين بدلاً من مُتحوّلين، ولكن التوحيد من النوع المُتأصِّل في الكتاب المُقدَّس هو الشّكّل المهيمن للدين في مُستوطناتهم. والدّليل الرّئيس على ذلك هو أنَّهم يفكِّرون في "الموت الأوّل" و"الموت الثّاني"، وينكرونَ الموت الثّاني في ترتيبٍ مقلوب مُتأصِّل في سفر التثنية ٣٢:٣٩. ويوجَد احتمالٌ واضِحٌ في أنهم كانوا مُتعبِّدين لله يشكّلون غباشة من الأغيار حولَ جماعة مسيحيَّة يهوديَّة.[2] ويبدوا أنَّهم نشؤوا، جميعهم أو مُعظَمهم، كمؤمنين بالقيامة. كانَ يؤمنُ عددٌ منهم في القيامة أيضاً، وذلك دونَ إيلاء اهتمام كبيرٍ لها في حياتهم اليوميَّة، أو أنَّهم كانوا على يقين بأنَّهم سيخلَّصونُ، ربَّما لأنَّهم قد تشرَّبوا هذا الرأي من مُرشديهم اليهود. وحتَّى أولئك الذين آمنوا بالله والكائنات الأقلّ، كانوا

[1] راجع شـ. إ. فونروبرت، "مسيحيّون يهود، ويهوديّون، ومسيحيّون مُناهِضون لليهوديّة"، في ف. بوروس (تحرير)، تاريخ الشَّعب عن المسيحيَّة، ٢ (المسيحيَّة القديمة المُتأخِّرة) (مينيابوليس، ٢٠٠٥)، ٢٣٥: يجبُ أن نتخلّى عن افتراض حركة مُتماسِكة وموحَّدة نوعاً ما للمسيحيَّة اليهوديَّة، ونفترضُ بدلاً من ذلك "عدداً من الصّراعات المُحدَّدة محلّياً حولَ الصّيغ القانونيّة للمسيحيّة التي قد لا تكونُ مُرتبطة بشكلٍ مُباشَر معَ بعضها البعض إطلاقاً".

[2] راجع جـ. رينولدز و ر. تننباوم، يهودٌ ومُتعبّدون لله في أفروديسياس: النّقوش اليونانيّة مع التّعليق (كامبريدج، ١٩٨٧)، ٤٨-٧٧، الذي يحلُّ محلَّ جميع المُعالجات السّابقة. تقارير كيرلس الإسكندري عن متعبّدين لله في فينيقيا وفلسطين في القرن الخامس. آخر دليل هو نقشٌ من إيطاليا في القرن السّادس (الصّفحات ٥٣ و ٦٣ و ٦٥ و ٦٦).

عرضة للكفر في القيامة، ومع ذلك، رفضَ البعض ذلك تماماً، واستبعدوا أيَّ شكل من أشكال الحياة الآخرة في أسلوبٍ أَبديّ لا يتركُ مَجالا لله، أو على الأقلّ ليسَ للإله الذي خلقَ العالم، وحكمه، والذي سوفَ يجلسُ في يوم الحساب ليحكمَ على العالم. ويبدو أنَّ جميع المُشكِّكين والمُنكِرين قد نثروا وجهات نظرهم في مُناظَرات من النَّوع الشَّعبيّ في جميع أنحاء الشّرق الأدنى في ذلك الوقت؛ كانَت البيئة كلَّها محلَّ نزاعٍ شديد؛ وكانَت شكوكُهم وتكذيباتُهم معروفة جيداً خارج شبه الجزيرة أَيضاً، مشهودة بينَ الزَّرادشة واليهود، والوثنيّين والمسيحيّين على مدى عدَّة قرون قبلَ ظهور الإسلام. وباختصار، فإنَّ الجدلَ القرآني يشكّلُ جزءاً من الصّراع الأوسع في الشَّرق الأدنى بينَ المُؤيّدين والمُنكِريم للقيامة والآخرة.

القسم الثّاني

المسيحيّة اليهوديّة والقرآن

(الجزءُ الأوّل)

المسيحيَّة اليهوديّة والقرآن(*)

(*)تدلُّ المراجعُ الوارِدة في الصّيغة مثل "ينظر رقم ١٠" إلى "الفصول" المرقَّمة في هذه المقالة. حيثُ يتمُّ في بعض الأحيان تقسيمها إلى (أ) و (ب).أودُّ أن أشكرَ مايكل كوك وآدم سيلفرستين وسارة سترومزا للتعليق على مسودَّات سابِقة من هذه المادّة.

١- المقدّمة:

إنّ مُصطلَح "المسيحيَّة اليهوديّة" حديث بالنسبة لمعتقدات أولئك الذين اتبعوا يسوع و رأوا العبادة تُجاه يسوع كجزء من عهد الله مع إسرائيل، وليس كنقل لوعد الله بالخلاص من اليهود إلى باقي الأغيار (أو الأمم غير اليهوديّة)(*). لقد اعتبرَ بعضُهم يسوع كنبيّ، و نظرَ إليه آخرون كقوَّة سماويَّة، لكنَّهم حافظوا على هويتهم اليهوديّة واستمرُّوا في التَّقيّد وإقامة الشَّريعة.[١] كانَ كلُّ المسيحيُّون الأوائل يهوداً، ولكنَّهم لم يكونوا كلَّهم مسيحيّين يهود من خلال هذا التَّعريف، فقد اختلفوا حولَ ضرورة الحفاظ على الشَّريعة بعدَ مجيء المسيح.والسَّؤال ما إذا كانَ على المُؤمنين في المسيح من الأغيار (أو الأمم غير اليهوديّة) اجتياز عمليَّة تحويل كامِلة إلى اليهوديّة، وهي مسألةٌ مُثيرة للجدل في العهد الجديد. لقد تمَّ تقديمُ بولس وخصومه بالماضي، رؤساء كنيسة القُدس، على أنَّهم يَقبلونَ بأنَّ المسيحيّين من الأغيار (أو الأمم غير اليهوديّة) لا يتوجَّبُ عليهم أن يُختنوا، أو بصورة مُختلِفة، لا يتوجَّب عليهم إقامة الشَّريعة اليهوديّة (مع بعض الاستثناءات)، ولكن في حين كانَ بولس "الرّسول إلى الأغيار (أو الأمم غير اليهوديّة)" يبدو سعيداً بفكرةِ أنَّ أيّ مؤمن بالمسيح يتخلَّى عن شريعة اليهود، فإنَّ خصومه أصرُّوا على أن

(*)[تعليق المُترجم: مُصطلَح استخدَمه اليهود للإشارة إلى أي أمَّة غير يهوديّة، وقد استخدموا هذه الكلمة بازدراءٍ].

(١) يعودُ الفضل في تعريفَي المُعتدل للمسيحية اليهوديّة لإدوين كيث برودهيد، *الأساليب اليهوديّة لاتّباع يسوع* (توبينغن، ٢٠١٠)، على سبيل المثال، ١٦١. لمُناقَشةٍ مُطوّلة عن المُصطلَح، ينظرُ جيمس كارلتون باجيت، "تعريف مُصطلَحات المَسيحيّ اليهوديّ والمسيحيَّة اليهوديّة في تاريخ البحوث"، في *المؤمنين اليهود بيسوع*، مُحرَّر. أوسكار سكارسون و ريدار هفالفيك (بيبودي، ماساتشوستس، ٢٠٠٧)، ٢٢-٥٢.

أولئك الذين ينتمونَ إلى أصلٍ يهوديّ يجبُ أن يواصلوا مُمارَسة هذه الشَّريعة.كان ذلكَ هو الموقفُ اليهوديّ المسيحيّ.وذلك يشبهُ قليلاً القولَ في عصرنا الحالي بأنَّ غير المُسلِمين الذين يَنجذبونَ إلى الصُّوفيّة، يمكن قبولهم على أنَّهم مُتصوِّفون من دون تحويلٍ كامِلٍ للإسلام، في حين يجبُ على أتباع الصُّوفيّة من أصلٍ مُسلِمٍ الاستمرار في إقامة الشَّريعة الإسلاميَّة.

لم يكن حلاًّ ثابتاً على المدى الطويل، وعلى الرَّغم من انتشار المسيحيَّة بين الأغيار (أو الأمم غير اليهوديّة)، وأصبحَ الأغيار (أو الأمم غير اليهوديّة) القوَّة المُهيمنة. لقد مُنعت الآن احتفالات الشَّريعة اليهوديّة وهُمِّش المسيحيّين اليهود، ليكونَ وصفهم من الكتاب الآبائيّين في القرن الثالث والرّابع تحتَ أسماء الإبيونيّين والنّصارى والكسائيّين.[1] وعلى الرَّغم من هذه التَّصنيفات، فإنَّ من الخطأ اعتبارِهم مُقسمينَ إلى ثلاثة طوائف مُحدّدة بصورةٍ منظمة.وبالأحرى، لقد شكّلوا مجموعة واسعة من المَسيحيّين الذين لم ينظروا إلى المسيحيَّة كدين يلغي اليهوديّة. وتظهر وجهات نظرهم في آراء أولئك المسيحيّين الآخرين الذين اتبعوا جوانب مُحدَّدة من الشَّريعة مثل: الختان أو الاحتفال بيوم السَّبت أو تجنُّب أكلِ لحم الخنزير (كما فعلَ المسيحيُّون الإثيوبيُّون والعديد من "المسيحيّين" السّريان)،[2] أو الّذين فسَّروا رسالة

---

[1] جمعت شهاداتهم وترجمت على نحو مفيد في ألبيرتوس فريدريك يوهانس كليجن و ج. راينينك، *الدليل الآبائي للطوائف اليهوديّةالمسيحيَّة* (لايدن، ١٩٧٣).

[2] من أجل الاحتفال الإثيوبي بكل من السبت والأحد، والختان (العرف المحلي الذي يفسر بأسلوب الكتاب المُقدَّس "التوراتي")، وعادات يهوديّة أخرى، ينظر إدوارد أولندورف، "العناصر اليهوديّة العبرية في المسيحيَّة (الوحدانية) الحبشية"، *مجّلة الدّراسات السّاميّة* ١ (١٩٥٨): ٢١٦-٢٥٦؛ إفرام إسحق، "مكوّن غامِض في تاريخ الكنيسة الأثيوبيَّة"، *Le Muséon* ٨٥ (١٩٧٢): ٢٢٥-٢٥٨ (مُشيراً إلى جذور مسيحّية يهوديّة). بالنّسبة للسّوريّين،

يسوع في ضوء التقاليد اليهوديّة من دون إتباع الشَّريعة اليهوديّة إطلاقاً، وعلى نحوٍ مُعاكس، شاركوا في الجدل ضدَّ اليهود (بعد أسلوب أفراهاط)[1].

كانَت كنيسة القُدس في الأصل مَعقل إقامة الشَّعائر المسيحيَّة، وهي مركز المسيحيَّة بلا مُنازِع حتّى الحرب اليهوديّة الأولى مع روما (نَحْو ٦٦-٧٠ م). وعندَما اندلعت هذه الحرب، هرب مسيحيو القُدس إلى بيلا (بلدة طبقة فحل باللغة العربيّة) في المدن العشر أو الديكابولس في شرق الأردن، وعندما منعَ هادريان اليهودَ من الإقامة في القُدس، طُرِدوا مرَّة أخرى بعد قمع تمرُّد بار كوخبا في عام ١٣٥ م، على الرَّغم من عودة بعضهم إلى المدينة المُدمَّرة في عام ٧٠ م.[2] وبعد ذلك، تَمركزَ المسيحيُّون اليهود في منطقة حلب في شمال سوريا، وفي ديكابولس حول بيلا، بما في ذلك درعا في أراضي الغساسنة، وفي منطقة البحر الميت، وذلك كما علِمنا من إبيفانيوس

ينظر شارلوت إليشيفا فونروبرت، "المسيحيّون اليهود، المتهودون، والمسيحيون المناهضون للمسيحيّة"، في *المسيحيَّة القديمة المُتأخّرة*، مُحرَّر. فيرجينيا بوروس (منيابولس، ٢٠٠٥)، ٢٣٤-٢٥٤؛ كذلك راجع أندرس إكنبرغ، "أدلّة للمؤمنين اليهود في "أوامر الكنيسة والنّصوص الليتورجية"، في *المؤمنين اليهود*، تحرير. سكارسون و هفالفيك، ٦٤٠-٦٥٧.

[1] فيما يتعلّق بالعنصر اليهوديّ في المسيحيَّة السريانيّة، ينظر سيباستيان بروك، "الرّوايات اليهوديّة في المصادر السّريانيّة"، *مجلّة الدّراسات اليهوديّة* ٣٠ (١٩٧٩): ٢١٢-٢٣٢؛ باس تير هار روميني، "فرضيّات حول تطوير اليهوديّة والمسيحيَّة في سورية في فترة ما بعد ٧٠ ميلادي"، في *متى والديداخى: وثيقتان من الوسط اليهوديّ المسيحيّ ذاته؟*،مُحرَّر.هوب فان دي ساندت (أسن، ٢٠٠٥)، ١٣-٣٣. بالنسبة لأفراهاط، ينظر ويليام ل. بيترسون، "خريستولوجيا أفراهاط، الحكيم الفارسي: ملحق عن البرهان السابع عشر"، *Christianae Vigiliae* ٤٦ (١٩٩٢): ٢٤١-٢٥٦؛ آدم ليتو، *برهان أفراهاط، الحكيم الفارسي* (بيسكاتاواي، نيوجيرسي، ٢٠١٠)، ٤٨ والصّفحات التالية، والأدب المذكور هناك.

[2] المصادر الرّئيسة للرّحلة إلى بيلا هي يوسابيوس، *التاريخ الكنسي*، ١, ٥ ,٣-٣؛ إبيفانيوس، *باناريون*، ٧ ,٧ ,٢٩؛ و إبيفانيوس، **أطروحة عن الأوزان والمقاييس: النسخة السريانيّة**، مُترجَم ومُحرَّرجيمس إلمر دين (شيكاغو،١٩٣٥)، الفقرة ١٥، ٢-٥ (نجا الأصل اليونانيّ في أجزاء فقط).

السلاميسي (توفي ٤٠٣) و جيروم (توفي ٤٢٠)[١]. ويبدو أنَّهم تواجدوا في الجولان أيضاً ، حيثُ عثَرَت حفاراتٌ في قريةٍ مهجورةٍ على سَواكِف (أجزاء معماريّة مستعرضة تكون أعلى الباب أو النافذة) مُزيّنة بمزيج من الصُّلبان ومجموعة من المينورات[*] وغيرها من الرّموز اليهوديّة والمسيحيَّة المُتنوِّعة، ممَّا يشير على الأرجح إلى أنّ المبنى كانَ كنيساً يهوديّاً مسيحيّاً.[٢] لكن لا يوجد لدينا أيّ دليل على وجود المسيحيّين اليهود بعد زمن إبيفانيوس وجيروم في المصادر اليونانيّة أو اللاتينيّة أو السّريانيّة الّتي كُتبت قبل ظهور الإسلام.[٣] حتى أنّ ثيودوريطس أسقف قورش (توفي ٤٥٧) يزعمُ أنّهم وطوائف مُبكِّرة أخرى قد نُسيت تماماً مثل: المرقيونيّة[*]، وأنَّ مُعظَم الناس لم

---

[١] نوقِشت الشَّهادة في برودهيد، *الأساليب اليهوديّة*، الفصول ٧-١١.

[*][تعليق المُترجم: المينوراه أو الشّمعدان السّباعي، هو شمعدان ذهبيّ، كانَ يشعل الكهنة فيه الشموع كلّ ليلة، وقد ذُكرت وصية فعل المينوراه في التّوراة على نحو مُفصَّل].

[٢] كلودين دوفين، "Farj en Gaulanitide: Refuge judéo-chrétien؟"، *Chrétien Proche-Orient* ٣٤ (١٩٨٤): ٢٣٣-٢٤٥؛ راجع جوان يـ. تايلور، *المسيحيّون والأماكن المُقدَّسة: أسطورة الأصول اليهوديّة المسيحيَّة* (أكسفورد، ١٩٩٣)، ٣٩ والصَّفحات التالية (جدالات بأن الآثار هي مسيحيَّة يهوديّة حتماً)؛ برودهيد، الأساليب اليهوديّة، الفصل ١٤، ولاسيّما ٣٤٦ والصّفحات التالية، حولَ هذا الموضوع وغيره من البقايا الأثريَّة الحقيقيَّة والمزعومة.

[٣] يصفُ كلٌّ من يوحنّا الدمشقي و ثيودور بار كوني المسيحيّون اليهود على أنَّهم لا يزالون يعيشونَ في منطقة البحر الميت (كليجن و راينينك، *الدليل الآبائي*، ٢٦٥، ٢٦٧)، ولكن تأتي معلوماتهم بوضوح من إبيفانيوس. هو فقط من كانَ على دراية بالمرأتَين من العائلة الكِسائيَّة، مارثوس ومارثانا، حيث توفّت أحداهما في زمن إبيفانيوس (راجع إبيفانيوس، *باناريون*، ١٩,٢,٣)، ولم يكن أيّ منهما حاضِراً بينهم "حتّى الآن"، وكما يقول يوحنّا الدّمشقي (شكري لتوماسو تيسي لتذكيري بهذه المقاطع).

[*][تعليق المترجم: هي عقيدة مثنوية مسيحية مبكرة وضع تعاليمها مرقيون السينوبي في روما حوالي سنة ١٤٤٠م].

يعرفوا أسماءَها[1]. ولكنَّ ذلك مقارنة مبالغ فيها، حيثُ إنَّ ثيودوريطس نفسه يزعمُ أنّه حوّلَ ثماني قرى مرقيونيّة في سورية إلى الإيمان الصحيح؛[2] وحتّى لو افترضنا أنَّهم كانوا آخر المرقيونيّين في سورية، فإنَّ العديد منهم تواجدوا في الجانب الفارسيّ من الفرات. حيث كان بإمكان المسيحيّين اليهود النجاة خارج الحدود البيزنطيّة، في الإمبراطوريّة الساسانيّة، وإثيوبيا، والجزيرة العربيّة، وحتى في ذلك القسم من شبه الجزيرة العربيّة الذي شكَّلَ أقصى جنوب الإمبراطوريّة البيزنطيّة نفسها. لقد ظهروا من دون شكّ مرَّة أخرى بعد الفتوحات العربية. و وفقاً لأدومنن اليوني رئيس أونيون في القرن السابع، سمعَ الأسقف الإفرنجيّ أركولف (٦٧٠ م)، في أثناء زيارته للقُدس، أنَّه قبلَ زمنٍ طويلٍ وبعد قيامة يسوعَ، سرقَ يهوديٌّ مؤمن (هو مُصطلَحٌ شائعٌ لما يدعوه العلماء العصريّون بمسيحيّ يهوديّ) قماش الكتان المُقدَّس من قَبْر يسوع وأنَّ قماش الكتان هذا قد تمَّ اكتشافُه مؤخَّراً. وحتى الآن، كانَ قد انتقل إلى أيدي اليهود غير المؤمنين وأرادَه اليهودُ المؤمنونَ مرَّة أخرى؛ ناشدَ الطَّرفان معاوية، الذي ألقى قطعة القماش في النَّار، لكنَّ النار لم تلتهمها، وارتفعَت وطارَت وهبطَت ببطء عندَ المسيحيّين.[3] هذه القصَّة

[1] ثيودوريطس القورشي، *Haereticarum Fabularum Compendium* (mpg ٨٣)، ٢، ١١؛ مُترجَم. غلين ميلفن كوب، "تحليل لطريقة ثيودوريطس القورشي الهيريسيولوجيّة في "Fabularum Compendium Haereticarum" (رسالة دكتوراه، جامعة أميركا الكاثوليكيّة، ١٩٩٠)، ١٥٥.

[2] ثيودوريطس القورشي، *المراسلات*، مُترجَم ومُحرَّر. يفان أزيما (باريس، ١٩٥٥-١٩٩٨)، ٢: ١٩٦-١٩٧ (رسالة ٨١).

[3] أركولف، *الأماكن المُقدَّسة*، ١، ١١ (تم تأليفه حوالي عام ٦٧٩-٦٨٨ من أدومنان على أساس معلومات أركولف، من بين أمور أخرى)، مُترجَم. مس روز ماكفرسون، *حج أركولفوس في الأرض المُقدَّسة* (لندن، ١٨٨٩)، ١٢-١٥؛ قارن المُناقشة المُفيدة لنصّ أدومنان

واحدة لعددٍ من القصص التي تنطوي على حيازة اليهود على أثرٍ مسيحيّ مُقدَّس في القدس أو القسطنطينيَّة،[1] إلا أنَّ أركولف كانَ الكاتبَ الوحيد الذي ذكر "اليهود المؤمنين" في هذا الصَّدد. كما نسمعُ عنهم أيضاً في العالم الإسلامي في وقتٍ لاحق، وذلك في مصادرَ كُتبت في القرن الثاني / الثامن وما بعده.[2]

من خلال روبرت هويلاند وسارة ويدلر، "الأماكن المُقدَّسة لأدومنان والقرن السابع في الشّرق الأدنى"، *مراجعة تاريخيَّة إنكليزيَّة* ١٢٩، رقم ٥٣٩ (٢٠١٤): ٧٨٧–٨٠٧، مع الإشارة إلى إصدار وترجمة أكثر حداثة. تمَّ لفت انتباه العلماء إلى "اليهوديّ المؤمِن" لأوَّل مرّة من خلال شلومو بينس، "ملحوظات عن الإسلام والمسيحيَّة العربية والمسيحيَّة اليهوديّة"، *دراسات القدس في اللغة العربيّة والإسلام* ٤ (١٩٨٤): الجزء الأول، ١٣٥–١٥٢، في ١٤٥.

[1] راجع ستيفن ج. شوماكر، *روايات القديمة عن رقاد وصعود العذراء مريم* (أكسفورد، ٢٠٠٢)، ٧١–٧٢، حيث نقلَ اثنان من المُرتدّين عن الآريوسية، وهما غالبيوس وكانديدوس، ثوب العذراء إلى القدس بعد سرقته من امرأة يهوديّة قدَّمت لهم الضّيافة خلال طريقهم إلى القدس؛ آركولف، *De Locis Sanctis*، ٣، ٣، ٦٢–٦٣، حيث يملك يهودي غير مؤمن من القسطنطينية صورة لمريم.

[2] شلومو بينز، "'Israel، My Firstborn' and the Sonship of Jesus"، في *دراسات حول التّصوُّف والدين قدّمت إلى جيرشوم ج. شوليم*، مُحرَّر. إفرايم أورباخ وآخرون (القدس، ١٩٦٧)، ١٧٧–١٩٠، في الصفحة ١٧٩، نقلاً عن سعديا الفيومي، *الأمانات والاعتقادات*، مُحرَّر. س. لاندور (لايدن، ١٨٨٠)، ٩٠–٩١. يقول سعديا صراحةً أن هذه المجموعة ظهرَت مؤخَّراً. شلومو بينس، "المسيحيّون اليهود في القرون الأولى للمسيحيّة وفقاً لمصدر جديد"، Jerusalem Studies in Arabic and Islam 6 (القدس، ١٩٦٨)، ٢: ٢٣٧–٣٠٩؛ بينس، "مواد مسيحيّة يهوديّة في أطروحة عربية يهوديّة"، *الأكاديميّة الأمريكيّة للبحوث اليهوديّة* ٣٥ (١٩٦٧): ١٩٧–٢١٧؛ بينس، "دراسات في المسيحيَّة والمسيحيَّة اليهوديّة استناداً إلى مصادرَ عربيّة"، *دراسات القدس في اللغة العربيّة والإسلام* ٦ (١٩٨٥): ١٠٧–١٦١؛ بينس، "اقتباسات الإنجيل والموضوعات المُشابِهة في كتاب عبد الجبار التثبيت فيما يتعلّق بالقراءات والتقاليد المسيحيَّة المُبكِّرة"، *دراسات القدس في اللغة العربيّة والإسلام* ٩ (١٩٨٧): ١٩٥–٢٧٨؛ باتريشيا كرونة، "الإسلام والمسيحيَّة اليهوديّة وحرب الأيقونات"، *دراسات القدس في اللغة العربيّة والإسلام* ٢ (١٩٨٠) (= كرونة، *من قباد إلى الغزالي*[ألدرشوت، ٢٠٠٥]، رقم ٣): ٥٩–٩٥، التي يُنظر فيها إلى المسيحيّين اليهود في رواية عبد الجبار على أنَّهم ردُّفعلٍ على ظهور الإسلام. كما يمكن الآن العثور على جميع مقالات بينس

إنَّ علاقة هذا كلّه مع الإسلاميّين تكمن في حقيقة أنَّ العديد من العلماء خرجوا بانطباع من القرآن بأنَّ على المسيحيَّة اليهوديّة أن تكونَ قد لعبت دوراً في تشكيله. وهناك حجَّة رئيسة في هذا الصدد عرضَها ألويس اشبرنجر في عام ١٨٦١.[١] لقد أَقرَّ بأطروحته العديدُ من المُتخصّصين في علم اللاهوت المسيحيّ، ولاسيّما جولز شارل شول في ١٨٧٤،[٢] وغوستاف روش في ١٨٧٦،[٣] وأدولف فون هارناك في ١٩٠٩،[٤] وأدولف شلاتر في ١٩١٨،[٥]وهانز يواكيم سكويبس في ١٩٤٩،[٦] و ماريا باولا رونكاغليا في

حول هذا الموضوع في عمله *الأعمال المُجمعة*، المُجلَّد. ٤، مُحرَّر. ج. ج. سترومزا (القدس، ١٩٩٦).

[١] ألويس سبرينجر، *Das Leben und die Lehre des Moḥammad* (برلين، ١٨٦١-١٨٦٥؛ أعيدت طباعته. هيلدسهايم، ٢٠٠٣)، ولاسيَّما١: ٢٢-٤٣.

[٢] جول - تشارلز شول، *L'Islam et son fondateur*، (نوشاتيل، ١٨٧٤)، ٦٤-٧٣.

[٣] غوستاف روش، "Die Jesusmythen des Islam"، *Theologische Studien und Kritiken* (١٨٧٦): ٤٠٩-٤٥٤، ولاسيَّما٤١٥-٤١٧-٤١٨-٤٢٦-٤٢٧، ٤٣٣-٤٣٤.

[٤] أدولف فون هارناك، *Lehrbuch der Dogmengeschichte*، الإصدار الرابع، (توبينغن، ١٩٠٩)، ٢: ٥٢٩-٥٣٨.

[٥] أدولف شلاتر، "Die Entwicklung des jüdischen Christentums zum Islam"، Evangelisches Missionsmagazin ٦٢ (١٩١٨): ٢٥١-٢٦٤.

[٦] هانز يواكيم شوبس، *Theologie und Geschichte des Judenchristentums* (توبينغن، ١٩٤٩)، ٣٣٤-٣٤٢. ويضيفُ سيدني غريفِث ر. أ. بريتز وسيمون كلود ميموني وجيفري باريندر، "Syriacisms في القرآن العربي: من هم الذين قالوا "إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ" وفقاً لسورة المائدة الآية ٧٣"، في *كلمةٍ قيلت بصدق: دراسات في تفسير القرون الوسطى للكتاب المُقدَّس العبريّ والقرآن مقدّمة إلى حجي بن شماي*، مُحرَّر. ماير مايكل بار آشر وآخرون (القدس، ٢٠٠٧)، ٨٣-١١٠، في الأرقام ١٦-١٧. غير أنَّ بريتز وميموني كتبوا عن المسيحيَّة اليهوديّة من دون الإشارة إلى القرآن، وذكر باريندر الفرضية المسيحيَّة اليهوديّة فقط ليقولَ أنَّها خارج نطاق اهتمامه (جيفري باريندر، يسوع في القرآن [لندن، ١٩٦٥]، ١١).

١٩٧١،[1] ويوسف درّة حداد في ١٩٧٣،[2] وجان ميشيل مانيان في ١٩٧٧-١٩٧٨،[3] وإدوارد جاليس في عام ٢٠٠٥،[4] و يواخيم غنيلكا في عام ٢٠٠٧؛[5] لكنَّ عدداً من العلماء الذين يتطرَّقون إلى هذا الموضوع من خلال دراسة الإسلام، جادلوا بطريقة مُماثِلة أو افترضوا ببساطة أنَّه عبارة عن مُساهَمة مسيحيّين يهود، ولاسيّما كليمان هُوارت في عام ١٩٠٤،[6] وتور أندرايه بينَ عامي ١٩١٨ و ١٩٣٢،[7] و كارل أهرنز في ١٩٣٥،[1] وغونتر

---

[1] م. ب. رونكاغليا، "Éléments ébionites et élkésaites dans le Coran"، *Proche-Orient Chrétien* ٢١ (١٩٧١): ١٠١-١٢٦.

[2] يوسف درة حداد، "prédication Coran, nazaréenne"، *Proche-Orient Chrétien* ٢٣ (١٩٧٣): ١٤٨-١٥٥ (يبدو أنَّ الكتاب الذي يحملُ نفس العنوان المذكور في الصَّفحة ١٥٥ لم يُنشر).

[3] ج. م. ماغنين، "Notes sur l'Ébionisme"، *Proche-Orient Chrétien* ٢٧ (١٩٧٧): ٢٥٠-٢٧٣، و٢٨ (١٩٧٨): ٢٢٠-٢٤٣. هتين آخر مقالتين من أصل ستّ مقالات حول الأبيونيين تحملُ هذا العنوان الذي نشره الكاتب في النّشرة الدوريّة من عام ١٩٧٣ وما بعده.

[4] إدوارد م. غاليز، *Aux origines de l'Islam :Le messie et son prophète* (فرساي، ٢٠٠٥).

[5] يواخيم غنيلكا، *Die Nazarener und der Koran: Eine Spurensuche* (فرايبورغ، ٢٠٠٧).

[6] كليمان هوارت، "Une nouvelle source du Qoran"، *Journal Asiatique*، السلسلة ١٠، ٤ (١٩٠٤): ١٢٥-١٩٧، ١٦١ والصّفحات التالية. التّعامل مع أطروحة سبرينجر باعتبارِها مقبولةً عموماً، وافتراض شعراء مثل أمّية بن أبي الصَّلت كوسطاء.

[7] تور أندريه، *Die Person Muhammeds in Lehre und Glauben seiner Gemeinde*، Archives d'Études Orientales ١٦ (ستوكهولم، ١٩١٨)، ٢٩٢-٢٩٣، ورقم ٢٩٣، حيث من المُحتمَل أن سلسلة محمَّد عن الأنبياء و الوضوء و *القبلة* كلّها اعتُبرت من أصول إبيونيّة؛ ينظرُ أيضاً أندريه، *محمد، الإنسان وإيمانه* (الأصل الألماني ١٩٣٢؛ نيويورك، ٢٠٠٠)، ٩٨-١٠٧، عن الإبيونيّين، والكسائيّين، والمانويّين كمُساهمين في مفهوم محمّد عن النبوَّة؛ وأندريه، "Der Ursprung des Islams und das Christentum"، *Kyrkohistorisk Årsskrift* ٢٣ (١٩٢٣): ١٤٩-٢٠٦ ١٤٩-٢٠٦ (الأوّل من أصل

لولينغ في عام ١٩٧٠ فصاعداً،[٢] وأبو موسى الحريري في عام ١٩٧٩ (= جوزيف قزي، ٢٠٠١)،[٣] و توماس ج. أوشونيسي في عام ١٩٨٤،[٤] شلومو بينس في عام ١٩٨٤،[٥] و جوليان بالديك في ١٩٨٩،[٦] و فرانسوا دي بلوا في عام ٢٠٠٢.[٧] وانضمَّ هولغر زيلنتين إلى النّزاع الآن، وهو مُناصِر

ثلاثة أجزاء)، ١٥٣، ينظر حولَ سلسلة الأنبياء. غريفِث، "Syriacisms"، ٨٧-٨٨، ومعَ ذلك أوردَ أندريه تأييدا لرأيه أنّ المسيحيَّة السائدة هي التي تنعكسُ في القرآن فقط.

[١] كارل أرنز، *Muhammed als Religionsstifter* (لايبزيغ، ١٩٣٥)، ١٣٠-١٣١، فيما يتعلّق بالسلسلة النبويّة.

[٢] غونتر لولينغ، *Ur-Qur'ān Über den* (إيرلانغن، ١٩٧٤)؛ فهرس s.v. "Judenchristentum"؛ لوانيغ، *Der Christliche Kult an der vorislamischen Kaaba als Problem der Islamwissenschaft und Christlichen Theologie* (إيرلانغن، ١٩٧٧)، ٤١، أيضاً رقم ٨٨ (في ٩١؛ ٥٩، والملحوظات المُلحَقة بها)؛ وباختصار لولينغ، *تحدّي للإسلام من أجل الخلاص* (دلهي، ٢٠٠٣)، ٢١. كذلك في كتابه *Die Wiederentdeckung des Propheten Muhammad* (إيرلانغن، ١٩٨١)، ينظر فيها النشرة الكاملة من يوري روبن في *دراسات القدس في اللّغة العربية والإسلام* ٦ (١٩٨٥): ٤٨١-٤٩٢. يُنظر ملخص هذه الأطروحة من جيرهارد بويرينغ، "البحوث الأخيرة حول تأليف القرآن"، في *القرآن في سياقه التاريخي*، جبرئيل سعيد رينولدز (لندن، ٢٠٠٨)، ٧٤-٧٧.

[٣] أبو موسى الحريري، *قسّ ونبيّ: بحث في نشأة الإسلام* (جونيه-الكسليك، ١٩٧٩)؛ مُترجَمة كجوزيف قزي، *Le Prêtre et le prophète: Aux sources du Coran* (باريس، ٢٠٠١). حول هذا العمل، ينظر بويرينغ، "البحوث الأخيرة"، ٧٩-٨٠.

[٤] توماس ج. أوشانيسي، *كلمة الله في القرآن* (روما، ١٩٨٤)، ٢٠: "تحمل تعاليم معيّنة للكسائيّين وطائفة الناصريّين، كلاهما مشابه للأسينيين، تشابه وثيق لنقاط مُعيّنة من خريستولوجيا القرآن التي يجبُ أن تُرى على أنّها جزء من الخلفيّة الدينيّة التي أعدَّت العرب لتلقّي الرسالة التي جاء بها محمّد"؛ كذلك راجع ٣٠، ٣٣

[٥] بينس، "ملحوظات". مقالاته الأخرى عن المسيحيَّة اليهوديّة (أعلاه، الملحوظة ١٣) ليسَت مَعنيّة بالقرآن.

[٦] جوليان بالديك، *الإسلام الصّوفيّ: مقدّمة إلى التصوّف* (نيويورك، ١٩٨٩)، ١٩، ٢٥ (استرعى انتباهي لها ماتيس فان دير بوس).

[٧] فرانسوا دو بلوا، "نصراني (nazōraios) وحنيف (ethnikos): دراسات عن المفردات الدينيّة للمسيحيّة والإسلام"، *نشرة كلّية الدّراسات الشّرقية والأفريقيّة* ٦٥ (٢٠٠٢): ١-٣٠؛ دو بلوا، "الكسائيّة-المانويّة-محمّد"، *الإسلام* ٨١ (٢٠٠٤): ٣١-٤٨؛ لُخصت في دو بلوا،

لليهوديّة،[1] وفي الآونة الأخيرة رأى النّورَ أيضاً كتابٌ لجون جاندورا دعماً للأطروحة المسيحيَّة اليهوديّة.[2] ويستندُ عددٌ من هذه الأعمال إلى معرفة ضعيفة (ولاسيّما - لكن ليس فقط – أعمال العلمانيّين، حيث يبدو أنَّ لديهم تروُّقاً استثنائيّاً للأطروحة المسيحيَّة اليهوديّة)؛[3] ولا ينطبقُ هذا بالتأكيد عليها كلّها. لكنَّ العديد من الباحثين في القرآن يتجاهلون الأطروحة المسيحيَّة اليهوديّة، ويجادلُ بعضهم ضدَّها.[4] ويرى الكاتب سيدني غريفِث، أبرز المعارضين لمساهمة مسيحيّين يهود، أن لا شيءَ ينعكسُ في القرآن سوى المسيحيَّة السَّائدة القريبة من المشرقيّة (أي الملكيّة، واليعقوبيّة، والنسطوريّة).[5] وهو موقفٌ مُتطرِفٌ إلى حدٍّ ما، لكنَّه يوفّرُ نقطةً مُفيدة يُهتدى بها.[1]

"الإسلام في سياقه العربيّ"، *القرآن فيسياق*، مُحرَّر. أنجيليكا نويفيرت، نيكولاي سيناي، وميشائيل ماركس (لايدن، ٢٠١١)، ٦١٥–٦٢٤، في ٦٢١–٦٢٢.

[1] هولغر م. زيلنتين، *الثقافة الشرعيّة للقرآن* (توبينغن، ٢٠١٣).

[2] جون جاندورا، الأثر الخفيّ للأصول الإسلاميَّة: إرث مَدْيَن في صحوة مكة الإسلاميَّة (بيسكاتاواي، نيوجيرسي، ٢٠١٢). لم أتمكَّنُ من الحصول على نسخة.

[3] نيك براون، *الكاهن المسيحيّ اليهوديّ* لمكّة)كُتب الاقتباس السّابق كما تمَّ العثور عليه في المصدر الأصليّ(والمدينة (نيويورك، ٢٠١١) (لُفت انتباهي لها من خلال آدم سيلفرستاين)؛ صموئيل زينر، *النموذج الابراهيميّ: العلاقات المفاهيميّة والتاريخيّة بين اليهوديّة والمسيحيَّة والإسلام* (بارتلو، ٢٠١١)، وهو عمل في تراث فريجوف شوان الميتافيزيقيّ والفلسفيّ الذي يعتبر المُساهمة المسيحيَّة اليهوديّة في الإسلام أمراً بدَهيَّاً بحسب شويبس. كما أنَّ جاندورا هو شخصٌ عادي، على الرَّغم من أنَّه قد نشرَ عن الموضوعات الإسلاميَّة على نحوٍ واسعٍ (ولاسيَّماالأمور العسكريَّة)؛ أيضاً قزي، الذي يُعرف بأبو موسى الحريري، ليس مُتخصِّصاً.

[4] على سبيل المثال، شلومو دوف غويتين، *اليهود والعرب: اتّصالاتهم على مرّ الزّمان* (نيويورك، ١٩٦٤)، ٥٣–٥٤.

[5] سيدني غريفِث، "المسيحيّون والمسيحيَّة"، في *موسوعة القرآن* (لايدن ٢٠٠١–٢٠٠٦)، ١: ٣١٣، رافضاً هذه ووجهات نظرٍ أخرى لا يوافقُ على أنَّها نتاجُ أجندةٍ جدليّة واعتذاريّة؛ غريفِث، "Syriacisms"، ٨٥ والصَّفحات التالية؛ غريفِث، *الكنيسة في ظلّ المسجد*

فيما سيأتي، أعيدُ النّظر في مسألةٍ ما إذا كانَ يوجد مساهمة لمسيحيّين يهود في القرآن من خلال دراسة الموضوعات القرآنية ذات الصّلة بالموضوع، مع المُراعاة الكاملة لموقف سيدني غريفِث المعروف.[2] لأنَّ تفسير النقاط الأربع يعدُّ عسيراً إلى أبعد الحدود من دون اللجوء إلى الفرضيّة القائلة بمُساهَمة مسيحيّين يهود. يمكنُ تلخيص الحجَّة كما سيأتي: إنَّ يسوعَ في القرآن هو نبيّ مرسل إلى بني إسرائيل، وليس إلى الأغيار (الأمم غير اليهوديّة) (رقم ٢)؛ يبدو أنَّ"بني إسرائيل "تتضمَّنُ المسيحيّين (رقم ٣)؛ يرى الرّسول بأنّ يسوعَ يأتي في المرتبة الثانية بعد موسى من حيثُ الأهمّية ومُصدّقاً للتوراة (رقم ٤)، ويصرُّ على أنَّ يسوعَ كائنٌ بشريٌّ فقط، وليس ابن الله (رقم ٩). ولدينا مُعتقدان آخران يُعتقَد أحياناً كثيرةً بأنَّهما يصبَّان باتّجاهٍ آخرَ بعيداً عن المسيحيَّة اليهوديّة، لكنَّهما في مصلحة هذا الاتّجاه أيضاً: نظرَ بعضُ خصوم الرّسول بعين

(برينستون، نيوجيرسي، ٢٠٠٨)، ٨؛ غريفِث، *"النّصارى في القرآن: تفكير تأويلي"*، في *منظورات جديدة عن القرآن: القرآن في سياقه التاريخيّ ٢*، مُحرَّر. جبرئيل سعيد رينولدز (لندن، ٢٠١١)، ٣٠١-٣٢٢، في ٣١٣-٣١٤. كذلك راجع كتابه *الإنجيل باللّغة العربيّة: الكتب المُقدَّسة "لأهل الكتاب" في لغة الإسلام* (برينستون، نيوجيرسي، ٢٠١٣)، ٢٩.

[1] لوجهة النظر النقيضة أنَّ الرّسول لم يعرف المسيحيَّة السائدة أبداً، ينظر شول، *et L'Islam son fondateur*، ٦٣. وبالمثل تعتقد نويفيرت أنّ السّورَ المكيّة لا تعكسُ أيَّ نوع من التفاعُل مع "المسيحيّين الرسميّين"، بل حلقات توفيقيّة من المُحتمل أنَّها تتعلَّق بالمسيحيّين اليهود (أنجيليكا نويفيرت، "بيت ابراهيم وبيت عمرام"، في القرآن في سياق، مُحرَّر. نويفيرت، سيناي، وماركس، ٥٠٥؛ كذلك نويفيرت، مريم ويسوع ـ موازَنة بطاركة الكتاب المُقدَّس"، *Parole de l'Orient* ٣٠ [٢٠٠٥]: ٢٣١-٢٦٠، في ٢٣٢.

[2] يغطي النصف الأول من هذه المقالة الأجزاء من ١ إلى ٧، و من ٨ إلى ١٥ في النصف الثاني. [تعليق المترجم: الدوسيتيّة: طائفة فلسفيّة مسيحيّة ظهرت في القرن الثّاني للميلاد، لكنَّها اختفَت منذ مئات السنين. كانَت الدوسيتيّة متأثِّرة بالغنوصيّة، و تؤكِّدُ على أنَّ ناسوت، أو جسدَ يسوعَ، ليس له وجودٌ حقيقيّ، لأنَّ الجسدَ ماديّ، والمادّة ليس لها وجود فعليّ حقيقيّ في اعتقادهم].

الاعتبار إلى كلٍّ من مريمَ و يسوعَ ككائنات إلهيّة (رقم ٧)، وفسّرَ صَلْبَ المسيح بطريقة دوسيتيّة - كما لو أنَّه لم يحدث حقاً - رغمَ أنَّ وفاة يسوع تبدو وكأنَّها أمرٌ مُسلَّم بصحّته (رقم ١٠). و فوق ذلك عقيدة أخرى، أي ولادة العذراء ليسوع، حيثُ تبدو من النّظرة الأولى مُتناغِمة مع الاتّجاه السائد وبعض فروع المسيحيَّة اليهوديّة على قدم المُساواة ، لكن في الواقع، يجبُ أن تكونَ قد انحدرَت من بيئة مسيحيّة يهوديّة أيضاً (رقم ١١). وتوجدُ عقيدة أخرى غير مُتوافِقة مع المسيحيَّة السَّائدة، وربَّما من أصلٍ مسيحيّ يهوديّ أيضاً، أعني هنا القولَ بأنَّ مريمَ كانت هارونيّة، (رقم ١٢)؛ ومن المُمكن لسلسلة الأنبياء القرآنيّة أن تكونَ ذات صلة بسلسلة الكسائيّين وغيرهم من المسيحيّين اليهود، ولو أنَّ ذلك يعدُّ أقلّ وضوحاً بالنّسبة لي من أن يكونَ ذا صلة بالشويبس، أندراي، وآخرون (رقم ١٣). وعلاوة على ذلك يوجدُ عنصران للخروستولوجيا القرآنية لا يتّفقان مع المسيحيَّة السَّائدة ولا يشيرانِ إلى اتِّجاهٍ مسيحيٍّ يهوديٍّ: يبدو أنَ الرّسول يعتقدُبأنَّ يسوعَ ولِدَ تحت شجرة نخيل بدلاً من ولادته في مغارة أو إسطبل (رقم ١٤)؛ومع أنَّه يدعوه "المسيح" و"الكلمة"، لكنَّه لا ينسَب الملامح المُمَيِّزة للمسيح (كما ينظرُ إليه المسيحيُّون) إلى يسوعَ أو يُقدّمه مثل كلمة الله بالمعنى المسيحيّ (رقم١٥).وعلى وجه العموم، يوجدُ سبع مُعتقَداتٍ كاملة، بعضها ذا أهمّية كبرى للقرآن، تشيرُ إلى وجود المسيحيّين اليهود في منطقة الرّسول، وبما أنّها موثّقة في مصرَ في القرن السابع (رقم ٨)، فلا شيءَ ينطوي على مُخاطَرة في افتراض أنّها كانت موجودة في الجزيرة العربية أيضاً. ومن الواضح أنَّه لفهم يسوع في القرآن، كما رآه الرّسول أو خصومه على حدٍّ سواء، يجبُ على المرء العودة إلى القرون المسيحيَّة

الأولى. وربَّما يتَّضح ذلك عندما تفرَّقَ هؤلاء المسيحيُّون اليهود إلى اتّجاهات مع المسيحيَّة السَّائدة واليهوديّة، وليس بمعنى أنَّ تطوُّرَهم الآخر حدثَ في حالة عزلة، بل على الأصحّ في أنَّ أي أفكارٍ تلقَّوها من الاتّجاه السّائد قد فُسِّرت في ضوء قناعاتهم الأوّليّة بعد ذلك.

٢- رسالةُ المسيح موجَّهة لبني إسرائيل:

كان "بنو إسرائيل" إلى جانب المُشرِكين الجمهور الرَّئيس الذي توجّه إليه القرآن، كما في قوله: **{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}(سورة النمل، الآية ٧٦)**. ومن المُمكِن أن يكونَ الإسناد إلى الخلاف حول يسوع، وبصرفِ النّظر عن أنَّ سياق الكلام المُباشَر يشيرُ إلى أنَّ الخلاف كان على القيامة؛ومن الواضِح في جميع الأحوال، أنَّ الرّسول كان نشطاً في منطقةٍ شكَّلَ فيها بنو إسرائيل جزءاً من السكّان. (يمكن للمرء طبعاً، شطبَ جميع المقاطع الّتي تذكرُ "بني إسرائيل" في السور المكّيّة، كما مالَ المُفسِّرون إلى ذلك، استناداً إلى أنَّ جميع هذه المقاطع، يجب أن تعكسَ الظروف المدنيّة، لكنَّ هذه الفرضيَّة ليست صحيحة).

تخبرُنا الكثير من السور المكّيّة والمدنيّة على حدّ سواء، أنَّ يسوعَ قد أرسلَ إلى بني إسرائيل.وهكذا أبلغَت الملائكة مريمَ أنَّ ابنَها سيكون رسولاً إلى بني إسرائيل، كما في قوله: **{وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}(سورة آل عمران، الآية ٤٩). {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ**

التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}(سورة الصف، الآية٦١). وجعلَ الله يسوع (مثلاً) لبني إسْرائِيل، كما قيلَ لنا في **(سورة الزّخرف، الآية ٥٩):{إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ}**؛ جاءَ يسوعُ ببراهينَ واضحة لشرح الأمور الّتي اختلفوا عنها، لكنَّ الاختلاف في الرّأي تزايد فقط **(سورة الزخرف، الآيات ٦٣إلى٦٥)**، حيثُ آمنتُ به طَّائفةٌ مِّن بني إسرائيل وكفَرت طَّائِفَةٌ **(سورة الصّف، الآية ١٤)** لقد اختلف بنو إسرائيل بعد ما جاءهُم العلم، ويفترض أن يعني ذلك، بعد أن أحضرَ لهم يسوع الإنجيل **(سورة الجاثية، الآية ١٧؛ قارن مع سورة البقرة، الآية ٢٥٣)**.تمثل كل هذه المقاطع رسالة يسوع والصّراع الذي أنتجته داخلياً للإسرائيليّين.[1]

إنَّ الرّأي القائلَ بأنَّ يسوعَ قد أرسلَ إلى بني إسرائيل هو ادّعاء مُذهِل ليقومَ به واعظ من القرن السّابع.وبطبيعة الحال، كانَ يسوعُ يهوديّاً و واعظاً لليهود، وهو أمرٌ صحيحٌ على نحوٍ تام، حيثُ آمنَ بعضهم في حين لم يفعل آخرون، و للمرء أن يقرأ عن ذلك في العهد الجديد؛لكنَّها ليست الطريقة ذاتها الّتي يعتقد بها عادة المسيحيُّون الأغيار من الأمم غير اليهوديّة فيما يتعلّقُ برسالته. من وجهة نظرهم، كان اليهود هم الّذين رفضوا العهد الجديد وصلبوا يسوع، في حين كان يسوع وتلاميذه مسيحيّين مثلهم.كما يفسّر

[1]وبالمثل بينس، "ملحوظات عن الإسلام"، ١٣٧-١٣٨؛ غنيلكا، *Nazarener*، ١١١-١١٢.

[تعليق المترجم: الإبيونيّة باليونانيّة :(Ἐβιωναῖοι)مشتقة من الكلمة العبريّة:אביונים؛ إبيونيم، والّتي تعني «فقير» أو «فقراء»، هو مُصطلَح استخدمه آباء الكنيسة للإشارة إلى حركة مسيحيّة يهوديّة تواجدَت في العصور الأولى للمسيحيّة، كانت تنظرُ إلى يسوع على أنّه الماشيح وتنكرُ ألوهيته، وتصرُّ على اتّباع الشريعة اليهوديّة].

أوريجانوس، عندَما يقولُ يسوع: **{لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ}(متى ١٥: ٢٤)**، ويجبُ أن نتذكّر أنَّ هناك إسرائيليّين حَسبَ الجسد وآخرين حَسبَ الرّوح؛ وأن لا نفكِّرَ أنَّ المسيح جاء في المقام الأول إلى بني إسرائيل حَسبَ الجسد، كما زعمَ الإبيونيّين، كنتيجة لفقرٍ في الفهم.[1] ولكنَّ ذلك بالضَّبط ما جاءَ به يسوعُ لإسرائيل حَسبَ الجسد في القرآن.

ويمكنُ القول أنَّ كلَّ ما نراه هنا هو مثالٌ على اعتقاد الرّسول بأنَّ الأنبياءَ جميعَهم قد بعثوا إلى شعوبهم،[2] لكن مع تجاهلَ عدم العمل بهذا الاعتقاد في القرآن دائماً (على سبيل المثال، أرسلَ موسى إلى فرعون، وليسَ إلى بني إسرائيل)، نجدُ من الصعب التّصديق أن يُنظرَ أيّ مسيحيّ في القرن السّابع (خلافاً للقرن الأوّل، أو الثّاني، أو الثّالث) إلى اليهود على أنَّهم شعبٌ يسوع. وللمرء أن يتوقَّعَ من الرّسول القول بأنَّ يسوعَ أرسلَ إلى المسيحيّين. طبعاً لم يكن يوجد أيُّ مسيحي قبلَ ظهور يسوع، لكن ذلك بالكاد حال من دون رؤية الرّسول لله كمرسلٍ يسوعَ لهم؛ وحتى لو افترضنا أنَّ تقديرَه التاريخيّ كانَ مُتطوِّراً جداً لكي يفعلَ ذلك، يمكن أن يتوقَّع من الرّسول القول بأنَّ بني إسرائيل استجابوا لوعظِه من خلال تفريقهم إلى يهودٍ ومسيحيّين، وهو أمرٌ صحيح تاريخيّاً. ولكنَّ ما قالَه في الواقع هو أنَّهم تفرَّقوا إلى إسرائيليّين مؤمنين وغير مؤمنين، كما في قوله:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت**

---

[1] أوريجانوس، *عن المبادئ الأولى*، ٤، ٣، ٨ (ترجمة. جورج ويليام بتروورث، *عن المبادئ الأولى*[نيويورك، ١٩٦٦]، ٢٩٩-٣٠٠)؛ النصّ باللغة اللاتينيّة واليونانيّة مع ترجمة إنكليزيَّة في راينينك وكليجن، *الدليل البابوي*، ١٢٤-١٢٥.

[2] لقد تمَّ الإيحاء لي بهذه الاحتمالية من آدم سيلفرستاين.

طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}(سورة الصف، الآية ١٤)، لقد انفصلوا من الناحية الدينية، ولكن ظلّوا على حالهم عرقيّاً.ويتماشى ذلك مع فقرةٍ مشهورةٍ في المقطع المسيحيّ اليهوديّ من ***تعريفات*** الإكليمنضيات (ربّما كُتبت في مُنتصَف القرن الرّابع)، والّتي تخبرُنا أنَّ الفرق الوحيد ما بين الكُتاب و"**أولئك الّذين لا يؤمنونَ من شعبِنا**"، أو كما صاغتها النَّسخة اللاتينيّة، "**الّذين يؤمنونَ بيسوعَ بيننا واليهود غير المؤمنين**"، وهو (أنّنا) نؤمن بيسوعَ ليكونَ النبيّ الذي تنبَّأ به موسى، وأنّه المسيح الأبديّ، في حين لا يؤمنُ اليهود غير المؤمنين بذلك.[1] وليس من البساطة تخيُّل مسيحيّ خلقيدونيّ (ملكيّ)، أو سوريانيّ غربيّ (مونوفيزيّ أو يعقوبيّ)، أو سوريانيّ شرقيّ (نسطوريّ)، وهو يعبرُ عن يسوعَ كنبيّ إلى بنيّ إسرائيل، كما أنَّه لم يرد ذلك بحسب معرفتي في أيّ وقتٍ مضى عن أيّ مسيحيّ من الاتّجاه السّائد المُوازي (لا يقولُ **غريفِث** شيئاً عن هذا الموضوع). إنَّ المشهدَ هنا هو يهوديّ مسيحيّ بطريقةٍ لا جدالَ فيها.

كيفَ إذّن عرفَ الرّسول بأنَّ يسوع قد أُرسِلَ إلى بني إسرائيل؟ بالكاد يمكننا تخيل استنباطه لذلك من الأناجيل وأعمال الرّسل، وحتّى لو كانَ يمتلك الكتب والمهارات المطلوبة، لكن لم يكن لديه اهتمامٌ في التاريخ الماضي. لقد كانَ واعظاً وليسَ مؤرِّخاً، أعادَ كتابةَ الماضي بناءً على تصوُّره الخاص على

---

[1] *اعترافات*، ١. ٤٣. ٢، في ف. ستانلي جونز، *مصدر مسيحيّ يهوديّ قديم عن تاريخ المسيحيَّة: اعترافات الاكليمنضيات الزّائفة* ١. ٢٧-٧١ (أطلنطا، جورجيا، ١٩٩٥) (كما تُرجمت في روبرت ي. فان فورست، *صعودات يعقوب: التاريخ واللاهوت في المجتمع المسيحيّ اليهوديّ* (أطلنطا، جورجيا، ١٩٨٩). لقد تمَّت التّرجمات باللّغات السريانيّة واللاتينيّة حوالي عام ٤٠٦ وقبل العام ٤١١، على التوالي، من أصولٍ يونانيَّة مفقودة حالياً.

نحوٍ روتيني: كلّ الأنبياء قبله، بشَّروا بالرِّسالة نفسِها كما فعلَ، وجادلوا كلُّهم خصوماً أنكروا الآخِرة ومُذنبين بالشرك نفسه.و معرفة الرّسول بأنَّ ليسوع أتباعاً من بني إسرائيل، لن يكونَ من أساس البحث. بدلاً من ذلك، كان يعتبرُه أمراً مُسلَّماً بصحَّته، لأنَّ المُؤمنين وغير المُؤمنين من بني إسرائيل، كانوا مَن جابهوا يسوع في منطقته. ويبدو أنَّ الجميع في منطقة الرّسول قد اعتبروا ذلك أمراً مُسلَّماً بصحّته، لأنَّه لم يُشارك في مُجادَلةٍ حول الموضوع أو يجادل ضدَّ وجهات النّظر البديلة. ولا يشرحُ كيف أصبحَ يسوع "ملك جميع الأغيار من الأمم غير اليهوديّة"،[1] أو حتّى إذا كانَ هناك أشخاصٌ رأَوه على هذا النَّحو.ومع أنَّ**بولسَ** لم يذكر، تمَّ دعوة تلاميذ المسيح بالحواريّين، وهي كلمة إثيوبيّة للإشارة إلى رسل المسيح، ولا توجدُ إشارة إلى دورهم الرّسوليّ كمبشّرين للأغيار من الأمم غير اليهوديّة[2].

إنَّ هذا كلّه مُثيرٌ للدهشة، لأنَّ الرّسولَ كان يجبُ أن يكونَ على تماسٍ كبير مع المسيحيّين الأغيار من الأمم غير اليهوديّة.فعلى سبيل المثال، إنَّ تصريحَه

---

[1] يعقوب السروجي، *عن والدة الله*، مُترجَم. ماري هانسبيري (نيويورك، ١٩٩٨)، ٦٣٧ من نسخة بيدجان (بول بيدجان، *supersunt S. Martyrii, qui et Sahdona quae Omnia*[باريس، ١٩٠٢])، التي لها يشيرُ المُحرَّر في الهامش رقم ٤٠ في التّرجمة (العظة الدينية ١).

[2] يعوض عنه المفسّرون من خلال تحديد *المُرسلين* الذين أُرسلوا إلى بلدة في سورة ياسين ٣٦: ١٣ بأنّهم أتباع يسوع، بينَما عرف رينولدز *الرسل* في سورة المؤمنون ٢٣: ٥١ كتلاميذ بمعنى أتباع مبشّرين عوضاً عن رسل مرسلين من الله إلى مُجتمَعاتهم أسوةً بمحمَّد نفسه (جبرئيل سعيد رينولدز، "القرآن وتلاميذ يسوع"، *نشرة مدرسة الدّراسات الشرقيّة والأفريقيّة* ٧٦ [٢٠١٣]: ١-١٩، في ١٦). على الرّغم من أنّني شُكرت كثيراً في هذه المقالة، إلا أنَّني أعارضُ كلَّ كلمة قيلت فيها تقريباً.

الشهير {**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**} يصبُّ مع تيار المسيحيَّة في القرن الثالث.[١] علاوةً على ذلك، كانَ بصراحة لديه مفهومٌ عن الدّين بمعنى منظومة من المعُتقدات والقوانين المُنفصِلة عن الانتماء العرقيّ والمدنيّ، وهو مفهوم رواده المسيحيُّون.صحيحٌ أنَّ كلَّ رسول في القرآن يُرسَل إلى قومه،[٢] ويُكلّم قومَه بلغتهم؛ لكنَّ النتيجة بالنسبة لجميع الرّسل الصّادقين المُبشِّرين بالرّسالة نفسها، ليست عبارة عن نَسَق من الأديان العرقيّة. حيثُ لم يخاطِب الرّسول جمهورَه كعربٍ قط، بل كمؤمنين وغير مؤمنين فقط، وقد أوضحَ أنَّه كانَ يوجدُ مؤمنين في مُجتمَعاتٍ مُختلِفة تماماً.

زِد على ذلك، أنَّه كان غالباً ما يرسل الحججَ ضدَّ اليهود والتي يجب أن يكونَ قد تعلَّمها من المسيحيّين الناطقين بالسّريانيّة، وأعادَ رواية العديد من قصص العهد القديم في إصدارات مُصفّاة جزئيّاً أو كلّيّاً من خلال الرّواية السّريانيّة.[٣] ربَّما كانَ يتوجَّه إلى المسيحيّين الأغيار من الأمم غير اليهوديّة في

---

[١] لظهور الفكرة بين المسيحيّين في القرن الثالث، ينظر باتريشيا كرونة، "لا إكراهَ في الدين: القرآن ٢: ٢٥٦ في تفسير القرون الوسطى والحديثة"، في *Le Shīʿisme imāmite quarante ans après*، مُحرَّر. محمد علي أمير معزّي، وماير مايكل بار آشر، وسيمون هوبكينز (تورنهاوت، ٢٠٠٩)، ١٣١–١٧٨ [مُحرَّر. أدرجت في المادّة ١٣ في المجلد الحالي]، في ١٦٤–١٦٦.

[٢] ومن المحتمَل أنَّ هذه الفكرة متأصلة في المسيحيَّة، على الرَّغم من أنَّ تاريخها السابق لا يزالُ مُبهَماً. ستكون نقطة البداية مفهوم العهد الجديد عن الرّسل كمبشرين. عندما أصبح الرّسل يُفهمون على أنَّهم مبعوثون بتكليفٍ إلهيٍّ (أنبياء)، هم من كان يُنظر لهم كمرسلين إلى شعب مُعين، كما هو الحال بالفعل في المانويّة (على الأقل في حالة بوذا وزرادشت)، مع أنَّ المانويَّة حافظَت على فكرة الرّسل كمُبشّرين كذلك.

[٣] كارل آرنز، "Christliches im Qoran. Eine Nachlese, iii"، *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* ٨٤ (١٩٣٠): ١٤٨–١٩٠، في ١٥٦ والصّفحات التالية؛ غابرييل سعيد رينولدر، *القرآن ومدلوله التوراتّيالضمني* (لندن، ٢٠١٠)، ٢٥١؛ وقبل الكلّ جوزيف فيتزتوم، "وسط القرآن السّرياني: إعادة صياغة السرود

سورة الأنعام، الآية ١٠١: {**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**}، وحتَّى أنَّه يبدو كمؤيّد لهم في بعض الأحيان. عندما يخبرُنا القرآنُ في سياق الجدل المعادي لليهود أنَّ الله وعدَ يسوعَ في جعل الَّذينَ اتَّبعوه فوقَ الَّذينَ كفروا إلى يوم القيامة، كما في سورة (**آل عمران، الآية ٥٥**): {**إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**}، يمكنُ للمرء، على نحوٍ لا يمكنُ إنكاره، أن يعتبرَ ذلك ببساطة للتنبُّؤ بانتصار أتباع الرّسول – ولكن يمكنُ أن يعتبرَ ذلك أيضاً للإشارة بأنَّه يرى نفسه مواصِلاً عمليَّة تبجيل يسوع من خلال الفئة المُهيمنة، أي المسيحيّين والأغيار من الأمم غير اليهوديّة، أو على الأرجح، من خلال جميع المسيحيّين من دون تمييز.

وعلاوةً على ذلك، يبدو أنَّه يتبنَّى وجهة نظرٍ كونيّة عنهما عندَما يقول: {**وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ**}، كما في **الآية ٩١ من سورة الأنبياء**، والّتي تتماشى بشكل أفضل مع الأغيار من الأمم غير اليهوديّة منها مع المسيحيَّة اليهوديّة؛ وأخيراً، عندما يلحظُ أنَّ طرفاً من بني إسرائيل يؤمنُ بيسوع والآخر لا يؤمنُ، يقولُإنَّ الَّذين انتصروا كانوا من المؤمنين:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ**

التوراتيّة" (رسالة الدكتوراه، جامعة برينستون، ٢٠١١)، حول سقوط إبليس وطرده من الجنّة، قايين وهابيل، إبراهيم، ويوسف. ينظر أيضاً فيتزتوم، "القواعد من البيت (القرآن. ٢: ١٢٧)"، *نشرة كلّيّة الدراسات الشّرقيّة والأفريقيّة* ٧٢ (٢٠٠٩): ٢٥–٤٠؛ فيتزتوم، "يوسف بين الإسماعيليّين، القرآن. ١٢ في ضوء مصادر سريانيّة"، في *منظورات جديدة عن القرآن*، مُحرَّر. رينولدر، ٤٢٥–٤٤٨.

الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}(سورة الصّف، الآية ١٤). وإذا ما اعتُبِرَ هذا البيان إشارة إلى بني إسرائيل المؤمنين، فإنَّه غير واقعي إلى حدٍّ بعيد.[1]

ومن المُمكن باعتراف الجميع أنَّ الرّسول قد ميَّزَ بقوَّة بني إسرائيل المؤمنين وأنَّه عرضَهم كمُنتصِرين بطريقةٍ يتوقع فيها انتصاره على اليهود: لقد وعدَ بنصرٍ من اللَّه وفتحٍ قريبٍ وبشّرَ المؤمنين (**سورة الصف، الآية ١٣**)، وبدأ في الآية ١٤ من سورة الصفّ بعرض موقفِه على أنَّه مُماثِل لموقفِ يسوع: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ}**، كما قال يسوع **{لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ}**. وتعبير "أَنصَار اللَّهِ" هو بلا شكٍّ تلاعُبٌ بالألفاظ على كلمة المسيحيّين "**النَّصارى**"، ولكن إذا نحَّينا جانباً مسألة ما إذا كانَ النَّصارى يهوداً أو مسيحيّين أغياراً من الأمم غير اليهوديّة، فمن المرجَّح جدّاً أنَّ الرّسول كان يتجاهل حالة المسيحيّين المقسَّمة من أجل إدخالهم كفريق مُهيمِن واحد ضدَّ اليهود.وعلى العموم، لقد كانَ الرّسول على درايةٍ واضحةٍ بالمسيحيَّة غير اليهوديّة؛ وعلى الرَّغم من ذلك، إنَّ واقعَ وجود أتباع ليسوع خارج صفوف بني إسرائيل، لا يمكنُ أن يقالَ للحصول على اهتمامٍ كبيرٍ في الكتاب.

---

[1] يبدو أنَّ شلومو بينس قد فهمَها بهذه الطريقة، راجع "ملحوظات عن الإسلام"، ١٣٥-١٥٢، ولاسيَّما١٣٧.

٣- "بنو إسرائيل" تتضمَّنُ المسيحيّين:

يظهر المُصطلَح "بنو إسرائيل" أربع وأربعين مرّة في القرآن، في كلٍّ من السّور المكّيّة والمدنيّة. وتخصُّ العديدُ من المقاطع بني إسرائيل في الماضي، ولاسيّما في زمنِ موسى، لكنَّ بعضَها يتعلَّقُ بزمن يسوعَ، وتتعلَّقُ مقاطع أخرى بزمن الرّسول نفسه؛ يشيرُ عددٌ قليلٌ من هذه المقاطع إلى أنَّ مُصطلَح "بنو إسرائيل" يشتملُ على اليهود والمسيحيّين، وليس اليهود فقط، كما يفترضُ عادة.وقد يبدو ذلك وكأنَّه نظرية مُتهوِّرة، لكنَّه في الواقع ما يقولُه العديد من المُفسِّرين في تعليقاتهم على الآية ٧٦ من سورة النَّمل (**"إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ"**). وهكذا يلمِّح قُتادة السدوسي **(المتوفى سنة ١١٧ ه /٧٣٥ م)** أنَّ المُرادَ بقوله "بَنِي إِسْرَائِيلَ" هم اليهود والمسيحيّين هنا،[١] في حين أوردَ الطبريّ خلافَ بني إسرائيل في الرَّأي حولَ يسوع كمثال على نوع السّؤال الّذي لم يتمكَّن بنو إسرائيلَ من التوصُّل إلى اتّفاق بشأنه.[٢] وعددٌ آخر من المُفسِّرين يقولون الشيء نفسَه إلى حدّ كبير.[٣] حتّى أنَّ عالِماً معاصراً مثل "هايكي رايسنين ينقل عبارة "بَنِي إِسْرَائِيلَ" في الآية٧٦ من سورة النّمل على أنّها "يهود ومسيحيّون".[٤]

---

[١] مُستشهَد بها في عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، *الدر المنثور* (بيروت، ١٩٨٣)، ٦: ٣٧٦.

[٢] محمّد بن جرير الطّبري، *جامع البيان عن تفسير القرآن* (بيروت، ١٩٨٨)، المجلد ١١، الفصل ٢٠، ١١.

[٣] محمّد بن عمر الزّمخشريّ، *الكشّاف* (بيروت، ٢٠٠٨)، ٣: ٣٨٦-٣٨٧؛ الفضل بن الحسن التبريزيّ، مجمع البيان (بيرزت، ١٩٩٥)، ٧: ٤٠٢.

[٤] هايكي رايسنين، "صورة يسوع في القرآن: تأمُّلات باحثٍ توراتيّ"، *العالم الإسلاميّ* ٧٠، رقم ٢ (١٩٨٠): ١٢٢-١٣٣، في ١٢٥.

لا يبدو أنّ المُفسِّرين يفكرونَ مليّاً بالإيحاء أنَّ "بني إسرائيل "في زمن محمّد يشتملُ على المسيحيّين، لأنَّهم يقرؤون عادةً الآية الّتي تتضمَّنُ انقسامَ بني إسرائيل حولَ يسوعَ مع وضع زمن يسوعَ في الاعتبار؛ لكنَّهم ألمحوا طبعاً بقصدٍ أو بغير قصد، أنَّ بني إسرائيل كانوا من اليهود والمسيحيّين في زمن الرّسول أيضاً.و كذلك افترضَت ضمناً الرّوايات المُتعلِّقة بورقةَ بن نوفل، قريب خديجة، حيث كانَ لها تلميحات "عصرانيّة" .لقد قيلَ إنَّه تخلَّى عن عبادة الأصنام في زمنٍ سبقَ ظهور الإسلام، وأنَّه أصبحَ مسيحيّاً، كانَ ردَّ فعله على وحي محمَّد بإعلانِ أنَّه كانَ "النَّامُوس الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى". صحّحَ البعض التناقُض الظّاهري باعتبار أنَّه أصبحَ يهوديّاً بدلاً من مسيحيّ، وصحَّحَ آخرون الأمر بأنَّه نادى بوحي محمَّد ليكونَ "ناموس المسيح"؛ لكنَّ اِمتزاج السّمات اليهوديّة والمسيحيَّة يتكرَّرُ في الرّواية القائِلة بأنَّه يستطيعُ الكتابة باللّغة العبرانيّة، واستخدمَ مهارتَه لنسخ الإنجيل في اللّغة العبرانيّة. وقد أدى التّناقُض هنا بالبعض إلى استبدال اللّغة العبرانيّة باللّغة العربيّة، ولكنَّ الأمرَ الجدير بالمُلاحَظة، هو مجرد وجود انحرافُ الروايات الّتي يماثِل فيها المسيحيّ ناموسَه على أنّه ناموسُ موسى ذاته، ولغة الإنجيل على أنّها عبرانيّة (بمعنى يهوديّة آراميّة على نحو مُحتمَل).[1]

[1] سبرينجر، Leben، ١: ١٢٤–١٢٥، نقلاً عن ابن هشام، *الأغاني*، البخاري، ومسلم، مع شرح مُختلِف للغات. لقد وُثقت اللغة العبرية بمعنى الآرامية إلى حدٍّ كبيرٍ في الكتابات اليونانيّة من حقبة العهد الجديد وما بعدَها. عادةً ما يُحتسَب ذلك على الالتباس اليونانيّ، لكن مؤخَّراً تمَّ اقتراحُ شرحٍأكثر إثارةً للاهتمام من خلال د. ر. ج. بيتي وفيليب ر. ديفيس، "ماذا تعني العبرية؟"، *مجلّة الدّراسات السّامية* ٥٧، رقم ١ (٢٠١١): ٧١–٨٣ (استرعى انتباهي لها كيفين فان بلادل). وفقاً لهم، "العبريّة" كانت في الواقع كلمة تنوب (تدلّ على) عن الآراميّة، وليس عن "اللغة المُقدَّسة" (أي لغة مانسميه الآن الكتاب العبريّ). إلا أنّه في وقتٍ لاحقٍ أصبحت الكلمة

تتضمَّنُ سورة المائدة إحدى الآيات الّتي تقترحُ أنّ مُصطلَح "بني إسرائيل" يتضمَّنُ المسيحيّين.و يتمُّ تذكيرُنا هنا بأنَّ الله عندما أعطى عهداً مع بني إسرائيل وأرسلَ إليهم رسلاً، استجابَ بنو إسرائيل بتكذيب الرّسل أو بقتلهم، وحسبوا ألا يتمّ امتحانهم (بعد الموت؟)، كما في سورة المائدة الآية ٧٠ والآية ٧١: **{لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ}؛ {وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}**؛ وتستمرُّ الآية التالية في القول: لقد كَفرَ الَّذين (تطرفوا و) قالوا إِنّ "اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ"**(كما في سورة المائدة، الآية ٧٢، وبشكل مماثل مع سورة المائدة، الآية ١٧(**. يُفهم ذلك عادة كإشارة للاتّجاه المسيحيّ السَّائِد، ويعتبرُه غريفِث على هذا النّحو أيضاً.[١]ونظراً لأنَّ التغيُّرات غير المُترابِطة في الموضوع

ترمزُ إلى "اللّسان المُقدَّس"، ربما في الغرب في وقتٍ مُتأخّر من القرن التاسع عشر. وبغضّ النظر عن الرّوايات التلموديّة المُعقّدة والغامِضة غالباً عن اللغات والكتابات المُستخدَمة من خلال اليهود (التي لفتَت انتباهي إليها راشيا نايس)، يميّزُ يهوذا هاليفي (توفي ١١٤١) بينَ اللغة العبريّة (*العبرانيّة*)، اللغة المُقدَّسة لما دُعي فيها بعد عابر، والآرامية (*السّريانيّة*)، لغة الكلدانيّين الّذين جلبهم معه إبراهيم واستمرّوا في تكلّم اللغة للأغراض اليوميَّة (هارتفيغ هيرشفيلد، مُترجَم. *كتاب الخزري ليهوذا هاليفي*[نيويورك، ١٩٤٦]، ٣٠٩، الفصل ٣، الأقسام ٦٦-٦٧، استرعى انتباهي لها آدم سيلفرستاين)؛ بالنّسبة للنّص لقد استخدمَت طبعة نبيه بشير، *كتاب الخزري* [فرايبرغ آم نيكار، ٢٠١٢]، الذي يعرضُ النصّ العربيّ بكتابة عربيَّة بدلاً من اللغة العربيَّة اليهوديّة التي استخدمَها هاليفي نفسه، مع الاحتفاظ بأجزاء هيرشفيلد وأقسامه). تُرجم *الخزري* إلى اللّغة العبريّة من خلال يهوذا بن طيبون عام ١١٦٧، لتكثُر قراءته من خلال اليهود في أوروبا منذ ذلك الحين فصاعداً (راجع آدم شير، *الخزري وتشكيل الهوية اليهوديّة*، ١١٦٧-١٩٠٠ [كامبريدج، ٢٠١٢]).

[١] غريفِث، "النّصارى"، ٣١١، موضِّحاً أنَّ القرآن لم يقتبس المسيحيّين بشكلٍ صحيح (قالَ المسيحيّون فقط أنَّ المسيح هو الله) وأنَّ العبارةَ هي كاريكاتير مستوحىً بشكلٍ جدليّ. لكن إذا كانَت الإشارة إلى تيَّارِ المسيحيّين السّائِد، فإنَّه ليس بكاريكاتير حقاً. مثلاً، يقولُ إسحق الأنطاكي أنَّ الناس تجادلوا حولَ ما إذا كانَ الله قد ماتَ أم لا، ويستنكرُ باستياء أنَّ موتَه قد افتدى العالم _

شائِعة في القرآن، لكانَ ذلك تفسيراً معقولاً لو أنّ الآية لم تواصِل الشَّرح في أنَّه لا ينبغي للمُتهمّين قول ذلك، ، لأنَّ المسيح قالَ لبني إسرائيل ألّا يُشرِكوا بالله **(سورة المائدة، الآية ٧٢)**. لماذا تخيَّلَ الرّسول بأنَّ يسوعَ قالَ هذا لبني إسرائيل بدلاً من المسيحيّين؟ طبعاً كانَ يسوعُ يوجِّه وَعْظه لليهود في الأناجيل، لكن لا تذكرُ الأناجيل ولا روايات الاتّجاه المسيحيّ السَّائد أي شيءٍ يمكنُ له أن يؤدّي بالرّسول إلى تصوُّر يسوعَ وهو يوبّخُ بني إسرائيل لتمثيلهم يسوعَ كإله.كانَت ستبدو الفكرة سخيفة تماماً لكلٍّ من اليهود والاتّجاه المسيحي السَّائد في زمن الرّسول. وإذا كانَ هناك إسرائيليّون على خطأٍ بسبب تأليه المسيح، فيجبُ أن يكونوا إسرائيليّين مسيحيّين.

تستمرُّ السورة بالقول إنَّ أولئك الَّذين قالوا إنّ "اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ" غير مؤمنين أيضاً **(سورة المائدة، الآية ٧٣)**. حيثُ يفترِضُ المرءُ أنَّ الإشارة لا تزالُ موجَّهة لبني إسرائيل، وهذا هو أيضاً ما فهمه بعض القراء الأوائل، لأنّ ابنَ نجيح القرطبيّ اعتبرَ على ما يبدو الّذين قالوا إنَّ "اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ"كانوا يهود فينحاس.[1] وعلاوةً على ذلك، ينسبُ إلى قُتادة الرَّأي القائل بأنَّ إسرائيليّاً مُحدَّداً هو الذي اعتبرَ أنَّ "اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ"، وذلك عندما تفرُّق المسيحيّين الأوائل إلى عدَّة مجموعاتٍ، وأنَّ هذا الإسرائيليّ كانَ مدعوماً من الملك

ولا زالوا يسألونَ عمَّا إذا كانَ قد ماتَ! (ب. س. لاندرسدورفر، مُترجَم. *Ausgewählte Schriften der syrischen Dichter*[كمبتن، ١٩١٢]، ١٤٠ من ترقيم الصّفحات المُتواصِل). في الواقع إنَّ الله هو المسيح هنا، تماماً كما يقولُ الرسول.

[1] الطبريّ، *جامع*، الفصل ٤، ١٩٥، في ٣: ١٨١ (أشير إليها من خلال عبد المجيد الشرفي، "المسيحيَّة في تفسير الطبري"، Islamochristiana ٦ (١٩٨٠): ١٠٥–١٤٨، في ١٣٢).

وآخرين عُرفوا باسم الملكيّين![1] ثم تستمرُّ السورة بالجدال ضدَّ ثالوث يتكوَّنُ من الله والمسيح ومريمَ، وهو ما تدحضُه الإشارة إلى حقيقة أنَّ كلاً من يسوعَ ومريمَ قد أكلا الطَّعام **(سورة المائدة، الآية ٧٥، راجع أدناه، رقم ٧)**. ويخاطَبُ المُتَّهمين الآن على أنَّهم "أهل الكتاب"، ممَّا يجعلُ انتماءَهم العرقيّ مجهولاً، لكن قتادة يُعرّفهم مرَّةً ثانية على أنهم "الإسرائيليَّة (على النقيض من اليعاقبة والنساطرة) من النّصارى": الذين قالوا إنَّ يسوعَ إلهٌ، ووالدته إله، إلى جانب الله ذاته. ويعرّفهم في نسخة مُختلِفة من بيانه مرَّة أخرى على أنَّهم ملكيّين، أو "ملوك النَّصارى" (الإسرائيليّة ملوك النّصارى) على نحو أدقّ.[2] تعكسُ فكرة قتادة الغريبة بأنَّ إسرائيليّين ملكيّين قد عاشوا هناك، مُحاوَلته لدمج عدّة آياتٍ قرآنيّة لتتناسبَ جماعة واحدة،[3] على الرَّغم أنَّه من المُحتمَل أن تكونَ أكثر من ذلك.[4] إلا أنَّ النقطة الرّئيسة هنا هي أنَّ قتادة اعتبرَ أنَّ بني إسرائيل في القرآن اشتملوا على المسيحيّين.

تُلمِّحُ مقاطع أخرى في السورة نفسها أيضاً أنَّ اليهود والنَّصارى شكَّلوا جزأَين من الكلّ. ويعلِنُ كلاهما في الآية ١٨ من سورة المائِدة، بقولهم: "**نَحْنُ**

---

[1] أحمد بن يحيى بن المرتضى، *المنيا والأمل في شرح الملل والنحل*، مُحرَّر. محمد جواد مشكور (بيروت، ١٩٧٩)، ٧٤. أتوجَّه بالشكر إلى حسن أنصاري لمُساعَدتي في تحديد الفقرة.

[2] الطبريّ، *جامع*، المجلّد ٩، الفصل ١٦، ٨٥-٨٦، في ١٩: ٢٧؛ الشرفيّ، "المسيحيَّة"، ١٤٠.

[3] بصرف النّظر عن الآيات ٥: ٧٣ و٥: ٧٥، كانَ المقطعُ الرئيسُ الذي عملَ به قتادة هو ٦١: ١٤، حيث ينقسمُ الإسرائيليّون إلى اثنَين ـ أولئك الذين آمنوا بيسوع والذين لم يؤمنوا ـ مُضيفاً "فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ" (٦١: ١٤). وكما لوحِظ، هذا لا يتناسبُ مع الإسرائيليّين المؤمنين، في حين أنّه يناسبُ الملكيِّين. لكنّه عمل كذلك على ٥: ٨٢، عن *النّصارى* الذين كانوا ودودين مع المُسلمين لأنَّ رهبانهم وقسيسوهم ليسوا مُتكبّرين (راجع المقطع في ابن المرتضى، *المنيا*، ٧٤، حيث يُدعى الزّعيم المسيحي الذي يمثّل الحقيقة بالقسيس، عكس إسرائيل).

[4] ينظرُ أدناه، الصفحة ٢٥١ [٢٧٣]، في الملحوظة ٢١٣.

أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ"، والرّسول مُكَلَّف للردّ بحسم: "**فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم؟**"، كانَ الله يعاقبُ اليهودُ على خطاياهم بحرمانهم من المُلْك، وهي عبارة مجازيّة معروفة لمُعاداة اليهود، ولكن كيفَ يمكن للشيء نفسه أن يقالَ عن المسيحيّين، المُفَضَّلون عند الله كما يبدو في ذلك الوقت؟ لعلَّ الانتصارات الفارسيّة على البيزنطيّين قد مكَّنت الرّسول من تحويل الحجّة المُعادِية لليهود نحوَ المسيحيّين، ولكنَّ تفسيراً أكثر إقناعاً سيكونُ بأنَّ المسيحيّين في المنطقة هم إسرائيليّون يعانون من افتقاد الاستقلاليّة ذاتها، مثل نظرائهم المُتشكّكين غير المؤمنين. ليس هذا فقط، بل يصرّح الرّسول في مَطلع السورة مُحلّلاً طعام أهل الكتاب للمسلمين {**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**} **(سورة المائدة، الآية ٥)**، وهو أمرٌ مُحيِّر. و وفقاً لما يفترضُ عادةً فقد أعلنَ يسوع أنَّ كلَّ الأطعمة طاهرة، كما في :**فَقَالَ لَهُمْ: {أَفَأَنْتُمْ أَيْضًا هكَذَا غَيْرُ فَاهِمِينَ؟ أَمَا تَفْهَمُونَ أَنَّ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الإِنْسَانَ مِنْ خَارِجٍ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ إِلَى قَلْبِهِ بَلْ إِلَى الْجَوْفِ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْخَلاَءِ، وَذلِكَ يُطَهِّرُ كُلَّ الأَطْعِمَةِ}** **(مرقس، ٧: ١٨–١٩)**، كما قالَ أحدُ المُجادلين المُسلمين في وقتٍ لاحق أنّ بولسَ قد سمحَ للمسيحيّين أكلَ أي شيء "**ما بينَ البقّة إلى الفيل حلال**"،[١] وهذا يعني أنَّ المسيحيّين أحرارٌ في تناول الأطعمة المُحرَّمة في القرآن.[٢]

---

[١] سيف بن عمر التميمي الضبّي الأسيدي، (توفي قبل ١٩٣هـ/٨٠٩ م)، كتاب الرِدَّةِ والفُتُوح وكتابُ الجَمَل ومَسْير عائِشة وعليّ، تحقيق الدكتور قاسم السامرانيّ،)لايدن. ١٩٩٢)، ١٣٣ ult. (par. 133)؛ راجع شون أنطوني، "تأليف رواية سيف بن عمر عن الملك بولس وتشويهه للمسيحيَّة القديمة"، *الإسلام* ٨٥ (٢٠٠٨): ١٦٤–٢٠٢، في ١٧٧ (خنافس بدلاً من بعوض).

[٢] لوحِظَت من دو بلوا، "نصراني"، ١٦. إنَّ المتابعة "وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ" هي بالكاد مُشكلة. والرّسالة هي أنَّ المؤمنين قد تشارَكوا الطَّعام مع أهل الكتاب؛ ولم يكن للرَّسول أن يقرِّرَ إذا ما اعتبرَ أهلُ الكتابِ طعامَ المؤمنين (kosher) حلالاً.

كيف يمكنُ لطعامهم إذن أن يصبحَ حلالاً للمؤمنين؟ أحد الحلول هو أنَّ "أهل الكتاب" هنا يرمزُ إلى اليهود وحدَهم؛ وهذا هو ما يقوله غريفِث.[١] لكنَّ الرّسول يشاركُ في نقاشٍ عن التَّشريع، وليسَ في مُجادَلة ضعيفة أو غير مُحكَمة: فهو نادراً ما يستخدم كلمة أو عبارة عن اليهود والمسيحيّين، إذا كانَ يقصدُ استبعادَ المسيحيّين. إنَّ البديل الوحيد هو في اتّباع المسيحيّين في المنطقة لشرائع الطعام أيضاً. في الواقع، كانَ جميعُ المسيحيّين في الشرق الأدنى يتبعونَ بعض شرائع الطعام، ولاسيّما تحريم لحم الأضاحي، والطعام اليهوديّ، والدّم، وبالتالي الحيوانات المخنوقة أيضاً (الّتي لم يستنفذ دمها)[٢]. لكن ذلك لا يزالُ يتركُ لهم حرّية تناول أشياء كثيرة مُحرَّمة في الشَّريعة الإسلاميَّة، على سبيل المثال: لحم الخنزير، بحيث لا تحلُّ المُشكلة. وفي الآية ١٥٧ في سورة الأعراف، الموجَّهة إلى أتباع موسى والمُحدَّدة في زمن موسى نفسه، يقول الله إنَّه سيرحمُ أولئك الذين يتبعونَ النّبيّ الأمِّيَّ المتنبّئ به في التّوراة والإنجيل، والذي سيَضع عَنهُمْ إصرَهُمْ والأَغلال. والإشارة هنا إلى الرّسول الذي كانَ يَعتقدُ بأنَّه متنبأ به في الكتاب المُقدَّس اليهوديّ والمسيحيّ على حدٍّ سواء، وهو ما يعني ضمناً أنَّ كلاً من أنصار التّوراة والإنجيل، قد تحمَّلوا أعباء شرعية ثقيلة،

[١] غريفِث، "Syriacisms"، ٨٧ رقم ١٨؛ غريفِث، "النصارى"، ٣١٥-٣١٦.

[٢] ينظر ديفيد م. فريدنريتش، *الأجانب وطعامهم* (بيركلي، ٢٠١١)، الجزء ٣ (استرعى انتباهي له سارة سترومزا)، فيما يتعلّق بتحريم الدَّم، الّذي لا يزالُ مؤيّداً في الوقت الحاضِر في الكنيسة الإرثوذوكسيَّة اليونانيَّة، راجع. مَجمَع جانقري (٣٤٠ ميلادي)، القانون ٢؛ مجمع ترولو (٦٩٢ ميلادي)، القانون ٦٧؛ هيرمان ج. ب. تويله، "النّصوص القضائية في كتاب *الإيثيقون* لابن العبري"، *Christianus Oriens* ٧٩ (١٩٩٥): ٢٣-٤٥، في ٣٣ (يعقوب الرهاوي). كذلك غالباً ماتمَّ تأييد تحريم الدّم في الغرب اللاّتيني، لكنّ اللاتينيون تبعوا أوغسطينوس في نهاية المطاف، الذي اعتقد أنّه لا داعي ليكونَ مؤيّداً بعدَ الآن (أوغسطينوس، *Contra Faustrum*، ٣٢، ١٣).

وأنَّ الرّسول سيحرِّرُهم من هذه الأعباء. إنَّ المُحرَّمات الّتي تقيّد بها المسيحيُّون الأغيار من الأمم غير اليهوديّة تكادُ لا تكفي في دور "إصرِهم والأغلال". ومع ذلك؛ يجبُ على المسيحيّين في المنطقة التقيد بضوابِط الطعام مُقارَنة مع تلك الموجودة عند اليهود.

وفي الختام، يعتقدُ توري تشارلس كتلر،في قصّة أصحاب الكهف المسيحيَّة في الأصل، عندَما يتمُّ إرسالُ أحد الشباب للعثور على أزكى طعامٍ مُتوفِّر **(سورة الكهف، الآية ١٩)**، أنَّ الرواية القرآنيّة قد تعكسُ طبعة يهوديّةً مُنقَّحة، على أساس عدم توفُّر عناصر مسيحيَّة فيها، ولم يتمَّ العثورُ على عنصر الطعام الحلال في أيّ نسخة مسيحيَّة مُبكِّرة.[١] لكن يمكنُ لهذه الحجَّة أن تستخدمَ بشكلٍ جيد إذا كانَ المُرسل مسيحيّاً يهوديّاً.

إنَّ استخدام الرّسول لمُصطلَحات "اليهود" و "النَّصارى" لم يكن قبل السّور المدنيّة، وَإِنْ ظهر تعبير "الَّذِينَ هَادُوا" (أولئك الذين يتّبعون اليهوديّة) في ثلاث سور مكّيَّة (أو واحدة مدنيّة وسورتان مكّيتان)، **(سورة الأنعام، الآية ١٤٦؛ سورة النحل، الآية ١١٨؛ سورة الحج، الآية ١٧)**. ونجدُ في السّور المدنيّة عبارة "الَّذِينَ هَادُوا" (سبعة شواهِد) ومُصطلَح "يهود" (تسعة شواهِد) جنباً إلى جنبٍ مع مُصطلَح "بني إسرائيل". والمسيحيُّون من ناحية أخرى، إمّا مشمولون بمُصطلَح " بني إسرائيل"، أو أنّهم لم يذكروا بالاسم في السور

[١] تشارلز س. توري، *الأساس اليهودي للإسلام* (نيويورك، ١٩٣٣)، ١٢١. لم يناقش غريفِث الطعام الطاهر، أوغياب السمات المسيحيَّة فيما يتعلق بهذه المسألة، في دراسته " لأصحاب الكهف" (سيدني غريفِث، "المعرفة المسيحيَّة والقرآن العربي: "أصحاب الكهف" في سورة الكهف وفي الرواية المسيحي السرياني"، *القرآن في سياقه التاريخي*، مُحرَّر. رينولدز، ١٠٩-١٣١)، على الرغم من أنه يتحدث عن "الطريقة التي يزيل بها القرآن الإطار المرجعي المسيحي" للقصة، ١٣٠.

المكّيّة إطلاقاً، رغمَ أنَّ هناك بالتّأكيد إشاراتٍ إلى مذاهبهم **(ولاسيّما في سورة مريم، الآيات من ١٦ إلى ٣٦)**. ومن اللافت للنظر بمُجرَّد أن يبدأ الرّسول التحدُّث عن اليهود والمسيحيّين، فإنّه يتحدث عنهم تقريباً واحداً بعد آخرَ في المُناسَبات كلها، وذلك في تمثيلهم كأنداد مُضلّلين على قدم المُساواة: "**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ"(سورة التوبة، الآية ٣٠)**؛ "**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ"(سورة التوبة، الآية ٣١)**؛ "**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ"(سورة المائدة، الآية ١٨)**؛ "**وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الجنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ**"؛ "**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ**"؛ "**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**"؛ "**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا" (سورة البقرة، الآيات ١١١، ١١٣، ١٢٠، ١٣٥)**؛ ويدَّعي كلاهما أنَّ إبراهيمَ كانَ على ملَّتهم.[١]

لقد شاركَ الرّسول بمُجادَلة ضدَّ اليهود وحدَهم في آية واحدة: "**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" (الآية ٦٤ من سورة المائدة)**، وفي آية أخرى، يربطُ النّصارى مع بني إسرائيل وليسَ باليهود **(سورة المائدة، الآية: ١٢-١٤: نَقض بنو إسرائيل ميثاقَهُم، "وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا**

[١] يروي الرَّسول إنَّ إبراهيم لم يكن يهودياً ولا مسيحيّاً (٢: ١٤٠؛ ٣: ٦٧) وإنَّ الشيءَ نفسه ينطبقُ على إسماعيل، وإسحق، ويعقوب، وأسباط إسرائيل (٢: ١٤٠). يوسابيوس، *Demonstratio Evangelica*، ١. ٢. ٥.

مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ"، وكلاهما نَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذكِّرُوا بِه). وهناك آيةٌ مشهورةٌ أيضاً تصفُ النّصارى أنَّهم أقربُ من اليهود مودَّة للذين آمنوا، **(سورة المائدة، الآية ٨٢ "وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ")**[1]. ومع ذلك نحن مُتأكّدون بأنَّ على المؤمنين ألّا يتَّخذوا أنصاراً من اليهود أو النَّصارى **(سورة المائدة، الآية ٥١)**. ويوجد ثلاث آيات أيضاً أدرج فيها اليهود والنصارى معاً، ولكن مع جماعات دينية أخرى[2]. باختصار، يبدو أنَّ الرّسول يعتقدُ بانتماء اليهود والنَّصارى بعضهم لبعض، كما هو الحال عندما صنّفهم تحتَ مُسمَّى "أهل الكتاب". وهذا يعزّز المسألة للرأي القائل إنَّ اليهود والنَّصارى كلاهما مشمولون بمسمَّى "بني إسرائيل".

والاستبدال ذاته يقترح تَضمّنُ بني إسرائيل لكلّ من اليهود والنّصارى أيضاً، وذلك في السّور المدنيّة عندَما يتحدَّث الرّسول عن المُعاصِرين، حيثُ يردُ فيها ذكرُ اليهود والنصارى عوضاً عن بني إسرائيل. وليست المسألة أنَّ مُصطلَح "بنو إسرائيل" يشيرُ دائماً إلى بني إسرائيل القدماء، كما يعتقد البعض: على سبيل المثال، **("إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ")** تصوّر الآية المكّيّة رقم ٧٦ من سورة النمل بوضوح الإسرائيليّين على قيد الحياة وذلك في منطقة الرّسول نفسه، وكذلك توجه الخطاب لهم

---

[1] تمَّت مُناقَشة هذا المقطع في باتريشيا كرونة، "العرب الوثنيّون وعباد الله"، ليظهروا في *الإسلام وماضيه: الجاهلية والعصور القديمة المُتأخّرة في المصادر الإسلاميَّة المُبكِّرة*، مُحرَّر. كارول باخوس ومايكل كوك (أوكسفورد، قريباً) [مُحرَّر: مدرج في المقالة ١١ من المجلد الحالي].

[2] إنَّ الله سيفصلُ بين المؤمنين واليهود والمسيحيّين والصابئيّين والزرادشتيّين والمشركين يوم القيامة (٢٢: ١٧)؛ والذين آمنوا بالله واليوم الأخير وعملوا صالحاً، بما فيهم اليهود والمسيحيّين والصابئيّين، فلهم أجرهم (٢: ٦٢، ومثلها ٥: ٦٩).

بطريقة مُباشرة في عدّة آيات أخرى (**مثلاً، سورة البقرة، الآيات ٤٠ و ٤٧ و ١٢٢؛ سورة الإسراء، الآيات ٥-٨**). لكن يبدو أنَّ القرآن يفصل بين بني إسرائيل في الزمن الماضي وبين تجلِّياتهم المعاصرة كيهود ونصارى في السّور المدنيّة.

لماذا بدأ الرّسول باستخدام هذه المُصطلَحات في المدينة؟ أحد الاحتمالات هو أنَّ الاستبدال يعبّر عن عداء جديد لليهود والنصارى، أو ربّما لليهود فحسب، لأنَّ مُسمّى "إسرائيلي /بني إسرائيل" هو ما يدعو اليهود به أنفسهم في طقوسهم وكتاباتهم الدينيّة الأخرى (على سبيل المثال، التلمود)، وفي فلسطين اليونانيّة-الرومانيّة على الأقلّ، وذلك في الاستخدام اللّغوي اليوميّ. لقد كانت كتابات الدُّخلاء واليهود باللّغة اليونانيّة خارج فلسطين هي التي استخدمت مُصطلَح "يهود" (*Ioudaioi* أي سكان اليهوديّة، منطقة في فلسطين القديمة).[1] لقد كانت الكتابات الجدلية موجهة ضد "اليهود" دائماً، سواء كانت مكتوبة باللغة اليونانيّة أم السريانيّة، أو باللغة العربيّة (بعد الفتوحات)، وسريعاً ما اكتسبت هذه الكلمة مَدلولاً ازدرائيّاً. وللمرء أن يتوقَّع بطريقة مُماثِلة من الرّسول توجيه جدله المُعادي لليهود ضدَّ "اليهود"، وهكذا فعلَ في نهاية المطاف. لكن على الرَّغم من أنَّه جادلَ ضدَّهم في السور المكّيّة، إلا أنَّه لا يزالُ يشيرُ إليهم بمُصطلَح "بني إسرائيل"، ويوافقُ على ما اختاروه لأنفسهم من مُسمّى . ولذلك يبدو التبديل إلى استخدام كلمة "يهود" في المدينة مثل إشارةٍ لتزايُد العداء ضدَّهم.

---

[1] راجع مالكوم لو، "Ioudaioi of the Apocrypha"، *Testamentum Novum* ٢٣ (١٩٨١): ٥٦-٩٠ (متضمنةً الناس المُتحدّثين باللغة اليونانيّة في الحقبة حوالي عامَي ٢٠٠ قبل الميلاد و٢٠٠ بعد الميلاد).

لقد كانَ "*kristyānē*" المُصطلَح المُتعارَف عليه في الإشارة للمسيحيّين في اللغة السريانيّة، وهو تسمّية ذاتيّة أيضاً، وقابل للترجمة كـ "مسيحيّين". لا يظهر هذا المُصطلَح في القرآن!. ومن ناحية ثانية، دعا الزرادشتيّون الأعداء في بلاد ما بين النهرين المسيحيّين بالنّصارى*nāṣrāyē*، حيثُ استخدموا كلمة القرآن "النّصارى" ذاتها.[1] ولم تكن تسمية "المسيحيّين" و"النصارى" ببساطة مُصطلَحات من داخل وخارج المجموعة نفسها، ومع ذلك، لأنّها تظهر كمُسمَّيات لطائفتَين دينيتَين مُنفصلتَين في نقوش كريدر في أواخر القرن الثالث؛ يمكن أن ترمزَ إلى المسيحيّين من اليهود والأغيار.[2]

يمكن قبول الفكرة القائلة أن المسيحيّين الأغيار كرهوا اختلاطهم مع نظرائهم من المسيحيّين اليهود، الذين قلّلوا من شأنهم على الأرجح، وهو على وجه التحديد سبب اِستهزاء الزرادشتيين لهم في تسمّيتهم بالنصارى.

هل استخدم الرّسول التسمّية بأسلوبٍ ازدرائيّ أيضاً؟ سيكون ذلك موازِياً مُنسجِماً للتسمّية الازدرائيّة "يهود"، لكنّه لا يتوافقُ مع الآيتَين ١٤ و ٨٢ من سورة المائدة، حيثُ تشيرُ كلا الآيتَين إلى أولئك الذين يقولون: "إِنَّا نَصَارَىٰ".؛ وعلى الرَّغم من أنَّ الآية الأولى عدائية، تمدحُ الآية الثّانية النصارى كمؤمنين، وبالتالي لا يمكنُ تقديم تفسيرات مُقنِعة أو تسويغ التسمّية الذاتيّة الظاهرة على أنّها تسمية ازدرائيّة. إذا كان مُسمّى "نصارى" تسمّية ذاتيّة، فإنَّ الرّسول ربَّما اعتمدَه في المدينة لمُجرَّد أنَّه كان عليه أن يدعوَ المسيحيّين بشيء الآن، حيثُ كانَت فئة بني إسرائيل الوحدويّة قد تفكَّكت. ولكن لماذا كانَت

---

[1] ينظر دو بلوا، "نصرانيّ"، ٨؛ راجع رينولدز، "القرآن والرّسل"، ٤، رقم ١٩،
[2] راجع دو بلوا، "النّصارى"، ٥ والصّفحات التالية. يوجد العديد من الاقتراحات الأخرى.

"النَّصارى"، بدلاً من المسيحيّين، وهو ما اختارَه المسيحيُّون المحلّيّون لأنفسهم من مُسمّى؟ إنَّ أبسطَ حلٍّ هو ما اقترحَه دي بلوا، أي بمعنى أنَّهم كانوا مسيحيّين يهود،[1] على الرَّغم من أنَّ هذا الحلَّ يتركُ بعضَ المشاكل أيضاً.[2]

٤- أهمّية القرابة لموسى ويسوع:

موسى هو النبيّ الأكثر شهرة في القرآن. وقد ذُكِرَ في ستة وثلاثين سورة، وذُكِرَ يسوعُ في أحد عشر؛ يظهر اسم موسى في ١٥٣ آية مقابل خمسة وعشرين ليسوع فقط. ويوجَد الكثير من الإشارات إلى كتاب موسى أكثر من الإنجيل، ومن العهد القديم أكثر بكثير من الجديد. وتتركَّز موادّ العهد الجديد في ثماني سور، في حين توجدُ موادّ العهد القديم في كلّ سورة تقريباً.[3] ويشيرُ القرآن إلى ولادة موسى، وتَعَرّضه للتَّخَلِّي في صندوق (وليس في سلة)، وتربيته بين شعب فرعون، وقتله لمصري، والزّمن الذي قضاه في ميديان، والشُّجيرة المُلتهبة، والمُعجِزات الّتي قام بها هو وهارون في لدن فرعون، والخروج من

---

[1] دو بلوا، "نصرانيّ"، ١٢-١٥؛ كذلك راجع غنيلكا، *Nazarener*. يعتقد دو بلوا أنَّهم نصارى "أنقياء وبسطاء"، لكن ليس من الواضح تماماً ما يعنيه بذلك، وبافتراض ذلك، كما يلاحظ نفسه، يبدو أنَّ كلمة النَّصارى "Nazoreans" لا تشير دائماً إلى طائفة محددة بوضوح، بل إنّه يشملُ جزءاً كبيراً من الطائفة المسيحيَّة اليهوديّة (دو بلوا، نصرانيّ، ٤). إنّ الصورة الّتي رُسِمت لهم في راي أ. بريتز، *المسيحيَّة اليهوديّة الناصريّة* (القدس، ١٩٨٨)، مترابطة بشكل مُضلِل. علاوةً على ذلك، لا يوجد أيّ استمراريّة مُباشَرة بين الطوائف المسيحيَّة اليهوديَّة الموصوفة من خلال الكتاب الآبائيّين وتلك التي تظهر في القرآن: مُقابل كلّ تشابه، يوجد العديد من الاختلافات.

[2] المُشكّلة الرئيسة هي ٥: ٨٢، حيثُ يملك أولئك الذين يسمّون أنفسهم *نصارى* كهنة/شيوخ (*قسيسيون*) ورهبان (*ربان*)، ممَّا يوحي بأنّهم مسيحيّون من غير اليهود. لم يُناقش دو بلوا هذا المقطع.

[3] راجع غنيلكا، *Nazarener*، ١٢٣-١٢٤؛ وبالمثل غويتين، *اليهود والعرب*، ٥٥-٥٦.

مصر، والوحي في سيناء، والعجل الذّهبيّ، وإرسال الكشّافة إلى الأرض المُقدَّسة: كلّ النقاط الرئيسة في حياته محكيّة بطريقة عملية. وفيما يتعلّقُ بيسوعَ، نسمعُ عن بشارة العذراء، وآلام ولادة مريم تحت شجرة النخيل **(راجع أدناه، رقم ١٤)**، وافتراءات اليهود ضدَّها **(انظر أيضاً رقم ١٤)**، ومُعجِزات طفولته **(سورة آل عمران، الآية ٤٦، ٤٩؛ سورة المائدة، الآية ١١٠)**، ونجدُ أيضاً مجيئه الثّاني في نظر بعض العلماء الحديثين **(سورة الزخرف، الآية ٦١)**؛[1] ولكن ليس عن معموديّته، وإغرائِه، ونزوله إلى الجحيم، والعشاء الأخير **(بصرف النّظر عن الجلجلة في سورة الأنعام، الآيات ١١٢-١١٥)**، وجَثسيماني (بستان فيه أشجار الزيتون شرق أورشليم)، أو خيانة يهوذا. ولا تذكر معجزاته بعد سنّ البلوغ إلا بعبارات عامة **(سورة آل عمران، الآية ٤٩؛ سورة المائدة، الآية١١٠)**، وأيضاً تمَّ إنكارُ الصّلب **(انظر رقم ١٠)**، في حين تُرِكَت قيامته من دون ذكر. وجملة القول، إنَّ تمثيل يسوعَ المُبجّل من تيّار المسيحيّين السّائد بالكاد يُرى.

وبدلاً من ذلك، أصبحَ يسوع نبيّاً مثل موسى، وبالتأكيد مثل الرّسول نفسه، بمعنى أنَّه أصبحَ نبيّاً أَتَى بكتاب مُنزَل. ويوجد آياتٌ لا يمكنُ إنكارها ربَّما تؤخذ على نحو يدلُّ ضمناً أنَّ موسى كانَ المُتلقّي الوحيد لكتابٍ قبلَ الرّسول نفسه: **"وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ"** ... **"وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً"(سورة المؤمنون، الآيتان ٤٩-٥٠)**؛ **"وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ"** ... **"آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ"** **(سورة البقرة، الآيتان ٨٧، ٢٥٣)**. ولكن في آية أخرى، يعلن يسوع: **"قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ**

---

[1] لا يمكنُ تقبّل هذه الفكرة؛ ينظر الجزء ٢، رقم ١٥.

وَجَعَلَنِي نَبِيًّا"(سورة مريم، الآية ٣٠)،وفي مكانٍ آخر، ذكرَ أنَّ الله أعطاه الإنجيل: **"ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ " (سورة المائدة، الآية ٤٦؛ ٥٧:٢٧)**، وأَنزلَ التَّوراة والإِنجيل **(سورة آل عمران، الآيتان ٣، ٦٥؛ قارن مع سورة آل عمران، الآية ٤٨؛ سورة المائدة، الآيتان ٤٦، ٦٦، وقارن مع الآية ٦٨؛ سورة التوبة، الآية ١١١، كلّها سور مدنيّة)**[1].

كلمة "إنجيل" مشتقَّة من "evangelion" اليونانيّة، وليس ترجمة، ومن غير الواضح إلى أيّ مدى عرفَ الرّسول بأنَّ الكلمة تعني الأنباء السارة "البشرى". لكنَّه يصوّر كلَّ رسل الله، ويشملُ نفسه ويسوع، وكأنّهم يأتونَ بالبشرى؛ إنَّ البشرى التي يأتي بها يسوع ليسَت أنباءً عن تجسيد الله في كائن بشري، أو تضحية بابنه الوحيد، أو قيامة الأخير، وإنّما أنباءً حولَ مجيء أحمد **(سورة الصف، الآية ٦)**. علاوة على ذلك، وعظ يسوع بتوحيد حازم **(سورة المائدة، ٧٢؛ قارن مع سورة آل عمران:٥١؛ سورة مريم، الآية ٣٠)**، وبواجبِ الصّلاة ودفع الصّدقات **(سورة مريم، الآية ٣١)**. ويبدو الإنجيل وكأنّه جدول محتويات لتعاليم يسوع، حيثُ يفترضُ الرّسول أن تكونَ تعاليمه مُتطابِقة لما عندَه، وليست بشارة افتداء الله للبشرية بوفاته.

لقد أرسِلَ يسوعُ بناءً على هذه الرواية مُصدِّقاً لكتاب موسى أو (كما تقولُ السورة المدنيّة) التوراة **(سورة آل عمران، الآية ٥٠؛ سورة المائدة، الآية ٤٦؛ سورة الصف، الآية ٦)**؛ مثلما كانَ الرّسول نفسه **(على سبيل المثال، سورة آل عمران، الآية ٣؛ سورة الأحقاف، الآية ١٢، قارن مع سورة الآحقاف،**

---

[1] لجميع فقرات الإنجيل، ينظر باريندر، يسوع، ١٤٣-١٤٤.

الآية٣٠). وقد يكونُ الرأي القائل بيسوعَ كنبيّ مُصدّقا أسفار موسى الخمسة غريباً على المسيحيّين الأغيار. وبالطبع قالَ يسوعُ في الإنجيل: **{لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ}(إصحاح ٥ من إنجيل متى: ١٧-١٨)**؛ لكنَّ المسيحيّين فسروا الناموس بعنى الوصايا العشر، ورفضوا كل شيء آخر ليكون عقوبة فرضت على اليهود بسبب عبادتهم العجل الذهبي،[١] أو أنَّهم استخدموا كلمة "الناموس" بالمعنى المُبهَم للقانون الطبيعيّ، والمبادئ الأخلاقيّة، أو "ناموس الإنجيل".[٢] على سبيل المثال، يعتبر أوريجينوس أنَّ إبيون (السلف المُفترَض للإبيونيّين) خَرب الناموس، على الرَّغم أنَّ ما فعلَه إبيون كانَ من خلال اتّباع شعائر الناموس اليهودي، كما قال أوريجينوس: جاءَ المسيح لإبعاد الناس عن الناموس.[٣] أو كما صاحَ يهوديٌّ غير دينه في

---

[١] راجع مارسيل سيمون، *إسرائيل الحقيقيّة: دراسة العلاقات بيت المسيحيّين واليهود في الإمبراطوريّة الرومانيّة* (لندن، ١٩٤٦)، ٨٨-٩١. لقد تمَّ استخدام هذه الحجّة في *Didascalia*، الفصل ٢ (آرثر فوبوس، تحرير وترجمة. The Didascalia Apostolorum in Syriac[لوفان، ١٩٧٩]، ١٨=١٥)؛ كذلك راجع الفصل ٢٦ (ولاسيَّما٢٤٤-٢٤٥=٢٢٦-٢٢٧). يتحدَّث هذا النّصمع ذلك عن الناموس بأسلوب مُدهش، مُدَّعياً أنَّ يسوع لم يأتِ لإبطال الناموس، بل لتجديده وتأكيده وإكماله (راجع جويلَ ماركوس، "شهادات الآباء الاثني عشر و *Didascalia Apostolorum:* الوسط المسيحيّ اليهودي المُشترَك؟"، *مجلّة الدّراسات اللاهوتّية*، ns، ٦١، رقم ٢ [٢٠١٠]: ٢٩٦-٦٢٦، في ٦٠٨، كذلك راجع ٦١٦-٦١٧، ٦٢٥).

[٢] راجع. *Didascalia*، الفصل ١٥ (تحرير وترجمة. فوبوس، ١٦٦=١٥١)؛ راجع زيلنتين، *حضارة القرآن الشرعية*.

[٣] الأصل في كليجن ورايننيك، *الدليل الآبائيّ*، ١٣٠، ١٣٢ (في *رسالة إلى أهل رومية*. ٣، ١١؛ في متى.

عقيدة يعقوب "Doctrina Iacobi" ، الّتي كُتِبَت في ثلاثينيات القرن السادس: "**بعد ناموس موسى، أُعلِنَ عن ناموس آخر ، إنّه ناموس المسيح، والأناجيل المُقدَّسة للعهد الجديد ... ولن نواصلَ التهويد أو نحتفلَ بالسبت**"[١]. و بالنّسبة إلى يسوع في القرآن، فإنَّ التوراة على وجه التحديد، هي ما يثيرُ الدَّهشة، على الأقل في السور المدنيّة، وليس الناموس بمعنى غير مُحدَّد، حيث أُرسل يسوع ليصدق عليه. كما يقولُ القرآن: "**وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ**" **(سورة المائدة، الآية ١١٠)**، حيثُ يبدو أنَّها جميعا تحتوي على الرِّسالة نفسها. ويقولُ القرآن أيضاً إنَّ يسوع جاءَ للتراجع عن بعض المُحرَّمات المفروضة على مُتلقّي التوراة **(سورة آل عمران، الآية ٥٠)**، ويعلمنا أن بعض الأطعمة كان محرمة على اليهود كعقاب على خطاياهم **(سورة النساء، الآية ١٦٠)**. وذلك أكثر إيجائيَّة بكثير من المواقف المسيحيَّة غير اليهوديّة. لقد أعلنَ الرّسل الاثني عشر في عقيدة يعقوب (كتبت في سورية حوالي عام ٢٠٠) أنَّ المسيح قد جاءَ ليكمل الناموس ويخلّصنا من أواصر "التشريع الثّاني" (أي الناموس اليهوديّ) وهو أمرٌ مُتناقِض كما يبدو.[٢] لكن ما هي إلا بعضٌ من المحظورات تلك التي جاء يسوعُ للتراجُع عنها في القرآن، ويذكره المقطع ذاته أيضاً بأنَّه مؤكِّد للتوراة. باختصار، تشيرُ وجهة نظر الرّسول عن يسوع إلى أنَّها قد شُكلّت في مُجتمَعٍ كانَ فيه يسوعُ مُبجلًّا، ولكن

---

[١] *عقيدة يعقوب*، تحرير وترجمة، مع التعليق، جيلبرت داغرون وفينسينت ديروش، "Juifs et Chrétiens dans l'Orient du viie siècle"، *Travaux et Mémoires* ١١ (١٩٩١): ١، الفقرة ٢٩، السطر ١٣.

[٢] راجع. *Didascalia*، الفصل ٢ (تحرير وترجمة. فوبوس، ١٨=١٥)؛ راجع زيلنتين، *حضارة القرآن الشرعيّة*.

موسى بقيَ النبيّ الأنموذجي. إنَّ ذلك الوصف يناسبُ اليهودَ المسيحيّين فقط.

٥- الخريستولوجيات المسيحيَّة اليهوديّة:

يحتاجُ القارئ قبلَ المُتابَعة إلى استثمار القليل من الطَّاقة للتعرُّف والاقتراب من نفسه تبعاً للخريستولوجيا المسيحيَّة اليهوديّة. وكثيراً ما يفترَض، ولاسيّما من العلمانيّين، أنَّ جميعَ المسيحيّين اليهود يعتبرونَ يسوعَ، بقدر ما اعتبرَه الرّسول، نبيّاً بشريّاً على نحوٍ صرفٍ، ولكنَّه أمرٌ غيرُ صحيح. بالتأكيد كان يوجد مسيحيّون يهود يتبنّون خريستولوجيا مُنخفِضة، بل من المُرجَّح أنَّ خريستولوجيا القرآن من أصلٍ مسيحيّ يهوديّ، على الرَّغم أنَّه من الصَّعب إثبات ذلك **(انظر رقم ٩)**. لكنَّ العديد من المسيحيّين اليهود الآخرين - وربَّما معظمهم - كانَ لديهم آراءُ خريستولوجيا عالية من النوع الذي يصنِّفُه (أو صنّفَه) عددٌ من العلماء المُعاصِرين على أنَّه غنوصيّ، ونحنُ بحاجة إلى فهم كلا النوعَين لتقييم مدى وجود الأفكار المسيحيَّة اليهوديّة في القرآن، سواء كانَت كعنصرٍ من فكر الرّسول أو كهدفٍ لمُجادَلاته.

وخلافاً لمسألةِ ما إذا كانَ على المتحوّلين الأغيار من الأمم غير اليهوديّة اتّباع النّاموس اليهوديّ، وفي الواقع، نحن لا نعرف كيفَ تصوَّرَ المسيحيُّون الأوائل المسيح، أو إذا كانوا يتقاسمونَ فهماً واحداً له، لأنَّ الخريستولوجيا لم تكن موضوعاً للنّقاش بين بولس وكنيسة أورشليم. ومع ذلك، فإنَّ مقطعاً مشهوراً من رسالة بولس، الذي يفترَضُ على نطاقٍ واسعٍ بأنّها ترتيلة، وربَّما المُترجم من الآراميّة، قد يُعطينا لمحةً عن الخريستولوجيا الفلسطينيَّة

المُبكِّرة.[1] يتَّضحُ ذلك في رسالة بولس الرّسول إلى أهل فيلبي (أصحاح ٢: ٦-١١)، وهي واحدة من سبع رسائلَ بولسيّة مقبولة عموماً بأنَّها حقيقيّة؛ إذا كانت حقّاً مكتوبة قبله، حيثُ تأخذُنا إلى الخمسينيَّات أو الستينيَّات، بعدَ عشرين أو ثلاثين عاماً فقط من وفاةِ يسوعَ. وفي المُقابل، لا بد من القول أن رسالة بولس الرّسول إلى أهل فيلبي ليست من بين الرسائل الأربع التي كان من شأن فرديناند باور، مؤسّس مدرسة توبنغن، تخفيضها إلى مجموعة الرّسائل البولسية الأصيلة، ولا يزالُ الراديكاليّين الهولنديين، الذين حدَّدوا تاريخ جميع الرّسائل البولسية لتكون في القرن الثاني، مُتعاطِفين معهم[2]. وثمَّة أمرٌ مريبٌ في أنَّ رسائل بولس تفترضُ مُسبقاً تقديراً رفيع الدّرجة ليسوع كمسيح، و ربٍّ و ابن الله، بدلاً من الشّرح أنَّه كانَ كل هذه الأمور، ولاسيّما بالنّظر إلى أنَّ جمهوره شملَ الأغيار من الوافدين الجدد.[3] ولكن إذا كان الأمر كذلك، فمن المؤكد أن الترتيلة كانت في وقت مبكر.

---

[1] الأدب واسع. فيما يتعلَّق بمراجع ومقدّمة مقروءة، ينظر لاري و. هورتادو، *كيف أضحى يسوعُ الله على الأرض؟* (غراند رابيدز، ميشيغان، ٢٠٠٥)، الفصل ٤.

[2] ولاسيَّما هيرمان ديترينغ (راجع "النهج الهولندي لرسائل بولس"، *مجلة النقد العالي* ٣ [١٩٩٦]: ١٦٣-١٦٩)؛ كذلك روبرت مـ. برايس، الذي يمكن العثور على تقييماته النقدية المُمتعة في:
http://www.robertmprice.mindvendor.com (بدأ الوصول إليه في آب ٢٠١٢ فصاعداً) .

[3] راجع هورتادو، *كيف أضحى يسوعُ اللهَ على الأرض؟*، ٣٣، بمعنى أنَّ كلَّ هذه المفاهيم قد أسّست نفسها بسرعةٍ هائلة. و وفقاً لما ذكرَه مارتن هنغيل، "لقد طرأ على الخريستولوجيا خلال هذه السنوات القليلة أكثر ممّا طرأ عليها في السّنوات السبعمئة اللاحقة". وكما اعتادَ أن يعتقدَ لقد حدثَ الكثير في العقود من محمّد إلى الحرب الأهليّة الأولى أكثر ممّا حدثَ في السنوات السبعمئة التالية من التاريخ الإسلاميّ. هذا النّمط الذي تحصل عليه عندما يجبُ أن تُرجعَ كلَّ عقيدة شرعيّة إلى زمن المُؤسس وأتباعه.

لقد صُوِّرَ المسيح في هذه الترتيلة على أنَّه كائن سماويّ أزليّ، وجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسَه وأطاع حتّى لحظة الموت: **"الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ،**[1] **لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ"**. وعلاوةً على ذلك، **"وَضَعَ نَفْسهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ"**؛ و**"لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ"**، **"لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ"**، **"وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ"**. وبعبارةٍ أخرى، اختارَ أن يصبحَ عبداً بدلاً من السّعي إلى التكافُؤ مع الله (وفقاً لأسلوب ملوك الأرض المُتغطرسين)، أي إنساناً، أخلى نفسه وسلم ذاته ليُقتل على الصّليب، وعندئذٍ مجَّده الله. وليس من الواضح ما إذا كانَ تمجيده قد أعادَه إلى منصبِه السابق ببساطة، أو أنَّ تمجيدَه رفعَه إلى التكافُؤ مع الله، لكنَّ الرَّأي الأخير يبدو الأكثر احتمالاً.[2] وعلى عكس ما كانَ يعتقدُ، لم يكن هناك شيء استثنائيّ حول تلك الفكرة لمثل هذه القوّة الإلهيّة الثّانية في الدّيانة اليهوديّة في ذلك الوقت.[3] أمَّا فيلون الإسكندري فيدعو بسعادة "الكلمة" (اللوغوس) برئيس الملائكة و"الإله الثاني" على حدّ سواء، وكذلك بابن الإله "البكر" ومساعده

---

(١) *صورة الله*، تعبيرٌ تمَّت مناقشته كثيراً والذي من المُمكِن أن يُؤخذَ بمعنى أنَّه كان ملاكا.

(٢) لا حاجةَ للقول إنَّ الآراء مُنقسمة. إنَّ حقيقة مُخاطبَته "الرّب" (*kyrios*) ليست شافية، لكنَّحصوله على لقب "اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ" فلا بدَّ أن يكونَ ذلك من الله؛ وعلاوةً على ذلك، تفسر الترتيلة سفر إشعياء ٤٥ : ٢٣ (ليس ٢٤)، التي يقولُ الله فيها، "إِنَّهُ لِي تَجْثُو كُلُّ رُكْبَةٍ، يَحْلِفُ كُلُّ لِسَانٍ".

(٣) راجع، مثلاً، صموئيل جورج فريدريك براندون، *سقوط القدس والكنيسة المسيحيَّة* (لندن، ١٩٥١)، ٧٨، ٨٢–٨٣، حيث تشكّل الرؤية القديمة تفسير الترتيلة.

(هيباركوس)؛[1] ونَوّه العديد من العلماء العصريّين عن "الثنائيّة" اليهوديّة. لكن فيلو لم يصوّر رئيس الملائكة أو "الإله الثّاني" وكأنَّه يظهر على الأرض بصورة إنسان. كانت هذه الفكرة جديدة، ومُثيرة جدّاً للناس في ذلك الوقت.

وفي ترنيمة بولس، يولد المسيح السماويّ في الهيئة كإنسان؛ ونجدُ الأمر أيضاً في حوار يوستينوسالشّهيد **(توفي حوالي عام ١٦٥)**، وذلك إذا أخذنا عبارة "في الهيئة" بمعنى لا يخرجُ عن "مثل".[2] كانَ هذا ليصبحَ الموقف المسيحي القياسي: كما في إنجيل يوحنا ١: ١٤، **"الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً"**. غير أن المسيحيّين الآخرين استخدموا صوراً مجازيةً تلمِّح إلى أنَّ الكائن الأزلي لم يصبحَ جسداً بالفعل، بل اعتبر الجسد كغطاءٍ خارجيّ: لقد قارنوا الجسمَ بوعاءٍ أو هيكلٍ امتلأ به، أو بكسوةٍ وضعها. وكما قرأنا في رسالة برنابا (ثلاثينيات القرن الثّالث؟)، كان جسدُ المسيح "وعاء الرّوح"؛ أو كما يقول على الأرجح هرمس الرّاعي في مُنتصَف القرن الثّاني،[3] "إنَّ الله جعلَ الرّوح القدس الخالق مُتجسّدا". المسيح "يلبس نفسه مع رجل"، كما ميليتو من سارديس **(توفي**

[1] فيلو، *عن الزراعة*، ٥١؛ *من هو وريث الأشياء الإلهية*، ٢٠٥؛ *أسئلة وأجوبة عن سفر التّكوين*، ٢، ٦٢؛ *عن تشأبُك اللغات*، ١٤٦-١٤٧.

[2] كما في اعتراض اليهوديّ للقديس يوستينوس الشّهيد: "لكن يا تريفو كون أنَّ هذا الرّجل هو مسيح الله فهذا أمرٌ لا يمكن إنكاره حتى لو لم أستطيع أن أثبتَ أنَّه الله الكائن كابن لخالق الكون وقد صارَ إنسانًا من عذراء. وبما أنَّذلك قد أثبتَ بلا أدنى شكّ، ومهما يكُن المسيح بعد ذلك فهو كائنٌ قبلَ كلّ الدّهور وقد رضي أن يصيرَ إنسانًا له جسدٌ ومشاعرُ مثلنا بحسب مشيئة الآب"، *حوار مع تريفو*، ٤٨. يمكن أن يُقرأ كمُلخّص لترتيلة بولس.

[3] استُشهد بهما في جون نورمان دافيدسون كيلي، *المذاهب المسيحَيّة المُبكِّرة*، الطّبعة ٥ (نيويورك، ١٩٧٨)، ١٤٤.

حوالي عام ١٨٠) و إكليمنضس الإسكندريّ **(توفي حوالي عام ٢١٥)**.[١] وكما يخبرنا إيرينيئوس **(توفي حوالي عام ٢٠٢)**،[٢] "يوجد بعض القائلين إنَّ يسوع كانَ مُجرَّدَ وعاء للمسيح، الذي ينحدرُ منه المسيح، هبطَ كحمامة من فوق".

لقد تعايشَ مفهوما التجسُّد في القرون الأوّلى، وربَّما كانت الخلافات بينَهما لفظية على نحو صرف أحياناً، لكن بالتأكيد ليست هذه واقع الحال دائماً. وأولئك الذين رأوا جسد يسوع كوعاء للكائن الأزلي صوروا هذا الكائن في كثير من الأحيان على أنّه أخذَ مسكناً فيه عندَما كانَ بالغاً، وعادة (ولكن ليسَ دائماً) بمعنى عندَما تعمَّدَ؛ كان يسوعُ كائناً عادياً حتى ذلك الحين. ورأوا أيضاً بأنَّ الكائن الأزلي لا يزالُ مُستقِلاً عن مضيفه البشريّ، ومُغادِراً له عندما توفي جسد المضيف. كما يقول يسوع: »**{ إِلُوِي، إِلُوِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» اَلَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟} (مرقس ١٥:٣٤؛ ومتى ٢٧: ٤٦)**: يمكن أن يفهم ذلك بسهولة على أنه شكوى لرحيل الروح التي اتخذت مسكناً فيه. "كما نادى يسوع وصرخ في الإنجيل المسيحيّ اليهوديّ لبطرس[٣]:**"قوّتي يا قوّتي (dynamis)، أنت تركتني!"**. وغالباً ما يشيرُ العلماء العصريون إلى هذه

---

[١] كيلي، *المذاهب المسيحيّة المُبكّرة*، ١٤٥، ١٥٤. قارن Excerpta ex Theodoto الفلنتينيّة المُجمعة من إكليمنضس الإسكندري، تحرير وترجمة. روبرت بيرس كيسي (لندن، ١٩٣٤)، ١:١ كان جسد المسيح "وعاء من أجل اللوغوس" و "ويرتديه المخلص الذي نزل إلينا".

[٢] إيرينيئوس، *ضد الهرطقات*، ٣. ١٦. ١ (تحرير وترجمة أديلين روسو ولويس دوتريليو [باريس، ١٩٦٥-١٩٨٢]).

[٣] بارت إهرمان وزلاتكو بليز، ترجمة وتحرير. *الأناجيل المنحولة* (أوكسفورد، ٢٠١١)، ٣٨١ (قسم أخميم، ١٩). لقد تمّ التشكيك بفهم هذا المقطع من خلال ب. م. هيد، "عن خريستولوجيا إنجيل بطرس"، *Christianae Vigiliae* ٤٦ (١٩٩٢): ٢٠٩-٢٢٤، في ٢١٤.

الفكرة بأنّها "خريستولوجيا روحيّة"، يعنى مفهوم الرّوح كمسيح أزلي، سكن في يسوع الإنسان.[1]

لكن ليس بالضّرورة أن تكونَ "الرّوح" في مُقابِل للكلمة (اللوغوس)، أو حكمة أو قوّة الله، أو سلطة أو ملاك، أو الابن، أو ببساطة المسيح الأزلي من دون المزيد من التوضيح، والّتي قيلَ إنّها مَلأَت يسوعَ الإنسان.[2] لقد نَوّهَ بعض العلماء عن " خريستولجيا الاستحواذ"، التي كانَ لها تأثيرٌ مؤسِف في اقتراح أنَّ يسوعَ كانَ بحاجة إلى طرد الأرواح؛ لا يزالُ آخرون يتحدَّثون عن "خريستولوجيا الفصل"، مع الإشارة إلى حقيقة أنّ يسوع الإنسان والمسيح الإلهيّ كانا مُنْفَصِلان وتفرّقا في نهاية المطاف. وستكونُ عبارة أفضل، إذا لم يكن ذلك فجّاً، "خريستولوجيا النزل"، لأنَّه تماماً كما لو كان الجسد فندقاً تتحرَّك فيه الرّوح (أو الكلمة، أو الحكمة، أو الملاك، وما إلى ذلك) دخولاً وخروجاً. وبما أنَّه يمكن للمرء القول إنَّ الهيئة استضافت المسيح الأزلي، سأستقرُّ على عبارة "خريستولوجيا النزل". وقد استندَت هذه العقيدة على الفارق الحادّ بينَ يسوع الإنسان والمسيح السّماوي، وبما أنَّ المسيحيّين من التيار السائد توقَّفوا عن وضع هذا الفارق، وجدوا أنَّ العقيدة مُتناقِضة في بعض الأحيان: من جانبٍ، ادَّعى الإبيونيون أنَّ "المسيح" (تقرأ يسوع) كانَ إنساناً عادياً، ومن جانبٍ آخر، اعتبروا أنَّه قوَّة سماويّة، كما زعمَ إبيفانيوس، على

---

[1] راجع مانليو سيمونيتي، "Note di cristologia pneumatica"، *Augustinianum* ١٢ (١٩٧٢): ٢٠١-٢٣٢، كيلي، *المذاهب المسيحيَّة المبكرة*، ١٤٣-١٤٤.

[2] للاطّلاع على المُرادِف القريب لهذه المُصطلحات، ينظرُ القديس يوستينوس الشهيد، *حوار*، الفصل ٦١: أنه "يُدعى بالرّوح القدس أحيانًا مجد الرّب، وأحيانًا الابن، وأيضًا الحكمة، وأيضًا ملاكًا، ثمَّ الله ثم الربّ و*الكلمة*".

الرَّغم من أنَّ العقيدتين كانتا وجهَين لعملةٍ واحدة (كما كانَ يعرف بشكلٍ جيد).[١]

وفي بعض الأحيان كانَ تفاعُل العلماء الحديثون يشبه إبيفانيوس كثيراً.[٢] لكن كانت "خريستولوجيا النزل" شكلاً قديما جداً من أشكال الخريستولوجيا، وربَّما أقدم المُدوَّن.[٣] وقد تمَّ محاربتُها فعلاً في رسالة يوحنّا الأولى (ربّما نحو ٩٠)،[٤] وتبدو مُتبناة في إنجيل مرقس، الذي "يبدأ مع دخول الرّوح القدس إلى يسوع وينتهي بتخلّي الرّوح عنه على الصليب"، وذلك كما يصوغها روبرت برايس على نحوٍ دقيقٍ،[٥] مع أنَّ مرقس تحدَّث عن القيامة أيضاً.[٦] لقد رفضَ

---

[١] إبيفانيوس، *باناريون*، ٣٠. ٣٤. ٦؛ راجع ٣٠. ٣. ١-٦؛ ٣٠. ١٤. ٤. وأوضحَ نفسه أنَّه وفقاً للإبيونيين، "المسيح نفسه من عند الله العالي، لكن يسوع من ذرية رجلٍ وامرأه"، وردَّ أنَّ يسوع هو المسيح والله منذُ لحظة ولادته، وليسَ لثلاثين عاماً قبل أو بعد مَعمَوديّته (*باناريون*، ٣٠. ٢٩. ١-١٠).

[٢] ينظر، على سبيل المثال، داريل د. حنا، *ميخائيل والمسيح: روايات ميخائيل وخريستولوجيا الملاك في المسيحيَّة المُبكِّرة* (توبينغن، ١٩٩٩)، ١٧٦.

[٣] راجع غولدر، أدناه، الملحوظة ١٠١؛ بارت د. إهرمان، *التّحريف الأرثوذكسيّ للكتب المُقدَّسة: تأثير الخلافات الخريستولوجية المُبّكّرة على نصّ العهد الجديد* (نيويورك، ١٩٩٦)، ٤٨ والصّفحات التالية؛ (هنا "خريستولوجيا التملك")؛ ساكاري هانيكن، "الإبيونيين"، في *دليل إلى "الهراطقة" المسيحيّون في القرن الثاني*، مُحرَّر. أنتي مريانن وبيتري لومانن (لايدن، ٢٠٠٨)، ٢٤٧-٢٧٨، في ٢٦٨-٢٦٩ والملحوظة ٦٠ (هنا، "كريستولوجيا المالك").

[٤] راجع كريستوف ماركشيز، " Kerinth: Wer war er und was lehrte er?"، *Antike und Christentum Jahrbuch für* ٤١ (١٩٩٨): ٤٨-٧٦، في ٦٧-٦٨.

[٥] روبرت م. برايس، مراجعة مايكل غودلر، *القدّيس بولس مُقابِل القدّيس بطرس: حكاية إرسالتين* (لويس فيل، كنتاكي، ١٩٩٥) (للموقع الإلكترونيّ، ينظر الملحوظة ٨٤؛ تمَّ عرض مُحتويات هذه المُراجَعة في يناير ٢٠١٣). ويعتقد غولدر نفسه أنَّ مرقس قد أعادَ صياغة إنجيل سابق يتبنّى خريستولوجيا كنيسة القدس (*إرسالتّين*، ١٢٩، ١٣٤)، ممّا يجعلُ منها أقدم خريستولوجيا معروفة.

[٦] تُعتبر السّطور الاثنا عشر الأخيرة من الإنجيل إضافة لاحقة، في حين تتضمّن الأصلية الضّريح الفارغ. في الواقع القيامة هي مشكلة من حيث الخريستولوجيا المضيفة، لأنَّه إذا خرجَت الرّوح من يسوع على الصّليب، فما الّذي مكّنه من أن يقومَ من الموت؟ قال كريثوس إنَّ المسيح

المسيحيُّون من التيار السّائد هذا الرّأي عن التجسيد واعتبرَ كهرطقة، لكن ذلك لا يزالُ سمة من سمات التّيار المسيحيّ الذي صنَّفه العلماءُ العصريّون بالغنوصيّ، واحتوائه على الكثير من المسيحيَّة اليهوديّة أيضاً.[1]

ويمكن لخريستولوجيا المُضيف أن تفهمَ في كلٍّ من مُنطلَق الخريستولوجيا العالية والمُنخفِضة، حيثُ تمَّ العثور على كلا الموقفَين (مع العديد من الاختلافات) بين المسيحيّين اليهود. والعديد من المقاطع في أدب الآبائيات الّتي استخدمَها العلماء العصريّون لإنكار ألوهيّة المسيح، كانت في الواقع تنكر ولادة العذراء فقط. ومن وجهة نظر التيار المسيحيّ السائد، بطبيعة الحال، إنَّ كلَّ من ينكرُ ولادة العذراء نفى بحكم الواقع أن يكون المسيح هو ابن الله، ويبدو أنَّ العلماء العصريّين يشتركونَ بهذا الرّأي في بعض الأحيان؛[2] ولكن ذلك لم يكن طريقة استجابة المسيحيّين اليهود. نفى معظمهم أن يكونَ يسوع قد ولد من عذراء، لكن هذا لا يزالُ يتركُ المسألة ما إذا كانَ قد بقيَ إنساناً أو حقَّقَ حالة إلهيّة أو ملائكيّة عندما عُمِّد؛ وكبديل لذلك، عندَما كان يتجلَّى (ذكر مطولاً أدناه)؛ أو عندَ قيامته من بين الأموات **(الموقف في رسالة بولس**

طارَ وإنَّ يسوع قامَ مرّة أخرى إذا أمكنَ الوثوق بإيرينيئوس (*Adv. Haer*.، ١, ٢٦, ١). وكذلك عند إبيفانيوس، الذي يكرّر هذا في باناريون، ٧, ١, ٢٨، يدّعي كرينثوس أنَّ المسيح (أي يسوع؟) لن يقومَ مرّة أخرى حتى القيامة العامة (المرجع ذاته، ١, ٦, ٢٨).

[1] لمُناقشة عن الخريستولوجيا المضيفة المسيحيَّة اليهوديّة (هنا خريستولوجيا ملكية)، ينظر غولدير، *إرساليّتين*، الفصول ١٥-١٨.

[2] ينظر، على سبيل المثال، حنا، *ميخائيل والمسيح*، ١٧٣-١٧٤: عن الشهادات الأربعة التي أوردها حنا لتأييد الرأي القائل بأنّ الإبيونيين ينكرون ألوهة المسيح، كانت شهادة واحدة فقط مقبولة (كما إبيفانيوس، كذلك يرى حنّا تناقُضات في حين لا يوجد أيٌ منها)؛ ووفقاً لسيمون كلود ميموني، *Le judéo-christianisme ancient* (باريس، ١٩٩٨)، ٨٨، يعتبر الإبيونيّون والكسائيّون يسوع شخصاً مُختاراً من الله ليكون المسيح ويرفضون تأليهه بأيّ شكلٍ من الأشكال.

الرّسول إلى أهل رومية ١: ٤). كانَ هناك أيضاً بعض الذين أرجؤوا تأليهه حتى صعوده إلى السماء،[1] ولا يزال يعتقدُ آخرون بأنَّ يسوعَ لم يؤلّه على الإطلاق. لقد تمَّ توثيق الخريستولوجيا المُنخفِضة (جنباً إلى جنب مع الخريستولوجيا العالية) في الأدب المَسيحي المُبكِّر مثل شهادات الآباء الاثني عشر، وهو عملٌ غيرُ مؤكَّد تاريخه، وكان يُعتبر في حد ذاته عملاً يهودياً اقتبسَ عنه المسيحيّون، أو إنتاجاً مسيحيّاً منذُ البداية، أو عملاً مسيحيّاً يهوداً. لقد تمّ التنبُّؤ بيسوع هنا على أنَّه "رجل يجدِّدُ الناموس بحول الله".[2] كما قيلَ لنا أيضاً "سيرسل العَلِيّ خلاصه في زيارة نبيّ مولود وحيد" (على أن يفهَم هذا حرفياً).[3]

ليس من الواضح دائما أيّ نوعٍ من الخريستولوجيا تضمَّنته النصوص. ويقول إيرينيئوس، وهو الكاتب الأقدم عن الهرطقات لدينا **(توفي نحو عام٢٠٢)**، إنَّ آراءَ الأبيونيين كانت مُماثِلة لآراء كيرنثوس **(حوالي عام ١٠٠)** وكاربوكراتس **(ذاع صيته في ثلاثينيات القرن الثّاني)** فيما يتعلَّقُ بالمسيح.[4]

---

[1] وهكذا بعض تلاميذ ثيودوتوس البيزنطيّ، ازدهرَ حوالي عام ١٩٠ (هيبوليتوس، **دحض**، ٧. ٣٥).

[2] التّوراة. سفر اللاويين ١٦: ٣، في جيمس هـ. تشارلزوورث، *كتاب العهد القديم المنحول*، مجلّد ١، *الوصايا والأدب الرؤيويّ*(نيويورك، ١٩٨٣)، ٧٩٤؛ راجع توروليف إلغفين، "تحرير المسيحيَّة اليهوديّة لكتاب العهد القديم المنحول"، في *المؤمنين اليهود*، مُحرَّر. سكارسون وهفالفيك، الفصل ١٠، ٢٨٧–٢٨٨، ماركوس، "شهادات الآباء الاثني عشر"، ٥٩٨، رقم ٨.

[3] التوراة. بنيامين. ٩: ٢، مُقتبَسة في إلغفين، "تحرير المسيحيَّة اليهوديّة"، ٢٨٨.

[4] إيرينيئوس، *Adv. Haer*، ١, ٢٥, ١، ١, ٢٦, ١، في كليجن وراينينك، *الدليل الآبائي*، ١٠٥، حيث يوضح إريانوس في المقطع الثاني وجهة نظر الإبيونيين التي تختلف عن تلك التي لكرينثوس وكاربوكراتس، وهو ما يتناقضُ مع إريانوس كما يفهمها هيبوليتوس، مُحرَّر. ميروسلاف ماركوفيتش (برلين، ١٩٨٦)، ٧. ٣٤. ١؛ ١٠. ٢٢. ١ (ترجمة. جون هنري مكماهن، في *المكتبة المسيحيَّة ماقبل نيقية*، مُحرَّر. ألكسندر روبرتس وجيمس دونالدسون

وعن هذَين الأخيرين، أبلغنا إيرينيئوس أنّهما اعتقدا بكائنٍ سماويّ أزلي (المسيح وفقاً لكيرنثوس، والقوّة وفقاً لكاربوكراتس) حلَّ على، أو بالأحرى في داخلِ يسوعَ، وذلك بفضل شمائله العظيمة. و وفقاً لكيرنثوس، لقد نزلَ على شكل حمامة عندَما عُمِّد.[١] ويعودُ مرجع كيرنثوس إلى الآية ١٠ من إنجيل مرقس الإصحاح الأول **(راجع متى ٣: ١٦–١٧؛ لوقا ٣: ٢١–٢٢):** **{وَلِلْوَقْتِ وَهُوَ صَاعِدٌ مِنَ الْمَاءِ رَأَى السَّمَاوَاتِ قَدِ انْشَقَّتْ، وَالرُّوحَ مِثْلَ حَمَامَةٍ نَازِلاً عَلَيْهِ.وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ}.** يوحي المقطع على نحوٍ جليٍّ بأنَّ يسوعَ لم يصبح ابن الله إلّا عندَما دخلَته روحُ الله (وهو ما يحدث في إنجيل مرقس فقط).[٢] ولكن هل يعني ذلك أنَّ يسوع أصبحَ كائناً إلهيّاً؟ حيثُ إنَّ عبارة "ابن الله" يمكنُ أن تعني ببساطة "المسيح". يقول إيرينيئوس إنَّ المسيح قد "حلَّقَ بعيداً" عن جسد يسوع في نهاية المطاف، ويفترضُ أن يكونَ ذلك في أثناء الصَّلب (وإن كان يبدو أنَّه يقولُ العكس)؛[٣] إلا أن ذلك لا يعني بالضَّرورة أنَّ يسوعَ كانَ كائناً إلهياً قبل رحيل المسيح.

[أدنبره، ١٨٦٨]،)؛ إبيفانيوس، *Panarion*، ٣٠. ١. ٢. كما يُلاحَظ من خلال بيتري لومانن، *انتعاش الأناجيل والطوائف المسيحيَّة واليهوديّة* (لايدن، ٢٠١٢)، ٢٤٣، الترجمة اللاتينيّة مُحرَّفة هنا.

[١] إيرينيئوس، *Adv. Haer*، ١ ,٢٦ ,١ (في كليجن ورايننك، *الدليل الآبائي*، ١٠٥–١٠٦).

[٢] في إنجيل مرقس ١: ١٠ توجد *eis auton* بينما *auton 'ep* في إنجيل متى ٣: ١٦ ولوقا ٣: ٢٢؛ كما تتضمَّن رواية إيرينيئوس *auton eis* باليونانية، و*in*eum بالتّرجمة اللاتينيّة (*Adv. Haer*، ١ ,٢٦ ,١). وبصورة روتينيّة، تختارُ التّرجمات الحديثة للأناجيل وإيرينيئوس حرف الجر "على" مهما كان حرف الجر.

[٣] ويواصل القولَإنَّ يسوع تألَّم وقامَ مرة أخرى في حين لم يشعر المسيح بالألم، كونه كائناً روحانيّاً، وكأن المسيح لم يغادره رغم ذلك، بل بقيَ لِيُصلبَ مع مُضيفه البشري، الذي تألَمَ بعكسه. وبالتأكيد من شأن ذلك أن يساعد على تفسير كيفَ أمكنَ إحياء المُضيف البشري (ينظر أعلاه، الملحوظة ١٠٢)، ولكن في هذه الحالة يجمع إيرينيئوس بين موقفَين مُختلِفَين.

ويقول إيرينيئوس أيضاً إنَّ كيرنثوس اعتقدَ بأنَّ المسيح الأزليّ حلَّ على أو في داخلَ يسوع من باب المُكافَأة على برِّه وجَزالَتِه وحكمته، ونتيجة لذلك أعلنَ عن الأب غير المعروف وصنع المُعجِزات.[1] وهذا يشيرُ إلى أنَّ يسوعَ اكتسب المعرفة والسلطة بعيدتا المنال عندَما عُمِّد واستخدمَهما للتبشير وصنع العجائب، حاله حال الأنبياء الآخرين تماماً. كانت لديه سلطات قوية استثنائيّة، لكنه لم يكن كائناً إلهيّاً. ويرى هيبوليتوس (توفي عام ٢٣٥) أنَّ الإبيونيّين الّذين اعتنقوا رأياً مُشابهاً لكيرنثوس (بحسب إيرينيئوس) قالوا إنَّه من المُمكن لأيّ شخصٍ أن يصبحَ مسيحاً على اعتبار أنّ المسيح كانَ إنساناً مثله مثل أيّ شخصٍ آخرَ؛ لقد دُعيَ يسوع و "مسيح الله" (وليس مسيح "و" الله) لأنَّه حفظَ الناموس (الشَّريعة)، في حين فشل الجميع بالقيام بذلك – لقد عاش هؤلاء الإبيونيّين وفقاً للشريعة وآمنوا بتسويغ الأعمال من خلالها، وذلك كما يوضّح هيبوليتوس من دون أن يخبرَنا بالضّبط ما هي مكانةُ يسوعَ كمسيح بالنّسبة لهم.[2] لا يذكرُ هيبوليتوس صراحةً أنَّهم أنكروا ألوهية يسوع المسيح، ولكن من غير المُرجَّح لفرقةٍ مُلتزمةٍ بالشّريعة تقيداً أن تعتقدَ بإمكانية إظهار الكائن الإلهيّ لنفسه في إنسان، ناهيك عن احتمالية أن يكونَ كلُّ إنسان مُضيفاً مُحتمَلاً: إنَّ الاتّصال المباشر مع اللاهوت عادةً ما يؤدّي إلى الرَّأي القائل بأنَّ التقيدَ بالشَّريعة زائدٌ أو غيرُ ضروريّ.

كما عرف يوستينوس الشّهيد **(توفي حوالي عام ١٦٥)** مسيحيّين ممَّن اعتقدوا بأنَّيسوعَ كانَ إنساناً عاديّاً، وكان المسيح بالانتخاب: فهم "من

---

[1] إيرينيئوس، *Adv. Haer*، ١, ٢٦, ١ (في كليجن ورايninك، *الدليل الآبائي*، ١٠٣-١٠٤).

[2] هيبوليتوس، دحض، ٧. ٣٤. ١-٢ (في كليجن وراينينك، *الدليل الآبائي*، ١١٣).

نسلك"، أي أنّهم كانوا يهوداً.[1] كان لدى ثيودوتوس البيزنطيّ**(ذاع صيته حوالي عام ١٩٠)**، وهو صانعُ جلود أو صانع أحذية نشرَ فكرة خريستولوجيا المضيف حوالي ثلاثين عاماً بعد يوستينوس، أتباع أنكروا كذلك أنَّ يسوعَ كان أكثر من مُجرَّد رجل .[2] ربّما اعتقدَ هؤلاء الإبيونيّون أنّ يسوع كانَ مملوءاً بروح الله مثله مثل الأنبياء المألوفين، أو بالأحرى، ليسَ إلى حدّ جعله إلهيّاً: لقد مكَّنه من النبوَّة، لكنّه لم يغيّر من حالته البشريَّة. إذا كان الأمر كذلك، فقد كانَ وضعاً نَبَويّاً يمكن أن يأملَ الجميع ببلوغه من خلال تقليد يسوع. وهذا أمرٌ ذو مصداقية تامّة، لأنَّه اعتُقِد في القرنين الأولين من المسيحيَّة على نطاق واسع أنَّ المؤمنين العاديّين يمكن أن يُملؤوا بالرّوح ويعملوا عملَ الأنبياء طالما تسكنُهم الروح.[3]

كان الإبيونيّون الذين اعتقدوا أنَّ يسوعَ كائنٌ عاديٌّ معروفين للآخرين أيضاً. وفقاً لأوريجانوس، قبِلَ بعضُ الإبيونيّين أنَّ يسوع ولد من عذراء، لكنّهم فعلوا ذلك من دون أيِّ مرجعيّة لاهوتيَّة، وعلى الأرجح من دون أيّ

---

[1] القدّيس يوستينوس الشّهيد، *حوار مع تريفو*، ٤٨: ٤-٥. يقول يوستينوس في معظم الطبعات إنّهم كانوا من "نسلنا"، أي مسيحيّين (ليسوا يهوداً)؛ لكن وفقاً للومانن، *انتعاش الأناجيل والطوائف المسيحيَّة واليهوديّة*، ٢٤٠، يرتكز هذا على تصويبٍ خاطئٍ. فتعطي النّسخة غير المصوبة معنى أفضل.

[2] على مايدو أن ثيودوتس، الذي اعتقد أنَّ المسيح انحدرَ من يسوعَ عندَما تعمد، اعتقَد بهذا لتأليهه، لكن يظنُّ بعضُ أتباعه أنَّ المسيحَ لم يصبح إلهيّاً مُطلَقاً، ويعتقد آخرونَ أنَّه تألَّه عندَما بُعث (هيبوليتوس، دحض، ٧. ٣٥). فيما يتعلَّقُ بهذا الرَّأي الثالث، قارِن رسالةَ بولس الرّسول إلى أهل رومية ١: ٣-٤؛ أعمال الرّسل ١٣: ٣٢-٣٣، تمَّت مُناقَشته من خلال إهرمان، *التحريف الأرثوذكسي*، ٤٨-٤٩.

[3] راجع ديفيد إدوارد أون، *النبوءة في المسيحيَّة المبكّرة وعالم البحر الأبيض المتوسّط القديم* (غراند رابيدز، ميشيغان، ١٠٨٣)، الفصل ٨.

حديثٍ عن الألوهية.[١] ولم يقبلوا أزليّته (وجوده الأزليّ) باعتباره الله، الكلمة، والحكمة، كما أعادَ يوسابيوس صياغته.[٢] وادّعوا أنَّ المسيح لم يكن موجوداً قبل مريم، كما اقترحَ جيروم.[٣] وحسب ترتليانوس، أكّدَ إبيون أنَّ "يسوع مُجرَّد إنسانٍ وحيدٍ من نسل داؤود، وهذا يعني أنَّه ليسَ ابن الله أيضا".[٤] ليست الولادة العذراء ما تمَّ إنكاره هنا فحسب (على الرَّغم من معرفة ترتليانوس أنَّ الإبيونيّين رفضوا ذلك أيضاً)، بل أنكروا أيضاً مكانة يسوع كابن الله. وأضاف ترتليانوس قائلاً أن الإبيونيين ادعوا بأن يسوع مُجرَّد إنسان على الرغم من أن يسوع كان بالتأكيد أمْجَدمن الأنبياء (وفقاً لهم أو له؟)، "إذا جازَ التعبير إنَّ ملاكاً يسكنُه بالطريقة نفسها كما سكنَ في زكريا".[٥] وبعبارةٍ أخرى، اتّفقوا مع أتباع الخريستولوجيا المُضيفة أنَّ ملاكاً سكنَ في يسوع، ولكنَّهم اعتقدوا أنَّ هذا الملاك كانَ مصدرَ وحيه بدلاً من كونِه كائناً رفعَه إلى مكانة الوسيط بينَ العوالم الإلهية والبشرية. تشير حقيقة أنَّ هؤلاء الإبيونيّين تحدَّثوا عن ملاكٍ "فيه" (*in illo*)، والتي لا يمليها نصّ زكريا، إلى

---

[١] أوريجانوس، *تعليق على متى*، ١٦، ١٢ (في كليجن ورايننك، *الدليل الآبائي*، ١٢٩–١٣٠، مُترجَمين إياه بشكلٍ مُختلِف تماماً)؛ راجع أوريجانوس، *Celsum Contra*، ٥، ٦١ (في كليجن ورايننك، *الدليل الآبائي*، ١٣٤–١٣٥). و يجادل لومانن، *انتعاش الأناجيل والطوائف المسيحيَّة واليهوديّة*، ٢٨، ٢٣٤، بلا هوادة أنَّ تمييز أوريجانوس بين المجموعتَين هو مجرَّد استنتاج من النسختَين المُترجَمَتين عن كلام إيرينيئوس بأنَّخريستولوجيا الإيبونيّين لا تشابه خريستولوجيا كرينثوس (الذي لم يؤمن بالولادة العذراء)؛ راجع، أعلاه، الملحوظة ١٠٨.

[٢] يوسابيوس، *Hist. Eccl.*، ٣. ٢٧. ٣.

[٣] جيروم، *De viris illustribus*، ٩ (في كليجن ورايننك، *الدليل الآبائي*، ٢١١)، مع إعطاء مصداقية هذا الموقف لكرينثوس والإيبونيين على نحو عام.

[٤] ترتوليان، *De carne Christi*، ١٤ (في كليجن ورايننك، *الدليل الآبائي*، ١٠٩).

[٥] المصدر ذاته؛ راجع كليجن ورايننك، *الدليل الآبائي*، ٢١–٢٢، الذي لا يتناغمُ تفسيرَه كلّياً مع تفسيري.

أنَّ اتّحاد يسوعَ مع كائنٍ أزليّ أمراً مفروغاً منه حتّى بالنسبة لأولئك الذين أرادوا إبقاءَه مُجرَّد إنسان.[١] وفي وقتٍ لاحقٍ ذكر ترتليانوس، في رأي إبيون، يجبُ أن يعتقدَ المرء أنَّ يسوعَ ليس أكثر من سليمان وجوناه.[٢] وهذا يؤكِّد أنَّ الإبيونيّين المعنيّين يعتبرونَه نبيّاً من النّوع البشريّ العادي.

عادةً ما يطلقُ العلماءُ الحديثون على موقف كيرنثوس والإبيونيين التبنّي، ولكنَّها تسمية مُضلِّلة في أنَّ الاتّجاه الحاسم هو لكائنٍ سماويّ يتجه من السَّماء إلى الأرض،[٣] كما أنَّها تفشل في إثبات أنَّ النتيجة كانت إقامةَ كائنٍ سماويًّ في جسدِ رجلٍ عاديّ. مثل كيرنثوس وكاربوكريتس، رأى الإبيونيون (وآخرون أيضاً) أنَّ التحوُّل قد حدثَ عندَما عُمِّد يسوع.[٤]

لقد قرأ كلٌّ من الإبيونيّين والناصريّين إنجيلاً غير شرعيّ باللغة "العبرية" (أي الآراميّة)،[٥] وهو ما أطلقوا عليه **الإنجيل وفقاً للعبرانيّين** والّذي كان

---

[١] راجع سفر زكريا ١: ١٤؛ ٤: ١؛ ٥: ٢: تكلم الملاك بـ (لي) و (على) ، حُولت كلها إلى ضمير *المكلم* في النسخة اللاتينية للإنجيل و"لي" في النسخة الإنكليَزيَّة، وليس "في".

[٢] ترتوليان، *De carne Christi*، ١٨ (في كليجن وراينينك، *الدليل الآبائي*، ١٠٩).

[٣] عرّفت كيلي "البنوة" بأنها العقيدة القائلة بأن المسيح هو إنسان فحسب، نزلت عليه روح الله (*المذاهب المسيحَّيَة المُبكّرة*، ١١٥)، لكنَّ هذا لا يتناسبُ مع المعنى المألوف للتبنّي، لذلك هو مُصطلَح غير مُساعِد. هناك تعبيرٍ آخرَ "للبنوّة" وهو "dynamic monarchianism"، الذي يتطلّبُ تفسيراً أكثر من الظّاهرة التي يقصدُ شرحها.

[٤] حولَالإبيونيين، ينظَرُ إنجيلهم، مثلاً، في إهرمان وبليز، *الأناجيل المنحولة*، ٢١٣، من إبيفانيوس، *Panarion*، ٣٠. ١٣. ٧؛ حول الناصريّين، ينظَرُ العمل نفسه، في المرجع ذاتِه، ٢٢١. كذلك وثَّقَ هذا الموقف بالنّسبة لثيودوتس البيزنطيّ (ازدهرَنحوَ عام ١٩٠)، راجع هيبوليتوس، *دحض*، ٧. ٣٥.

[٥] بالنسبة للعبرية بمعنى الآراميَّة، ينظَرُ حالياً بيتي وديفيس، "ماذا تعني العبريَّة؟"، والملحوظة ٥٥، أعلاه.

يعتقَد على نطاقٍ واسعٍ أنَّه النّسخة "العبريّة" من إنجيل متى،[1] على الرَّغم من أنَّ قراءَتها من الإبيونيّين كانت أقرب إلى إنجيل مرقس في روايته عن المعموديّة.[2] أمّا في الإنجيل الذي يستخدمُه الناصريُّون، فإنَّ روايةَ المعموديّة تختلفُ إلى حدٍّ ما[3].

---

[1] يفترِضُ مُعظَم العلماء وجود ثلاثة أناجيل مسيحيَّة يهوديّة مُختلِفة، منها إنجيلٌ واحدٌ فقط باللّغة الآراميَّة هو إنجيل الناصريّين؛ أمَّا الإنجيلان الآخران، وهما إنجيل الإبيونيّين والعبرانيّين، فقد كُتب كلاهما باللّغة اليونانيَّة (لهذا الرَّأي، الذي قدَّمه ي. فايتز، ينظَرُ فريدريك يوهانس كليجن، *أسلوب الإنجيل المسيحيّ اليهوديّ*[لايدن، ١٩٩٢]، الفصل ٢؛ إهرمان وبليز، *الأناجيل المنحولة*، ١٩٧ والصَّفحات التالية؛ فيليب فيلهاور وجورج شتريكر، "الأناجيل المسيحيَّة اليهوديّة"، *في العهد الجديد المنحول*، تحرير. فيلهلم شنيملشر، ترجمة. R. McL. Wilson[كامبريدج، المملكة المتحدة، ١٩٩٢-١٩٩٣]، ١: ١٣٤-١٧٨، في ١٣٥-١٣٦؛ ج. ك. إيليوت، *العهد الجديد المنحول*[أوكسفورد، ١٩٩٣]، ٣ والصَّفحات التالية. لكن يعتقدُ القليل (الّذين أتعاطفُ معَ موقفهم) بأنَّه لم يكن هناك سوى إنجيل يهوديٍّ مسيحيٍّ واحدٍ فقط، أو على الأقلّ لقد قرأ الإبيونيّين والناصريّين نصوصاً مُنقّحة مُختلِفة عن الإنجيل الآرامي باسم *بحسب العبرانّيين*. أُسِسَت من خلال أ. شميدتك، ويعودُ الفضلُ في هذا الرَّأي إلى ويليام ل. بيترسن، "شاهد جديد على جزء الإنجيل اليهوديّ المسيحيّ من ترنيمة رومانوس المُرنِّم"، *Christianae Vigiliae* ٥٠ (١٩٩٦): ١٠٥-١١٦ (أُعيدت طباعتُه في مقالاته المُجمَّعة، *دراسات النُّصوص النقديَّة والآبائيَّة*[لايدن، ٢٠١٢]، الفصل ١٨)، رقم ٤؛ بريتز، *المسيحيَّة اليهوديّة الناصرية*، ٨٥-٨٦. وما إذا كان هذا الإنجيل هو النّسخة العبريَّة لإنجيل متَّى فهذا سؤالٌ آخرُ، لكن حتَّى لو كانَ كذلك، فمن الواضح أنَّه ليس النّسخة الأصلية من إنجيل متَّى على الأغلب، كما يفترِضُ البعضُ (رافضين تعريفه بمتّى، لأنَّه من الجليّ أنَّ إنجيلَ متَّى الكنسي ليس ترجمةً عن أصلٍ ساميّ). إذا تمَّ تعميم النسخة "العبريّة" من متّى، من الطّبيعيّ أن يفترضَ المسيحيّون الناطقونَ باللّغة اليونانيّة، الذين لم يرَوه أو يقرأوه، أنَّه النّسخة الأصليّة وراء النّصّ اليونانيّ.

[2] كما في إنجيل مرقس (راجع أعلاه، الملحوظة ١١٠)، الرُوحَ القُدُس نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ (راجه إهرمان وبليز، *الأناجيل المنحولة*، ٢١٣، من إبيفانيوس، *Panarion*، ٣٠. ١٣. ٧). هنا كلمة "دخلت" هي للتوضيح، كما هو الحال في جملة، "أَنَا ٱلْيَوْمَ وَلَدْتُكَ".

[3] جيروم، *In Esaiam*، ١١: ١-٣، في إهرمان وبليز، *الأناجيل المنحولة*، ٢٢١؛ في فريدريك يوهانس كليجن، *أسلوب الإنجيل المسيحيّ اليهوديّ*، ٩٨ (نصّ وترجمة اصطلاحيّة أقلّ؛ يُستشهد بالمقطع بصيغة مُقتضَبة في كليجن ورايننك فقط، *الدليل الآبائيّ*، ٢٢٣). ويعتقدُ

هنا، يُقدَّمُ يسوعُ على أنَّه ذروة سلسلة الأنبياء الَّذين سكنَتهم الرُّوح: لقد تحوّلَت روحُ الله من قبل، أي روح الحكمة، إلى نفوسٍ مُقدَّسةٍ، جاعلةً إيَّاهم أنبياءَ وأصدقاءَ الله، لكنَّ ينبوعَ الرُّوح المُقدَّسة الكامل حلَّ على يسوعَ عندَما عُمِّد ووجدَ مكانَه الأخير فيه.[1] وهذا يتوافَقُ معَ تفسير يسوع كنبيٍّ بشريّ، إلا أنَّ الناصريّين المعروفين لجيروم فهموه على أنَّه يعني "سُرّت الألوهيَّة العظيمة الفائِقة الكمال بسكنِ يسوعَ "جسديًّا"، في حين أنَّها لم تسكُن إلا "لوقتٍ محدودٍ" في أجساد الأشخاص المُقدَّسين السَّابقة.[2] في هذا المقطع، تألَّه يسوعُ الإنسانُ حقّاً عندَما أخذَ الكائن السَّماوي (هنا الروح المُقدَّسة) مَسكناً فيه. وقد تمَّ التَّعبير عن نسخة أقوى من هذا الرَّأي في مقطعٍ من الإكلمنضيّات المُزيّفة "*Homilies*"، حيثُ قيلَ لنا إنَّ الكائنَ الأزليّ "قد غيَّرَ هيئاتِه وأسماءَه منذُ بدء العالم حتَّى، يأتي في زمنه، وتمَّ مسحُه برحمةٍ لأجل أعمال الله، وسيتنعَّمُ بالرَّاحة إلى الأبد".[3] هنا، كلُّ الأنبياء هم نفس الكائنُ الإلهيّ في أجسادٍ بشريةٍ مُختلِفة، لكنّ آخرَهم فقط هو المسيح (الذي على ما يبدو لا يزالُ مُنتظَراً). كما

البعضِ أنَّه يجبُ أن يوجدَ إنجيلان مُختلفان على الأقلّ وذلك على أساس الفرق بينَ هاتَين الرِّوايتَين عن المعموديّة.

[1] يحيك المقطع معاً سفر إشعياء ١١: ٢؛ وسفر يشوع بن سيراخ ٧: ٢٧؛ وسفر الحكمة (سليمان الحكيم) ٧:٢٤. لمزيد من المُناقشة، ينظر باتريشيا كرونة، **Nativist Prophets of The Early Islamic Iran: الثّورة الريفيّة والزرادشتيّة المحليّة** (كامبريدج، ٢٠١٢)، ٢٩١-٢٩٣.

[2] جيروم، *In Esaiam*، ١١: ١-٣، في كليجن وراينينك فقط، *الدليل الآبائي*، ٢٢٣؛ راجع كليجن، *أسلوب الإنجيل المسيحيّ اليهوديّ*، ١٩، يفترضونَ بغرابة أن نسخَهم من سفر إشعياء تظهرُ لجيروم خريستولوجيا "يمكن أن تسمَّى بالأرثوذوكسية". إنَّ ملء اللاهوت الكامن في المسيح هو أرثوذكسيَّة بولسيَّة (راجع كولوسي ١: ١٩؛ ٢: ٩)، لكن لم تكن الفكرة بأنَّها أُنجِزَت باعتدال في الشَّخصيات السّابقة.

[3] *عظات*، ٣، ٢٠؛ تمَّت مُناقَشتها في كرونة، **Prophets Nativist**، ٢٨٩ والصَّفحات التالية. هذا لا يمثلُ الفكرة الاعتياديّة في *العظات*، حيثُ يجسِّدُ آدم والمسيح فقط الرُّوح الإلهيَّة.

وُجد رأيٌ آخر في الإكلمنضيات المُزيَّفة، **اعترافات**: "استحوذَ يسوعُ (بمعنى المسيح السَّماويّ على ما يبدو) على جسدٍ يهوديّ وولدَ بين اليهود".[١] كما هو الحال في أشكال أخرى من خريستولوجيا المُضيف، تلبَّسَ يسوعُ جسداً كما لو أنَّه ملابسُ، لكنَّه يقومُ بذلك هنا قبل ولادته، أو عندَما وُلِد.

وكلٌّ من الفهم الناصريّ للألوهيَّة التي تسكنُ الأنبياء قبلَ المسيح لوقتٍ محدودٍ، لكنَّها كامِلةٌ فيه، والمقطع المذكور في الإكلمنضيات المُزيَّفة "*Homilies*" الذي لا يزالُ فيه المسيح مُنتظِراً، يعكسُ التأثير المغناطيسيّ لكتابِ الكسائيّ، وهو عملٌ تمَّ تأليفُه باللّغة الآراميّة من خلال يهوديّ أو مسيحيّ يهوديّ كُتِبَ في بلاد ما بينَ النهرَين البارثية عام ١١٦-١١٧.[٢] يفسِّرُ الكسائيّ (إن كانَ هذا اللقب ما دعا نفسه به حقاً) أنَّ كلَّ الأنبياءِ تجسيداتٌ للمسيح الأزلي ذاتِه في هيئاتٍ مُختلِفة: تشابهُ كلَّ الأنبياء جوهريّاً وحملوا جميعُهم الرّسالة ذاتَها، ولكنّ آخرَهم كانَ المسيح، الذي به ستستريحُ الرّوح إلى الأبد. وبعدَ حوالي قرن، جُلب هذا الكتاب، الذي تُرجِم إلى اليونانيَّة على ما يبدو، إلى فلسطينَ وروما، حيث أشعلَ عداوةً كبيرةً بينَ المسيحيّين، كذلك جذبَ انتباهَ

---

[١] *اعترافات*، ١. ٦٠. ٧ (راجع ١. ٤٨. ٤). اعتُبِرَ هذ المقطع ملحوظاً من خلال فان فورست، *صعودات يعقوب*، ١٦٤، في ضوءِ الخريستولوجيا الضّعيفة عموماً في القرنين الثّاني والثّالث، حيثُ من المُفترَض عدم وجود إيمان بوجودٍ سابقٍ للمسيح، وهو ادِّعاء استثنائيذ يُدلي به مُختَص. كذلك ريتشارد بوكهام، "أصل الإبيونيَّة"، في *صورة اليهوديّة المسيحيّين في الأدب المسيحيّ واليهوديّ القديم*، تحرير. بيترِ ج. تومسون و دوريس لامبرز بيتري (توبينغن، ٢٠٠٣)، ١٦٢-١٨١، في ١٧١، وصلَ إلى حدِّ رفضِ المقطع باعتبارِه إقحام كلماتٍ في مقدَّمة.

[٢] بالنّسبة للخلفيّة والمزيد من التّفاصيل عَن بلاد الرافدين/الإيرانيّة، يُنظَر كرونة، **Nativist Prophets**، ولاسيّما الفصول ١١، ١٤، والصّفحات ٣٣٦-٣٤١ (استشهدت عند هذه النقطة بعلماء الكتاب المُقدَّس المؤيدين لخريستولوجيا المُضيف على أنَّها الصّيغة الأقدم من الخريستولوجيا إذا كنتَ على دراية بهم في ذلكَ الوقت).

هيبوليتوس وأوريجانوس وإبيفانيوس. لقد نُقِل المسيحُ السَّماوي إلى العديد من الأجساد واستقرَّ الآنَ في يسوعَ، كما لاحظَ هيبوليتوس بالإشارة إلى المُعتقَدات الكسائيّة في روما.[١] "عندَما يرغبُ، يخلعُ جسمَ آدمَ و يكتسيه ثانيةً"، وذلك كما كان يعتقد الكسائيِّين (Sampseans) ، المعروفون سابقاً بالأُسينس "Ossenes" ، وفقاً لإبيفانيوس.[٢] كانَOssenes/Sampseans واحدةً من أربعِ مجموعاتٍ أفسدَتها الكسائيَّة، وفقاً لإبيفانيوس، والثلاثة الآخرونَ هم الإبيونيِّون، والناصريّون، والنَّصارى:[٣] وبعبارةٍ أخرى، اعتنقَ بعضُهم على الأقلّ ما لم يكونوا كلهم هذه الخريستولوجيا. كما يتَّضحُ من خلال هيبوليتوس و إبيفانيوس أنَّه على الجانب اليونانيّ من الحدود تمَّ اختزالُ عددِ التّجسُّدات الإلهيَّة إلى اثنين، هما آدم والمسيح، في حين افترضَ كتابُ الكسائيّ أكثر من ذلك. على العكس، فإنَّ الكسائيَّة في العراق قبلَت على ما يبدو جميع أنبيائِهم (أو، كما يقولونَ بشكلٍ أعمّ "عادةً، الرسل) باعتبارهم الكائنَ الإلهي ذاتَه في هيئاتٍ بشريَّةٍ. أو على الأقلّ كما فعلَ فرعهم المانويّ، والمندائيّون كذلك.[٤]

وقد عرفَ الكسائيّون المسيح صراحةً كملاكٍ خلقَه الله.[٥] ما لم يوجَد شيءٌ مخلوقٌ يمكنُ أن يكونَ إلهيّاً، كما اعتقدَ الرّسولُ القرآنيُّ، فإنَّ الكسائيّين

---

[١] هيبوليتس، دحض، ١٠. ٢٩. ٢.

[٢] إبيفانيوس، *Panarion*، ٥٣. ١. ٨. لمزيد من النّقاش في كرونة، **Prophets Nativist**، الفصل ١٤، ٢٨٣ والصّفحات التالية.

[٣] إبيفانيوس، *Panarion*، ١٩. ٥. ٤-٥.

[٤] للاطّلاع على كلّ هذا، ينظر كرونة، **Nativist Prophets**، ٢٩٣-٣٠١.

[٥] هيبوليتس، دحض، ٩. ١٣. ٢؛ إبيفانيوس، *Panarion*، ٣٠. ٣. ٤؛ ٣٠. ١٦. ٤. كما يظهر المسيح كأنَّه رئيسُ الملائكة (جبريل) في مقطع مُؤلَّف شمال إفريقيا كبريانوس الزائِف، على الأرجح أنَّه كانَ رائِجاً في أواخر القرن الثاني، وفي نقشٍ على حجرٍ كريم من القرن الرَّابع، وعلى

والعديدَ من المسيحيّين اليهود الذين اعتنقوا خريستولوجيتهم يمكنُ أن يدَّعوا أنَّهم لم يؤلِّهوه. ولا يمكنُنا الجزمَ ما إذا قدموا هذا الادّعاء أم لا: لم يتعامل (يتأثَّر) أحد بالفارق الحاد بين الحالة الإلهيَّة والملائكيَّة آنذاك. وهكذا، سمِّيَ ملكي صادق، الذي شُبِّهَ برئيس الملائكة ميخائيل، إل (*el*) و إلوهيم (*elohim*) في مخطوطات البحر الميّت؛[1] وعندَما تمَّ تجسيدُ روح الله أو سلطته أو حكمتُه أو كلمتُه مثل ملائكةٍ، لم يكن المضمون أنَّهم كانوا ملائكةً مُقابِل كائناتٍ إلهيةٍ، بل كانوا جزءاً منه. كما يبدو أنَّ الفارقَ الحادَّ بينَ الله والملائكة الذي نواجهه في المُؤلَّفات اللاّحقة، بما في ذلك القرآن، من نِتاج المعركة المسيحيَّة ضدَّ الوثنيَّة.

وفقاً لإبيفانيوس، إنَّ ما ادَّعته الكسائيَّة هو أنَّ المسيح السَّماوي كانَ "مخلوقاً قبلَّ كلِّ شيءٍ ... أسمى من الملائكة وسيّد الكلّ"، وهو ما يبدو أشبه بالمسيح في ترنيمة بولس[2]. على غرار ميخائيل/ ملكي صادق في مخطوطات البحر الميت أو شعارات فيلون، لقد شغَلَ المسيح السَّماويّ مكانةَ الوسيط، وهو كائنٌ سماويٌّ توضَّعَ عندَ التقاطُع بينَ العوالم الإلهيَّة والبشريَّة؛ وبإسكان ذاته في مضيَّفٍ بشريٍّ، فقد دفعَ الأخيرُ أيضاً إلى مكانةِ الوسيط: يبدو أنَّه المفهوم الذي أصبحَ يسوع من خلاله ابنَ الله والمسيحَ من وجهة نظرهم.

الأرجح كلاهما مسيحيّ يهوديّ؛ راجع جان دانييلو، *لاهوت المسحيّة اليهوديّة* (لندن، ١٩٦٤)، ١٢٢-١٢٣.

[1] ينظر q١١١٣ في غزا غرمش، مُترجَم. *مخطوطات البحر الميت الكاملة باللغة الإنجليزية*، الطبعة الرَّابعة، (لندن: ١٩٩٧)، ٥٠٠-٥٠٢.

[2] إبيفانيوس، *Panarion*، ٣٠. ٣. ٤.

٦- كتابُ الإنجيل وفقاً للعبرانيّين في القرن السّابع:

كلُّ هذا له صلةٌ بكتابٍ يسمَّى "**الإنجيل وفقاً للعبرانيّين**"، والذي له تأثيرٌ على القرآن. حيثُ نسمعُ عن ذلك في خطبةٍ قبطيّةٍ نُسِبَت إلى كيرلس الأورشليميّ **(توفي ٣٨٦)**، لكن تمَّ تأليفُه في القرن السّادس أو السّابع على الأرجح.[١] في الخطبة، يناقش "كيرلس " بدعةَ أنَّ مريمَ قد جَلَبت جسدَها من السَّماء، حيثُ اقتفى أثرَها عند إبيون وهاربوكراتس (كذلك يُعرَف باسم كربوقراط)، مُخبِراً إيّانا أنَّ راهِباً في حيّ ميوما في غزَّة كانَ من بين أولئك الذين أشاعوا البدعة[٢]. أمَّا الرَّاهب، الذي كانَ اسمُه أناريخوس أو أناريكوس، فقد أُظهر أنَّه مدينٌ بمُعتقَداته الخاصَّة لإبيون وساتور / سارتون / سارتو، أي ساتورنيلوس (وهو غنوصيّ نَشِط في أنطاكية عام ١٢٠ م)؛ وقيلَ لنا إنَّ أسقفَ

---

[١] لقد تمَّ تحرير وترجمة العِظة ثلاثَ مرَّاتٍ، من خلال إرنست أ. واليس بودج، "حديث عن مريم والدة الإله"، في *نصوصه القبطيّة المُتنوِّعة بلهجة صعيد مصر* (لندن، ١٩١٥)، ٦٢٦-٦٥١ (إعادة إنتاج المكتبة البريطانيّة Or.٦٧٨٤، المُجلَّدات ١a-٢٣b؛ تمَّ إعطاءُ أرقام الصَّفحات في الهامش الأيسر)؛ أنطونيلا كامباغنانو، *OmelieCopte: sullapassione, sullacroce e sullavergine* (ميلانو، ١٩٨٠)، ١٥٢-١٩٥ (مرتكز على بيربونت مورغان m ٥٨٣)؛ ومن خلال ستيفان بومبيك، "Pseudo-Kyrillos *In Mariam virginem*"، *Orientalia* ٧٠ (٢٠٠١): ٤٠-٨٨ (مُرتكز على بيربونت مورغان m ٥٩٧). سأستخدمُ العنوانَ "عن العذراء" في النّسخ الثلاث كلّها. للاطّلاع على كلّ الأعمال المنسوبة إلى كيرلس مع مُلخَّصات مُقتضَبة عن محتواها، يُنظر تيتو أورلاندي، "Cirillo di Gerusalemmenellaletteraturacopta"، *VeteraChristianorum* ٩ (١٩٧٢): ٩٣-١٠٠.

[٢] فيما يتعلَّق بالتّاريخ، يُنظر سيمون كلود ميموني، *Dormition et assomption de Marie* (باريس، ١٩٩٥)، ١٩٣-١٩٤ (بينَ عام ٤٣١ والنّصف الثاني من القرن السادس)؛ شوماكر، *الرّوايات القديمة*، ٦٠ (قبل منتصف القرن السّادس)؛ راجع تيري ويلفونغ، "قسطنطين باللغة القبطيّة: الإنشاءات المصريّة في عهدِ قسطنطين العظيم"، في *قسطنطين: التاريخ، والتأريخ، والأسطورة*، مُحرَّر. صموئيل ن. س. ليو ودومينيك مونتسيرات (لندن، ٢٠٠٢)، الفصل ٩، ١٨١ (أُلِفت أعمالُ كيرلس الزائِف الستّة باللّغة القبطيّة في القرن السّادس أو السّابع).

غزَّة أرسلَه إلى كيرلس في القدس، وهكذا نحصلُ على بعض المُقتطَفات من النّقاش بينَهما. لقد استشهد الرَاهبُ بإنجيل العبرانيّين بقوله:

عندَما تمنَّى المسيحُ أن يقابلَ البشرَ على الأرض، استدعى الآبُ الصَّالحُ قوَّةً عظيمةً في السَّموات كانَت تُدعى (ميخائيل)، وأوكلَ إليه العناية بالمسيح منذُ ذلك الوقت. ثمَّ نزلَت "القوَّة" إلى العالم وسُمِّيت مريم، وكانَ [المسيح] في رحمِها سبعة أشهر.[1]

أكَّدَ الرَّاهبُ وجودَ خمسة أناجيل، وهي الأربعة المُعتمَدة كنسيَّاً (الرَّئيسة) فضلاً إلى الإنجيل المكتوب إلى العبرانيّين. ردَّ "كيرلس" بإعلانٍ قاطعٍ أنَّ العقيدةَ العبريَّة مُناقِضة للمسيح، وهكذا أدركَ الرَّاهبُ خطأَه و تابَ. من المُحتمَل أنَّ إبيون (مرَّة واحدة فقط بيون) و هاربوكراتس مُتسلسلَين في هذه القصَّة لأنَّ إبيون قد صُوِّر مرَّةً على أنَّه مُلتزِم بشكل كبير بوجهات النَّظر ذاتِها فيما يتعلَّق بالمسيح مثل كاربوكراتس وكيرنثوس. غيرَ أنَّ كيرنثوس كانَ غائِباً في الخطبة القبطيَّة، والعقيدة المذكورة مجهولة بالنّسبة للأدب الآبائيّ، على الرَّغم من ذكر إيرينيئوس.

---

[1] كيرلس الزائِف، "عن العذراء"، في بودج، *نصوص قبطيّة مُتنوّعة*، المجلد ١٢ a = ٦٣٧؛ كامباغنانو، *Omelie Copte*، الفقرة ٢٨؛ بومبيك، "كيرلس الزائف"، الفقرة ٢٨؛ راجع بيتر فان دير هورست، أطفال "الأشهر السبعة" في الأدب المسيحيّ واليهوديّ من العصور القديمة"، *Theologicae Lovanienses Ephemerides* ٥٤ (١٩٧٨): ٣٤٦-٣٦٠. بالنسبة لميخا أو (في مخطوطة المكتبة البريطانيّة المُستخدَمة من خلال بودج) ميخائيل، ينظر رولوف فان دن بروك، " Der Bericht des koptischen Kyrillos von Jerusalem über das Hebräerevangelium"، في *دراسته عن المسيحيَّة الغنوصيّة والإسكندريّة* (لايدن، ١٩٩٦)، الفصل ٩، ١٤٧، الأرقام ١٣، ١٥.

مثلَما كانَ المسيحُ الأزليُّ رئيسَ الملائكة بالنّسبة للمسيحيّين اليهود المُتأثِّرين بالكسائيّ [١]، كذلك كانَت مريمُ قوَّةً مُعرفةً على أنَّها ملاكٌ رئيسيٌ وفقاً لإنجيل العبرانيّين الموجود في منطقة غزَّة في القرن السَّابع. لكن ارتأى الإبيونيّون والنّاصريّون أنَّ المسيحَ السّماويَّ أو الروحَ المُقدَّسة قد حلّت على يسوعَ البشريّ، ابنِ يوسفَ ومريمَ، لتتَّخذَ مَسكناً فيه عندَما عُمِّد، في حين اعتقدَ المسيحيُّون اليهود الذين نقلَ عنهم أناريخوس أنَّ الكائنَ السَّماويّ قد وُلدَ لمريمَ كالمسيح وابنِ الله حقّاً؛ وفكرة أنَّ مريمَ كانت كائِناً سماويّاً مُبتدَعة. وهذا يجعلُ من غير المُحتمَل أن يكونَ المقطعُ المنقولُ من إنجيل العبرانيّين في الخطبة القبطيّة مُتجذِّراً في الإنجيل القديم الذي يحملُ الاسمَ ذاتَه. ومن الصَّعب التأكُّد ما إذا كانَ الإنجيل القديم قد أُنشِئَ بالتّراكم (التّعاظم) كلَّما قامَ قرَّاؤُه بتحديثه، فربَّما أصبحَ المقطعُ الذي ذُكِر في الخطبة القبطيّة جزءاً منه في زمن "كيرلس"[٢]. لكن على الأغلب، كانَ الإنجيلُ الذي قرأَه أناريخوس من تأليفِ مسيحيّ يهوديّ لاحِق من النَّوع الغنوصيّ.

وأيَّاً كانت الهوية الصّحيحة لإنجيل أناريخوس، فهل لكيرلس الحقّ في تعريف العقيدة التي يقتبسُ منها بالمسيحيَّة اليهوديّة؟ أم ينبغي لنا بالأحرى رؤيتها على أنَّها قد تطوَّرت في إطار التوحيد؟ هناك أسباب عدَّة للاعتقاد بأنَّ كيرلس على حقّ. أولاً، لم يكن المسيحيُّون اليهود عادةً متَصوّرين كوجودٍ حيٍّ بعد الآن، وبوصفِه عالماً بالزَّندقة، أيَّدَ إبيون الرَّأي القائلَ إنَّ يسوعَ مُجرَّدُ رجلٍ وُلد لأبوَين بشريَّين عاديَين، وليسَ الرأي القائلَ إنَّه قوَّةً سماويّةً وُلدت من

[١] راجع أعلاه، الصفحات ٢٤١-٢٤٣ [٢٥٥-٢٥٧].

[٢] لقد تمَّ قبولُ الاقتباس كجزء من الإنجيل الأصلي للعبرانيّين في شنيملشر، *الأناجيل المنحولة*، ١٧٧، لكن حذف في كتب أخرى. ويرفضُ في فان دن بروك بشدّة، "كيرلس"، ١٤٨-١٥٠.

ملاكٍ رئيسٍ بهيئةٍ بشريّةٍ.[1] إذا كانَ "كيرلس" يفكِّرُ بشكلٍ مبسَّطٍ جدّاً، لكانَ نسبَ العقيدةَ التي تتعلَّق بحالة مريمَ الملائكيّة إلى "المانويّين" أو "البوربويّين" أو بعض من هذه المجموعة الغنوصيّة، وليس لإبيون. في الواقع، لقد نسبَ أوتوشيوس بطريرك الإسكندرية (سعيد بن البطريق) في القرن العاشر، وأبو البركات في القرن الرَّابع عشر، العقيدة إلى البوربويون، بصيغةٍ مأخوذةٍ من القرآن (سورة النَّحل، الآية ٥١). ويميلُ فان دن بروك إلى الاتفاق معهم، دون أن يفسِّرَ لماذا اختارَ "كيرلس" في هذه الحالة أن يقدِّمَ العقيدةَ على أنَّها عبريّة.[2]

ثانياً، لا يوجَدُ ما هو غير قابل للتَّصديق حول الادّعاء بأنَّ الإنجيل المسيحيّ اليهوديّ (حتّى القديم) كانَ مُتاحاً في القرن السَّادس أو السَّابع. فلدى الشَّاعر البيزنطيّ رومانوس المُرنِّم من القرن السَّادس الميلاديّ، والذي ولدَ في إيميسا (حمص)، " من أصلٍ عبريّ"، والذي اعتمدَ بقوَّة على الرّوايات السّورية، اقتباسان من إنجيلٍ مسيحيّ يهوديّ. كذلك تمَّ العثور على واحدٍ منهم في كتاب تاتيانوس "Diatesseron"، حيثُ وجدَه رومانوس على الأرجح، ولكنَّ الآخرَ لم يُشهَد في أيٍّ مكانٍ آخر باستثناء مصدرٍ لاتينيّ من القرنِ الرابعَ عشرَ، ممَّا يعزوه (بصيغةٍ مُختلِفةٍ) إلى الإنجيل الذي استخدَمه الناصريون. من المُحتمَل أنَّ رومانوس قد نقلَ أو أعادَ صياغةَ هذا المقطع مُباشرةً من إنجيل مسيحيّ يهوديّ.[3]

---

[1] راجع شوبس، *Theologie*، ٣٢٤.

[2] فان دن بروك، "كيرلس"، ١٥٢-١٥٣.

[3] لكلّ هذا، يُنظر بيترسن، "New Testimonium"، ١٠٥ ١١٦ ورقم ٢٤. يعتبرُ بيترسون إلمامَ رومانوس بهذا الإنجيل شاهداً على معرفته العظيمة (صفحة ١١٠)، كذلك يمكنُ للمرء أن يستنتجَ أنَّ العائلة اليهوديّة التي وُلد فيها هي عائلةٌ مسيحيّة يهوديّة.

ثالثاً، ظهرَت نسخةٌ مُختلِفةٌ من المقطع الذي ذكره "كيرلس" من الإنجيل اليهوديّ في مصدرٍ لاتينيّ من العصور الوسطى. يقولُ المسيح في "*Iohannis Interrogatio*" الذي استخدَمه كاثاريو إيطاليا وجنوب فرنسا: "عندما فكَّرَ أبي أن يرسلَني إلى هذه الأرض، أرسلَ قبلي أحدَ ملائكته من خلال الرّوح المُقدَّسة، كانَ يسمَّى هذا الملاك مريم، والدتي. لقد نزلَت: دخلَت وخرجَت مرَّة أخرى عبر أذنها".[1] وقد استمدَّ الكاثار كتابهم من البوغوميل في بلغاريا حوالي عام ١١٩٠،[2] واستمدَّه البوغوميل من مصدرٍ شرقيّ غيرِ معروفٍ، من البيالقة على ما يبدو. وفي أي حال من الأحوال، لا شكَّ في أنَّه كانَ يرتكزُ على موادّ من الشَّرق الأدنى.[3] وكما لوحِظَ بالفعل،

[1] إيدينا بوزوكي، ترجمة وتحرير، *Le Livre secret des Cathares: Interrogatio Iohannis* (باريس، ١٩٨٠)، ٦٨ v، كذلك راجع رولوف فان دن بروك، "الكثاريون: غنوصيي القرون الوسطى؟"، في *دراسته عن المسيحيَّة الإسكندريّة والغنوصيّة*، الفصل ١٠. ويلحظ رولوف فان دن بروك الموازي في التثليث القرآني لله، مريم، ويسوع في الصّفحة ١٦٧.

[2] راجع نازاريوس، الأسقف السابق القديم للكاثاريين، الذي صرَّحَ أنَّه سمعَ الكثيرين يؤكّدون في حضورِه أنَّ السيّدة العذراء كانت ملاكاً، وأنَّ المسيح لم يكن يحملُ الطبيعة البشريّة بل كان ذا طبيعةٍ ملائكيّة، وجسدٍ سماويّ. "قال إنَّه تلقَّى هذا الخطأ من أسقف كنيسة بلغاريا وابنه الأكبر منذ ما يقارب ستين عاماً" [أي حوالي ١١٩٠] (رينريوس ساكوني، *de Summa catharis*، مُقتبَسة في بوزوكي، *Livre*، ١٥١-١٥٢؛ والتر ل. ووكفيلد وأوستين ب. إيفانس، مُترجَم. *هرطقات العصور الوسطى المتوسطة: مصادر مُختارَة مُترجَمة ومشروحة* [نيويورك، ١٩٦٩]، ٣٤٤[٢٥]).

[3] تمَّ إنكار الأصل البلغاريَ في فان دن بروك، "كيرلس"، ١٥٥؛ فان دن بروك، "الكثاريون"، ١٦٨، وذلك أنَّ كلا البلغاريّين البيزنطيّين والأرمنيّين يعتقدون أنَّ مريمَ هي امرأة عاديّة، كانت مجرَّدَ ممرٍّ ليسوعَ السّماويّ (كان لديها أطفال من يوسف بعد ذلك؛ راجع بطرس الصقلّي أدناه الملحوظات ٢٢٢، ٢٢٤). لكنَّهم يتشاركونَ فكرة الممرّ (التي اقترحَها فالنتينوس أولاً)، يجبُ أن يكونَ هناكَ أنواعٌ كثيرة من البلغاريّين، وليس فقط المجموعات المنوَّعة من البيزنطيّين والأرمنيّين. كانَ هناك ما لا يقلّ عن ثلاثة أنواع من الكاثاريين (يعتقدُ البعض أنّ ماري كانَت رئيس الملائكة "جبريل"، ويعتقدُ البعضُ الآخر أنّها كانَت امرأةً حقيقيّة ولدت من دون بذورٍ بشريَّة، والبعض الآخر يقولُ إنَّ جسدَها مصنوعٌ من عناصرَ سماويّة؛ راجع بوزوكي، *Livre*،

ربَّما لم يكن المقطع الذي نقلَه "كيرلس" يشكِّلُ جزءاً من الإنجيل العبرانيّ المعروف لآباء الكنيسة، ولكنَّه لم يكن زائِفاً بمعنى أنَّ "كيرلس" قد اختلقَه. فقد حصلَ عليه من كتابٍ حقيقيّ. ومن الأهمّية الرّئيسة لعقيدةٍ حولَ يسوعَ ومريمَ مرفوضةٍ في القرآن، أنَّ كلاًّ من يسوع ومريم إلٰهيٌّ.

٧- مريمُ والثالوثُ:

قيلَ لنا في سورة المائدة، الآية ١١٦، إنَّه في يوم الدّينونة سوفَ يسألُ الله يسوعَ، "أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ"، فيجيبُ يسوعُ بإنكارٍ قويٍّ. فوجودُ أشخاصٍ يبجّلون كلًّا من يسوعَ وأمِّه باعتبارِهم كائناتٍ إلٰهيةً لا يمكنُ أن يكونَ أكثرَ وضوحاً.[1] غير أنَّها ليسَت الطريقة التي يقرأ بها غريفِث المقطع: في رأيه، تمَّ تصميمُ كلامه لإبراز عبثيّة عقيدة ألوهيّة يسوع من خلال تبيان أنَّه سيترتّب على ذلك أيضاً أنّ مريم كانت شخصيّة إلٰهيّة.[2] لكن لا يمكنُ لهذا أن يكونَ صحيحاً. فأحدُ الأسباب، هو عدم وجود أيّ استدلالٍ من واحدٍ إلى آخرَ في المقطع، ولا أنَّ الردَّ بأنَّ مثلَ هذه العقيدة المُتعلّقة بمريمَ ستكونُ لا منطقيّة بشكلٍ واضحٍ، بل بالأحرى لا يوجدُ أساس لتأليه مريمَ وابنها في بشرى يسوع ذاته. ولسببٍ آخر، تخبرُنا آيةٌ أخرى من السّورة ذاتها، "**ما الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ" (سورة المائدة، الآية ٧٥)**. قُدّمت حقيقة أنَّهم يأكلونَ الطعام كدليلٍ

١٥٢). بالنّسبة للأصول الشرقيّة، يُنظر فان دن بروك، "الكاثريين"، ولاسيَّما ١٦٤-١٦٥، ١٧٢-١٧٦.

[1] وبشكلٍ مُشابه دو بلوا، "نصرانيّ"، لاحِظ توافُق التّفاسير.

[2] غريفِثْ، "Syriacisms"، ١٠٣.

على حالتهم البشريّة. وفقاً للقرآن، إنَّ الرسل (بمعنى الملائكة بدلاً من الأنبياء) الذين زاروا إبراهيم لم يلمسوا العجل الذي أعدَّه إبراهيم لهم **(سورة هود، الآيتان ٦٩-٧٠، سورة الذاريات، الآيات ٢٦-٢٨)**. ويسألُ المُشرِكون الذين توقَّعوا أن يكونَ الرّسولُ ملاكاً بسخريّة، ما نوعُ الرّسول الذي أكلَ الطعامَ ومشى في الأسواق **"وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرّسول يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ "(سورة الفرقان، الآية ٧)**. فأجابَ الله إنّ كلَّ الرسل السابقين كانوا بشراً أيضاً، لم يُمنحوا أجساداً لا تأكل، وهي ليست خالدة: **"وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ"(سورة الأنبياء، الآية ٨)**. ومن الواضح أنَّ الرّسول كانَ ضدَّ المُعارضين الذين يعتبرونَ كلاً من يسوعَ ومريمَ كائناتٍ سماويّةٍ من النّوع الذي يُعرف بلا تمييز باسم الملائكة أو الآلهة في القرآن. كذلك هذا هو سبب إعلانه أنَّ الله يمكنُ أن يدمّرَ كلًّا من يسوعَ ووالدته إذا أرادَ **"قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ"(سورة المائدة، الآية ١٧)**، ولعلَّه السَّبب في إنكاره أنَّ الله كانَ له إما صاحبة أو ابن: **"أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ"(سورة الأنعام، الآية١٠١)؛ "مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا"(سورة الجن، الآية ٣)**. وتمَّ تعريفُ أتباع الرَّأي الذي عارضَه بأهل الكتاب في سورة النّساء، الآية ١٧١، حيثُ قيل لهم (للمرة الثانية) ألّا يغالوا ويقولوا "ثلاثة"، وهنا أكَّدَ الرّسولُ أنَّ يسوع كانَ رسول الله لا غير، وكلمتُه وروحٌ منه ألقاها الله في مريم، **"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاثَةٌ انتَهُواْ**

خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً".

كانَ الرّأي القائلُ إنَّ الملائكة لا تأكلُ أو تشربُ رأياً قديماً. حيثُ يصفُهم الكتابُ المُقدَّس بالطبع بأنَّهم يأكلونَ مع إبراهيم **(سفر التكوين، الإصحاح١٨، الآية ٨؛ الإصحاح ١٩، الآية ٣)**، ويصفُ المنَّ كغذائهم،[١] إلا أنَّ القرَّاء اليهود من حقبة الهيكل الثاني فسَّروا هذه المقاطع وغيرَها بأسلوبٍ دوسيتي. **"وَكَانَ يَظْهَرُ لَكُمْ أَنِّي آكُلُ وَأَشْرَبُ مَعَكُمْ"**، يفسّرُ الملاك الرئيس رفائيل لطوبيا وتوبياس في سفر طوبيا (القرن الثاني قبل الميلاد).[٢] فيبدو أنَّ الملائكة الذين زاروا إبراهيم أكلوا وشربوا ظاهريّاً فقط، كما أخبرَنا فيلو ويوسيفوس والتراجيم الفلسطينية.[٣] ووفقاً لعهد إبراهيم (١٠٠ قبل الميلاد)، أنبأَ االله رئيسَ الملائكة ميخائيل أن يأكلَ ما يأكُلُ منه إبراهيم، عندئذٍ احتجَّ ميخائيل أنَّ الملائكة لا يأكلونَ ولا يشربونَ، لذلك أكَّد الله له أنَّ الرّوح التي تلتهمُ كلَّ شيء سوفَ تستهلكُ الطَّعام له.[٤] عندَما في روما يجب أن تفعلَ كما يفعلُ الرّومان، أوضحَ الحاخامات، لذلك امتنعَ موسى عن الطعام

---

[١] المزامير ٧٧: ٢٥ LXX (٧٨: ٢٥ rsv)؛ سفر الحكمة (سليمان الحكيم) ١٦: ٢٠؛ راجع لويس جينزبرج، أساطير اليهود (الأصل ١٩٠٩–١٩٥٦؛ بالتيمور، ١٩٩٨)، ١: ٢٤٣. كذلك راجع يوسف وأسينات ١٦: ٨، حيثُ إنَّ قرص العسل (نخرب النحل) الذي صُنع من خلال النحل في الفردوس السماويّ هو طعام الملائكة: من يأكل منه لن يموتَ.

(٢) سفر طوبيا ١٢: ١٩.

(٣) فيلو، "عن ابراهيم"، ١١٨؛ يوسيفوس (يوسف بن ماتيتياهو بالعبريَّة)، الآثار العتيقة، ١. ١١. ٢ (١٩٧)؛ روجر لو ديوت وجاك روبرت، مُترجَم، Targum du Pentateuque (باريس، ١٩٧٨)، ١: ١٨٧ (سفر التكوين ١٨: ٨)، مع مزيد من المراجع؛ راجع. جينزبرج، أساطير، ١: ٢٤٣.

(٤) وصية إبراهيم، النّسخة أ، ٤:٤ (النسخة ب تفتقر إلى اعتراض ميخائيل ورد الله)، في تشارلزورث، العهد القديم المنحول، ١: ٨٨٤.

والشّراب عندما صعدَ إلى الأعلى، في حين أنَّ الملائكة أكلَت مع إبراهيمَ في الأسفل، إلا أنَّ الملائكة يأكلونَ ظاهريّاً.[١] كما أنَّ الرّأي القائل بأنَّ الملائكة لا تأكلُ واسعُ الانتشار في الأدب الآبائيّ.[٢]

أصبحَ السّؤال الذي نوقِشَ مع الإشارة إلى الملائكة موضعَ نقاشٍ حولَ يسوع أيضاً. فكانَت حقيقةُ تناولِه الطّعامَ وشربِه النبيذَ اعتراضاً على حالته باعتبارِه كائناً سماويّاً "ابْن الإِنْسَانِ" التي وُجِدت بالفعل في الأناجيل **(متى، الإصحاح ١١، الآية ١٩؛ لوقا، الإصحاح ٧، الآية ٣٤)**؛ وكانَ ردُّ فعل الكثير من المسيحيّين، مثل اليهود، اللّجوء إلى التفسير الدّوسيتيّ. وقد نفى سفرُ أعمال يوحنّا المزوّر ببساطة أنَّ يسوع قد أكلَ.[٣] وأكَّدَ آخرون أنَّ جسدَه، على الرغم من كونِه مُجرَّدَ مظهر، سمحَ بتأدية السّمات الجسديّة مثل الأكل: ويبدو أنَّ مرقيون كانَ تبنى هذا الموقف ، الذي أوردَه زائرو إبراهيم الملائكيّون على أنَّهم مُماثلون.[٤] إلا أنَّ آخرين قبلوا أنَّ يسوعَ أكل وشربَ، لكنَّهم أصرُّوا أنَّه لم يفعل ذلك انطلاقاً من الحاجة المادّية، فقط من أجل المَظهر.[٥] أيضاً كان هناك البعضُ ممَّن قبلوا أنَّ يسوعَ أكلَ و شربَ، لكنّهم اعتقدوا أنَّه فعلَ ذلك بطريقة

(١) التّكوين راباه، ٤٨: ١٤؛ راجع. تثنية راباه الأخيرة، ١١: ٤؛ الخروج راباه، ٤٧: ٥.
(٢) ينظر Reallexikon für Antike und Christentum، مُحرَّر. ثيودور كلاوسر (شتوتغارت، ١٩٥٠-٢٠١٠)، المدخل. "Engel iv (christlich)"، الأعمدة ١٢٣-١٢٤ (J. Michl).
(٣) دانيال ر. ستريت، خرجو منا: هوية المُعارضين في يوحنّا الأول (برلين، ٢٠١١)، ٤٤ (أعمال يوحنا، الفصل ٩٣).
(٤) المصدر ذاته، ٣٩-٤٠، ١٩٩.
(٥) المصدر ذاته، ٤٥ (أعمال بطرس، الفصل ٢٠).

استثنائيّة، وذلك من دون أن يفرزَ ويتعرَّض للفساد.[1] لكن بالنسبة لمسيحيّين الآخرين، فإنَّ جوهرَ المسيحيَّة يكمن في حقيقة أنَّ ابنَ الله قد أصبحَ إنساناً وماتَ لأجلنا، لذلك أصرُّوا على حقيقةِ جسد المسيح. "أكلَ وشربَ"، كما أوضحَ إغناطيوس (توفي قبل ١١٧)، حيثُ يبدو مثل الرّسول إلى حدٍّ كبير.[2] وقد أصرَّ ترتليانوس، الذي كتبَ ضدَّ مرقيون، على أنَّه لدى الملائكة الذين زاروا إبراهيم أجسادٌ صلبةٌ وقد أكلوا حقّاً؛[3] ويبدو أنَّ خطبةً القبطيةً تشاطرُه هذا الرأي، لأنَّ فيها يذكر إبراهيمَ عرضياً أنَّه أكلَ مع رئيس الملائكة ميخائيل.[4] وقد قبلَ التوحيدي جوليان من هاليكارناسوس، الذي غالباً ما اتُّهم بالانتماء إلى الفرقة الدوسيتيّة (والذي سيُقال عنه الكثير أدناه)، بأنَّ المسيح أكلَ وشربَ وكانَ لديه وظائفُ حيويةٌ طبيعيَّة.[5]

كذلك كانَ هذا رأي الرّسول. كمعارضيه المُشْرِكين والمسيحيّين، اعتقدَ بأنَّ الملائكة لا تأكلُ، لكنَّه لم يعتقد أنَّ كلّا من يسوع أو مريم كانوا ملائكة، ناهيك عن الآلهة. ففي سورة النحل، الآية ٥١، يقول الله للناس ألّا يعتنقوا

(١) المصدر ذاته، ٤٦-٤٧ (إكليمنضس، Stromata، ٣. ٥٩. ٣، فيما يتعلّق بفالنتينوس، بأسلوب موافِق على مايبدو). قارِن يوستينوس الشهيد، حوار، ٥٧، عن الملائكة الّذين زاروا إبراهيمَ: أكَلوا ... كما نفهم القول بأن النّيران تلتهم كل شيء، لا بمعنى أنهم أكَلوا بمضغ الطّعام بالأسْنان والفكّ.

(٢) إغناطيوس، "رسالة إلى أهل قيصريّة"، ٩: ١ (في مايكل و. هولمز، مُترجَم ومُحرَّر. الآباء الرسوليين [غراند رابيدز، ميشيغان، ١٩٩٩])، ١٦٥.

(٣) ترتليان، ضدّ مرقيون، ٣، ٩.

(٤) ثيودوريطس الإسكندريّ، "مديح في القديس ميخائيل، رئيس الملائكة"، في بودج، نصوص قبطيّة متنوّعة، ٩١٠ (صفحة ١٨a).

(٥) غريلماير، *المسيح في الروايّة المسيحَّية*، المجلد ٢، الجزء ٤، ٣٥٢، الملحوظة ٤٥. كذلك يُنظر أدناه في الأجزاء ٧ (ب) و١٠ (في الجزء ٢).

إلهَين اثنَين دونَ تسمية الآلهة المعنيَّة **"وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَـٰهَيْنِ اثْنَيْنِ"**. يشابهُ هذا المقطع بشكلٍ كبيرٍ في الصّياغة سورة المائِدة (المدنيَّة)، الآية ١١٦، **"أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ"**، يتساءلُ المرءُ ما إذا كانَت الإشارة ليسوع ومريم هنا أيضاً. وباختصار، فإنَّه من الصَّعب أن نرى كيفَ أمكنَ لغريفِث، الذي من المُرجَّح أنَّه على دراية بكلِّ هذه المقاطع، إنكار أنَّ الرّسول كانَ يجادلُ ضدَّ المسيحيّين الذين استخدموا ثالوثاً يتألَّف من الله ومريم ويسوع كأبٍ وزوجةٍ / أمّ و ابن.

في صياغة القرآن، قالَ المسيحيُّون المدافعون **"إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ" (سورة المائدة، الآية ٧٣)**.[١] وبالتأكيد يمكنُ للرَّسول أن يقدّمَ هذه المُلاحظة مع الإشارة إلى أيّ مسيحيّين ثالوثيّين: فقط التتمة في سورة المائدة، الآية ٧٥ تشير أيُّ نوعٍ من الثالوث كانَ معنيّاً. غير أنَّ غريفِث لم يعتبر أنَّ الإشارة إلى الثالوث، وهي حقيقة تستدعي استطراداً موجَزاً. وفقاً له، فإنَّ تعبير "ثَالِث ثَلاثَةٍ" مُبهَم ويُفهم بشكلٍ أفضل كترجمة عن اللقب السريّاني للمسيح، *tlīthāyā*، بمعنى ثلاثيّ أو ثلاثة أضعاف: المسيح ثلاثيّ مع الإشارة إلى روايات الكتاب المُقدَّس التي تصوُّر "الأيّام الثلاثة"، التي اتُّخذَت كرمزٍ للأيام الثلاثة التي قضاها المسيح في القبر. كما يشيرُ التعبير بشكلٍ غير مُباشَر إلى يسوع باعتباره واحداً من الأشخاص في ثالوث الله.[٢] لكنَّه أمرٌ بعيد الاحتمال نوعاً ما، وعلى أيّ حال ليسَ المسيح من وُصف بأنَّه "ثَالِثُ ثَلاثَةٍ"، بل الله، ولا التَّعبير مبهمٌ، لأنَّه يعني ببساطة "الثالث من أصل ثلاثة"، تماماً كما تعني عبارة

---

[١] راجع أعلاه، في الفصل ٣.

[٢] غريفِث، *المسيحين والمسيحيَّة*، ٣١٢-٣١٣؛ "Syriacisms"، ١٠٣ والصفحات التالية؛ و"النصارى"، ٣١٦ والصفحات التالية.

"ثَانِيَ اثْنَيْنِ" في رواية أولئك الذين لجؤوا في كهفٍ (سورة التوبة، الآية ٤٠).[١] التّهمة هي أنَّ المسيحيّين يصغرونَ الله إلى موقف الثالث من بين ثلاثة آلهةٍ من خلال إعطائه شريكَين، على الرَّغم من إخبار المسيح لهم بصراحةٍ ألا يفعلوا ذلك وفقاً للآية السابقة **"لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ"(سورة المائدة، الآية ٧٢).**[٢] **"وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ"**، كما توجد في نسخة مُختلفة موجَّهة إلى أهل الكتاب (سورة النساء، الآية ١٧١). أحد الشريكَين اللّذين ينسبونَ إلى الله هو المسيح، كما قيلَ لنا أيضاً في سورة المائدة، الآية ٧٢، **"إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ"**؛ والآخر هو مريم، التي تمَّ تأكيد طبيعتها البشرية الكاملة ضدَّهم فضلاً عن المسيح في سورة المائدة، الآية ٧٥، **"مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ"**. والأدلّة على ذلك مُتماسِكةٌ ولا لبسَ فيها على حدٍّ سواء.

[١] غريفِث، "النصارى"، ٣١٧، الملحوظة ٩، حيث أشار إليه مانفريد كروب وجوزيف فيتزتوم؛ كذلك لوحظ في جوزيف فيتزتوم، "الوسط السرياني للقرآن: إعادة صياغة الروايات التوراتية" (رسالة الدكتوراه، جامعة برينستون، ٢٠١١)، ٦٠.

[٢] لمحاولات أخرى في جعل العبارة تقنية، ينظر بارينذر، يسوع، ٣١، ١٣٣-١٣٤، ١٣٧، تفسير ٥: ٧٢ كمرجع للنمطية؛ سـ. جون بلوك، " Philoponian المونوفيزية في جنوب الجزيرة العربية مع مضامين تتعلق بالترجمة الإنكليزيَّة "لثلاثة" في القرآن ٤. ١٧١ و٥. ٧٣"، *مجلّة الدّراسات الإسلاميَّة* ٢٣ (٢٠١٢): ٥٠-٧٥، بحجَّة أنَّ الإشارة هي إلى نمطٍ Philoponian من المونوفيزية حيثُ سخرَ المُعارِضون منه باعتبارِه ثالوثيًّا.

(أ) المُدافِعون المَسيحيُّون:

أيَّ نوعٍ من المَسيحيّين كانَ الرّسول الذي نقابلُه هنا؟ سأبدأُ بمُناقَشة الإمكانيَّات المُدخَلة في الأدب الثانويّ ثمَّ سأنتقلُ إلى الأدلَّة القبطيَّة التي لم يأخذ بها أيٌّ من الإسلاميّين بعد.

أحدُ الآراء هو أنَّ هدفَ الرّسول كانَ طائِفة فخَّمَها إبيفانيوس بالاسم المُفخَّم "الفطائريّين".[1] في الواقع، لم يكن هناك أيُّ طائفةٍ تحملُ هذا الاسم، بل مُجرَّد مُمارَسة سمعَ عنها إبيفانيوس من مصادرَ شفَهِيَّة،[2] والتي اعتبرَها سخيفةً جداً، غريبةً، لا معنى لها، ولا منطقيَّة، والمزيد إلى جانبها. وقد جُلِبت هذه المُمارَسة إلى المنطقة العربيَّة من النّساء التراقيات والسكيثيات، اللواتي من المُفترَض أنَّهنَّ زوجاتُ أعضاءِ الفيلق في البصرى. حيثُ يقِمْنَ سنويّاً بتغطية مقعَدٍ مُربَّعٍ بقطعةِ قماشٍ، ويَضعْنَ خبزاً (أو فطيرةً) عليه، ويُقدِّمنَه لمريمَ، ويَتناولنَه، ما أغضبَ إبيفانيوس من هذه المُمارَسة، وجعلَه يكتبُ الصَّفحة تلوَ الأخرى ضدَّها، هو حقيقةُ أنَّ الطقوسَ كانَت تؤدِّيها نساءٌ، فأرعدَ قائِلاً: "من الأزمنة الأولى لا نجدُ امرأةً خدمَت خدمةً كهنوتيَّة!".[3] كانَّت المرأة مُتقلِّبة، وعِرضةً للخطأ، وضيّقةَ الأفق؛ جميعُ الكهنة كانوا رجالاً؛ حتَّى مريم، التي اعتُبِرت جديرةً بأن تحملَ ابن الله، لم تخدُم في الكنيسة بمثابةِ كاهِنةٍ؛ حتَّى أنَّ حوَّاء لم تقُم بأيِّ شيءٍ أثيمٍ إلى هذا الحدِّ؛ وهلمَّ جرا. "خدمة الله، دعونا نتبنَّى

---

[1] راجع موسوعة الإسلام، الطّبعة الثانية (لايدن، ١٩٦٠-٢٠٠٩)، المدخل. "مريم"، العمود b٦٢٩ (فينسينك، جونستون)؛ باريندر، يسوع، ١٣٥. إبيفانيوس، *Panarion*، ١٨. ٢٣. ٢ والصّفحات التالية؛ ٧٩. ١-٩.

[2] إبيفانيوس، *Panarion*، ١٨. ٢٣. ٣-٤ ("لقد سمعت"، "يقولون ذلك")؛ ٧٩. ١. ١ ("لقد وصلت كلمته لي").

[3] المصدر ذاته، ٧٩. ٢. ٣.

إطاراً عقليّاً رجوليّاً ونبدِّد جنونَ هؤلاء النّسوة":[1] مريمُ لم تُعبَد، ولا أيٌّ من القدّيسين.[2]

لم يكن إبيفانيوس على دراية ما إذا كانَت "النساء غير المستحقات" يقدِّمْنَ الرَّغيف إلى مريمَ "كما لو في العبادة"، ولكن أيّاً كانَ ما فعلوه، كانَ سخيفاً، وابتداعيّاً، وشعوذةً ووقاحةً من وحي الشَّيطان بكلِّ ما للكلمة من معنىً.[3]

كانَ من المُفيد أن نعلمَ كيفَ اعتبرَت هؤلاءِ النّسوةُ مريم، ولكن بما أنَّه حتى إبيفانيوس لم يتمكَّن من الادِّعاء بأنَّه يعلمُ، فعلينا أن نتركَ هذا جانِباً. وعلى أيَّة حال، من المُستبعَد بعض الشَّيء أن يكونَ الطّقسُ المُوثَّق لامرأةٍ أجنبيَّةٍ متشبِّثةٍ في القرن الرَّابع في المنطقة العربيَّة طويلَ الأجلِ بما يكفي ومُنتشِراً على نطاقٍ واسعٍ لاستقطاب الانتباه الجدليّ للرَّسول القرآنيّ.

وهناك فرضيَّةٌ أخرى هي أنَّ الثَّالوثَ القرآنيَّ كانَ له علاقةٌ بحقيقةِ أنَّ "الرُّوحَ" مؤنَّثةُ على نحوٍ نحوي باللّغتَين الآراميَّة والسّريانيَّة، وغالباً ما نُظِرَ إليها على أنَّها أنثى من جانبِ المسيحيّين السُّوريّين، ممَّا يعني أنَّه يمكنُ تعريفُها على أنَّها مريمُ. (كانَ ذلك حتَّى أوائل القرن الخامس؛ بعد ذلك، أصبحَ من المُتعارَف عليه أن تُعامَل كلمة "روحاً" على أنَّها مُذكَّرة فيما يتعلَّقُ بالرّوح

---

[1] المصدر ذاتُه، ٧٠. ٤. ٦؛ ٥. ٣.

[2] المصدر ذاتُه، ٧٩. ٩. ٣. بالنسبة لقضية تبجيل القدّيس فيما يتعلَّق بالكوليرديانيين، يُنظر ستيفن ج. شوماكر، "إبيفانيوس السلاميسي، الكوليرديانيين، وروايات كنيسة الرّقاد (العذراء) المُبكِّرة: عبادة العذراء في القرن الرَّابع"، *مجلّة الدّراسات المسيحيَّة الأولى* ١٦ (٢٠٠٨): ٣٧١-٤٠١.

[3] إبيفانيوس، *Panarion*، ٧٩. ٩. ٣؛ كذلك راجع أفريل كاميرون، "عبادة العذراء في العصور القديمة المُتأخِّرة"، *دراسات في تاريخ الكنيسة* ٣٩ (٢٠٠٤): ١-٢١.

المُقدَّسة على الرّغمَ من أنَّ ذلك إساءةً للقواعِد النَّحويَّة).[١] كما صُوِّرت الرُّوحُ كابنةِ الله في بعض الأحيان. وهكذا، قولِبت ترنيمةٌ مندائيةٌ الرّوح البشريَّة كابنةِ الله عندَما تسألُ: "أبتاه، أبتاه...لماذا أبعدتَني وتركتَني في أعماق الأرض؟".[٢] وقد صُوِّرَت الرُّوحُ المُقدَّسة بشكلٍ مُشابهٍ في كتابِ الكسائيّ، الذي وصفَ ملاكَين عملاقَين عُرِّفوا على أنَّهم المسيح وشقيقتَه، الرّوح المُقدَّسة (أي ابن وابنة الله).[٣] ويعلّق أورجانوس بأنَّ مُعلِّمه اليهوديّ اعتادَ القولَ إنَّ الملاكَين المُجنَّحَين بالأجنحة السّتّة (السّارافيم) في سفر إشعياء كانا ابن الله الوحيد والرّوح المُقدَّسة، وهذا يعني على الأرجح أنَّ مُعلِّمَه أيضاً صوَّرَ الرّوح المُقدَّسة كأختٍ للمسيح.[٤]

لكن، تمَّ تصويرُ الرُّوح كأمٍّ في الغالب. وقيلَ في بعض الأحيان إنَّها أمُّنا جميعاً، أسوةً بالله الذي كانَ والدُنا جميعاً، وليسَ والدَ المسيح فقط. وقيلَ تارةً إنَّها أمُّ الخليقة كلّها؛ وتارةً أخرى مكانتُها كأمِّ المسيح هي التي ميَّزتها

---

[١] سيباستيان بروك، "الرّوح القدس كمؤنثة في الأدب السّريانيّ المُبكِّر"، في *بعد حواء: المرأة، اللاهوت، والتقاليد المسيحيّة*، مُحرَّر. جانيت مارتن سوسكيس (لندن، ١٩٩٠)، ٧٣-٨٨؛ و"تعالي أيّتها الأمّ الحنونة...تعالي أيّتها الرّوح القدس: الجانب المَنسي من التصوُّر المسيحيّ المُبكِّر"، *آرام* ٣ (١٩٩١): ٢٤٩-٢٥٧ (أعيدت طباعتُه في كتابه *نار من السّماء: دراسات في الليتورجيا واللاهوت السريانيّ* [ألدرشوت، المملكة المتّحدة، ٢٠٠٦]، الملحوظة ٦)، ٢٥٢ والصّفحات التالية، مع أمثلة.

[٢] ي. س. درور، مُترجَم. *كتاب الصّلاة الكنسيّ للمندائيّين* (لايدن، ١٩٥٩)، ٧٤ (شكري لشارل هابرل لإرشادي إلى المرجع)، حيثُ قيلَ إنَّ الروح البشريَّة تصرخُ لأنَّه تمَّ التّخلّي عنها في ظلمة العالم المادّيّ.

[٣] هيبوليتوس، دحَض، ٩. ١٣. ٢-٣؛ إبيفانيوس، *Panarion*، ١٩. ٤. ١-٢؛ ٣٠. ١٧. ٦؛ ٥٣. ١. ٩؛ راجع دو بلوا، "نصرانيّ"، ١٤.

[٤] أوريجانوس، *عن المبادئ الأولى*، ١، ٣، ٤ (مُترجَم. ج. و. بوتروورث [نيويورك، ١٩٦٦]، ٣٢)؛ جون أنطوني مك غوكين، مُحرَّر. *of Origen z–The scm Press a* (لندن، ٢٠٠٦)، ١١.

(فرّدتها).[١] لقد أشارَ المسيحُ إلى ذاتِه أنَّه "ابن الرّوح المُقدَّسة" في (ربَّما في القرن الثاني) رسالةِ أو إنجيلِ يعقوب الأولى ("جيمس" هي الصّيغة الانكليزية المحيّرة لاسم يعقوب).[٢] أمَّا النَّسخة اليونانيَّة من سفر أعمال توما التي ترجعُ إلى القرن الثّالث، والتي تمَّ تأليفها باللغة السّريانيّة وتُرجمَت إلى اللغة اليونانيَّة عن نسخةٍ سريانيَّة أكثر بدائيَّةً من النَّسخة الموجودة حالياً، فقد أشارَت إلى الرُّوح المُقدَّسة مراراً وتكراراً باسم "الأمّ" (مرَّةً واحِدةً باسم "الأمّ الخفيَّة") وأوضحَت للمسيح "نسبِّحُك ووالدَك غير المنظور، والرُّوح المُقدَّسة، (و) أمَّ الخليقةِ كلِّها". كما يقولُ بروك، ينبغي حذفَ كلمة "و" الموضوعة بينَ قوسَين لأنَّها بمثابةِ تطفُّل؛ فالمقاطعُ، كما يلحَظُ، تقدِّمُ دليلاً واضِحاً على ثالوثٍ يتكوَّن من الأب والأم والابن.[٣] كذلك ظهرَ مثل هذا الثّالوث في "ترنيمة اللّؤلؤة أو الرّوح"، حيثُ أُدرِجَت في سفرِ أعمال توما والَّتي تصوِّرُ ملكاً وملكةً وابنهما (المسيح).[٤] وتحدَّثَ بارديصان عن أبٍ وأمٍّ الحياة اللَّذَين أنجبا ابن الحياة، أي المسيح،[٥] بينَما صوَّرَ ماني الله ("أبا

---

[١] روبرت موراي، *رموز الكنيسة والمملكة: دراسة في التقاليد السريانيّة المُبكّرة*، مراجعة. تحرير. (الأصل ١٩٧٥؛ بيسكاتاواي، نيوجيرسي، ٢٠٠٤)، ٣١٢ والصَّفحات التالية؛ بروك، "الرّوح القدس كمؤنثة"، ٧٨؛ راجع بروك، "تعالَي أيَّتها الأمّ الحنونة"، ٢٥١، نقلاً عن أفراهاط: طالما أنّه لا يزال غير مُتزوِّج، فلا يملكُ الرّجل حبّاً سوى حبّ الله والدَه، والرّوح القدس، أمّه.

[٢] "إنجيل يعقوب الأوّليّ"، في شنيملشر، *العهد الجديد المنحول*، ٢٩٣.

[٣] بروك، "الرّوح القدس كمؤنثة"، ٧٩.

[٤] المصدر ذاته.

[٥] برودس أوكتور سكيايرفو، "برديصان"، في *الموسوعة الإيرانيّة* (لندن، ١٩٨٨)، ٣: ٧٨٠-٧٨٥؛ راجع موراي، رموز، ٣١٨، مشيراً إلى أنَّ الرّوح القدس لدى برديصان هو كناية عن رمز لأترعتا، آلهة منبج.

العظمة") على أنَّه نفخَ الحياةَ في الرُّوح العظمى (اسمها "أمّ الحياة")، وهي التي نفخَت الحياة في ابن الله البكر (أي أهورامزدا)، حيث كانَ إنساناً بدائيّاً.[١]

تظهرُ الروح كأمٍّ في الإنجيل القديم وفقاً للعبرانيّين الذي قُرِئ من قبلِ المسيحيّين اليهود الأوائِل. ويذكرُه أورجانوس لأنَّه يحتوي على مقطعٍ يقولُ المسيحُ فيه "أخذَتني أمّي، الرّوح المُقدَّسة، بواحدةٍ من شعراتي وجلبَتني إلى تلةٍ بارزةٍ، الطابور (الطور)".[٢] الإشارة هي إمَّا لِتجلِّي المسيح أو إغرائِه. ففي الأناجيل الإزائيَّة (السينوبتيّة)، حدثَ التجلّي على جبلٍ عظيمٍ لم يُذكَر اسمُه؛ بعض القرّاء اعتبرَه جبلُ الزَّيتون،[٣] لكن أورجانوس حدَّده على أنَّه الطَّابور، وهو الحلُّ الفائِز (المُرجَّح).[٤] عندَما صعدَ يسوعُ إلى الجبل، أشعَّ وجهُه كما

---

[١] راجع إيان غاردنر وصموئيل ن. س. ليو، *نصوص مانويّة من الإمبراطوريّة* الرومانيّة (كامبريدج، ٢٠٠٤)، ١٣، معتبراً ذلك هيكلاً ثالوثيّاً مُدرَكاً.

[٢] أوريجانوس، *تعليق على متى*، ٢، ١٢؛ أوريجانوس، *عظات دينيّة عن إرميا*، ١٥، ٤، في *الدليل الآبائي*، مُحرَّر. كليجن ورايننيك، ١٢٧؛ كليجن، *أسلوب الإنجيل اليهوديّ المسيحيّ*، ٥٢ (قُرأ الإنجيل من خلال الإبيونيّين على الأرجح)؛ إشارات موجَزة للفقرة في جيروم مع الإشارة إلى أنَّ القراءة تمَّت من خلال الناصريّين، في الدّليل الآبائيّ، مُحرَّر. كليجن ورايننيك، ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٢٩؛ كليجن، *أسلوب الإنجيل اليهوديّ المسيحيّ*، ٥٢–٥٣ ("في ميخا"، ٧: ٥–٧؛ "في إشعيا"، ٤٠: ٩–١١؛ "في حزقيال"، ١٦: ٣). قارِن الكتاب المنحول "Bel and the Dragon"، الآيات ٣٣–٤٢، الذي يحكي أنَّ الملاكَ حملَ حبقوق من شَعرِه من يهودا إلى بابلَ ليطعمَ دانيال في عرينِ الأسود. إنَّ وحيَ الحدثَين (الفكرتَين) هو إشعيا ٨: ٣، حيثُ حملَ مخلوقٌ خارقٌ حزقيالَ من شَعرِه من بابل إلى القدس؛ راجع كليجن، *أسلوب الإنجيل اليهوديّ المسيحيّ*، ٥٤، لمثيلين إضافيين.

[٣] بالتالي، حاج برديل عام ٣٣٣ (أ. ستيورات، مُترجَم. "التّطواف من برديل إلى القدس"، في *جمعيّة نصّ حُجّاج فلسطين* ١ [لندن، ١٨٨٧]: ٢٤–٢٥)؛ وبالمثل *Pistis Sophia*، الفصل ١ (هنا حدثَت بعد القيامة).

[٤] حازَ جبلُ الطّور على إجماع شاملٍ على أنَّه موقعُ التجلّي من بين أمورٍ أخرى لأنَّ كلاً من أوريجانوس وكيرلس الأورشليمي حدّدوه في هذا المكان؛ يُنظَر أعلاه، الملحوظة ١٨٩، وكيرلس الأورشليميّ، *المسيحيَّة والتعليم*، مُترجَم. إدوارد يارنولد، *كيرلس الأورشليمي* (لندن، ٢٠٠٠)، ١٢: ١٦.

قيلَ لنا (مثل موسى في سيناء)، وتراءَى له كلٌّ من موسى وإيليا، ثمَّ جاءَ صوتٌ: **"هذا هَو ابنيَ الحَبيبُ الَّذي عَنهُ رَضيت، فلَهُ اسمَعوا".**[1] هذه هي الكلمات التي يضعُها البعضُ في معموديَّة يسوع، مُلمِّحين إلى أنَّ قصَّة التّجلِّي قد نشأَت كواحدةٍ من أصلِ العديد من الرّواياتِ المُختلِفة عن كيفيَّة تحويل الرُّوح المُقدَّسة يسوع البشريّ إلى المسيح الأزليّ. غير أنَّه في الأناجيل الإزائيَّة (السّينوبتيَّة) صعدَ يسوعُ الجبَلَ برفقةِ التلاميذ، بينَما في الإنجيل العبرانيّ يبدو أنَّ المسيح قد تجلَّى بمُفردِه، لذلك ربَّما من المُرجَّح أنَّ الإشارة هي للإغراء. كانَت الرّوح هي من اقتادَت يسوعُ إلى البرّيّة **(مرقس ١: ١٢؛ متى ٤: ١؛ لوقا ٤: ١)**، تواصلَ الإغراءُ في القدس أولاً ثمَّ على الجبل **(متى ٤: ٨-١١؛ كذلك ضمنياً في لوقا ٤: ٥، لكن ليس في مرقس)**. لقد عُرفَ هذا الجبل باسم جبل طابور (الطور) أيضاً.[2] لكن كان الشَّيطانُ عوضاً عن الرّوح من اقتادَ يسوعُ إلى القدس ثمَّ على الجبل في الأناجيل الإزائيَّة (السّينوبتيَّة) **(متى ٤: ١٠؛ مثله لوقا ٤: ٥)**. لعلَّ الإنجيل المسيحيّ اليهوديّ قد قدَّمَ الرّوح على أنَّها تنقلُ يسوعَ خلال مراحل الإغراء الثلاث. مهما يكُن، فتعريفُه للرّوح كأمّ المسيح هو ما له أهمّيةٌ هنا.

---

[1] متى ١٧: ١-٩، مرقس ٩: ٢-٨، لوقا ٩: ٢٨-٣٦؛ قارن *Sophia Pistis*، ١، ١٥ والصَّفحات التّالية، حيثُ كانَ يسوعُ مُعطَى بضوءٍ وتجلَّى إلى السَّماء، تماماً كما كانَ موسى مُظلَّلاً بسحابةٍ وتجلَّى إلى السَّماء عندَما وقفَ على جبل سيناء، برأي الكثيرين.

[2] إبيفانيوس، *Panarion*، ٥١. ٢١. ٧.

إنَّ حقيقةَ تعريفِ الرّوح غالباً بأنَّها أمّ المسيح لا يعني بالضَّرورة أنَّها عُرِّفَت بمريم.[1] ولا يبدو أنَّ أيّاً من بارديصان أو ماني قد تصوّرا أمّ الحياة وكأنَّها ظهرَت على الأرضِ بهيئةٍ بشريّةٍ، سواء كانَ ذلك حقيقيّاً أم وهميّاً؛ ومن المُحتمَل أنَّ قُرَّاء إنجيل العبرانيّين قد ميَّزوا بينَ مريم، والدة يسوع البشريّ، والرّوح المُقدَّسة، والدة المسيح السَّماويّ. كما ربطَت أناشيدَ سليمان، التي كُتبت في بلاد ما بينَ النهرين في القرن الثاني أو الثالث، الرّوح المُقدَّسة بمريم، لكنَّها امتنعَت أيضاً عن تعريفها بها. يخبرُنا المؤلف، "لقد ارتفقت على الرّوح وهي رفعَتني إلى السَّماء وجعلَتني أقفُ في مكانة الرَّب العليا"، مُضيفاً، وهو يتحدَّثُ الآن كالمسيح، "جلبَتني الرّوح أمامَ وجهِ الرَّبّ، ومع أنَّني كنتَ إنساناً [أو، "لأنّي كنتُ ابن الإنسان"]، سُمِّيتُ النور، ابن الله".[2] أصبحَ يسوعُ هنا ابنَ الله، ليس بالمعموديَّة أو صعود جبل طابور، بل بالأحرى من خلال الصّعود إلى العالم الأعلى، تحملُه الرّوح. (هذا أيضاً يمثّلُ يسوعَ على غرار موسى، الذي تمَّ تصويره على أنَّه صعدَ إلى الجنَّة عندَما صعد جبل سيناء).[3]

---

[1] يبدو أنّه دائماً ما يتمُّ إغفال هذه النقطة من خلال أولئك الذين يوردون الطبيعة الأنثويَّة للرّوح في تفسير الثّالوث القرآني (آخرهم دو بلوا، "نصراني"، ١٤-١٥؛ غاليز، *Le messie*، ٢، ٨٠ والصَّفحات التالية).

[2] ج. ه. تشارلزوورث، تحرير وترجمة. *أناشيد سليمان* (تشيكو، كاليفورنيا، ١٩٧٧)، النشيد ٣٦: ١-٣ (راجع تشارلزوورث، *تأمُّلات نقديّة عن أناشيد سليمان*، المُجلَّد ١ [شيفيلد، ١٩٩٨]، بالنسبة للعمل). يفضّل تشارلزوورث التّرجمة التي وضعتها بينَ مُعترضَتين. كما تمَّت مُناقَشة الفقرة في موراي، رموز، ٣١٤-٣١٥، ٣١٨، على أساس ترجمة تشارلزوورث، وهو ما لم يُناقِشه. رغم أنَّه تساءَل عمّا إذا كانَ هناك ذكرى لرواية جبل الطّور لأوريجانوس (ينظر الملحوظة ١٨٩ أعلاه، في الآية ١).

[3] راجع واين أ. ميكس، "موسى كالله وملك"، في "*الأديان في العصور القديمة: مقالات في ذكرة إيروين رامسديل غودينوف*"، تحرير. ياكوب نويزنر (لايدن، ١٩٦٨)، ٣٥٤-٣٧١، ولاسيَّما ٣٥٧ والصَّفحات التالية.

وفي مقطعٍ آخر، حلبَت الرّوحُ الآب، ثم نفسَها، وقدمت حليبهما إلى رحمِ مريم، التي حبلَت وولدَت؛ الابن هو الكأسُ، والآب هو الذي حُلِبَ، والرّوح المُقدَّسة هي التي حلبَته، كما قيلَ لنا.[1] لقد تمَّ تصوير حصَّتي الحليب أسوةً بالنّطفة والبيضة، اللّتين خُلطتا في طبقٍ بتريٍّ سماويٍّ وغُرِستا في مريم. من الواضِح أنَّ والدَي المسيح الحقيقيَين كانا الله والرُّوح. لكن في الأناشيد، كما هي حال الأعمال الأخرى، مريم هي كائنٌ بشريٌّ مختلفٌ عن أعضاء الثّالوث. ويوجد لدى إفرام آية تبارَكَ "الطفل [يسوع] الذي والدته [مريم] هي عروس القدّوس"،[2] لكنّه لا يعني أنَّ مريم كانَت زوجة الله بالمعنى الحرفيّ. بوجيز العبارة، لا شيءَ من هذا يأخذُنا إلى العقيدة المُدانة في القرآن.

وهناك فرضيّةٌ أخرى (ليسَت مُختلِفة بأيّ حال من الأحوال) هي أنَّ الثالوث الذي ينعكسُ في القرآن يجبُ أن يكونَ مُرتبِطاً بالرّواية القديمة في الشَّرق الأدنى عن الثلاثيَّات الإلهيَّة المُكوَّنة من الأب والأم والابن. ربَّما أشهرُ الأمثلة على ذلك هو الثَّالوث المصريّ المُكوَّن من أوزيريس وإزيس وابنهما حورس، غير أنَّ ثلاثيّات أخرى وُثِّقت عندَ السوريّين الوثنيّين في هيرابوليس\منبج،[3] وعند العرب الوثنيّين في الحضر.[4] (كان يُعتقَد أنَّ هناك

---

[1] تشارلزوورث، *أناشيد سليمان*، النشيد ١٩: ١-٦؛ كذلك في موراي، *رموز*، ٣١٥.

[2] سباستيان بروك، "عيد الفصح (اليهود)، البشارة، الابتهال: بعض الملحوظات عن مُصطلَح Aggen في الإصدارات السّريانيّة لإنجيل لوقا ١: ٣٥"، Novum Testamentum ٢٤، رقم ٣ (١٩٨٢): ٢٢٨، مقتبس في إفرايم، H. de Nativitate، ٨، ١٨، ٢-٣.

[3] يهوذا بن سيجال، *الرها، المدينة المُبارَكة* (أوكسفورد، ١٩٧٠)، ٤٦ (زيوس، هيرا، وابولو، أي. حدد، أترعتا، وإله ثالث لم يُعرَف اسمه الأصلي).

[4] بروك، "تعالي أيَّتها الأمّ الحنونة"، ٢٤٩، بالإشارة إلى فرانسيسكو فاتيوني، *Le Iscrizioni di Hatra* (نابلس، ١٩٨١)، الملحوظات ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٣٠، إلى آخره.

واحداً أيضاً في هيليوبوليس\ بعلبك، لكن يبدو أنَّ هذا غير صحيح).[1] في البتراء، تمَّ تعظيمُ أمّ عذراء وابنها الذي يدعى دوساريس من دون ذكر الوالد.[2] فإذا كانَت الأمّ العذراء هي العُزى، من المُفترَض أنَّ الأب هو الإله الأعلى (ذو الشرى)، الذي اقترنَت العزى به. ونبذَ التنصُّر الآلهة الوثنيَّة، لكن مع ذلك عادَت الثلاثيّات إلى الظهور. في الواقع، لقد بقيَت على قيد الحياة حتَّى القرن العشرين، لأنَّ ألويس موسيل سمعَ رجلَ قبيلةٍ طاعنٍ في السّن يغمغمُ، "باسم الآب، والأم، والابن" وكأنَّه يصلب.[3]

حقيقة أنَّ الثلاثيّات قد لعبَت دوراً في تشكيل الثالوث الذي يتكوّن من الأب والأم والابن صحيحة بلا شكّ: شهدنا عودتهم في سفر أعمال توما، وترنيمة اللؤلؤة، وفي فكر برديصان وماني. إلا أنَّ مريم لم تعني ضمناً الأمّ الإلهيَّة حتّى وصلنا إلى البدعة حولَ جسدها السَّماويّ. وهكذا فإنَّ أقدم الأدلّة ترجعُ إلى أواخر القرن الرَّابع، عندما يقول إبيفانيوس، ضدَّ النّسوة اللواتي شُجبوا مثل الفطائريّين، إنَّ مريمَ لم تُعبد (انظر أعلاه، ص ٢٤٧ [٢٦٦]). على الرَّغم من أنَّه لم يكن يعرفُ حقّاً ما إذا كانت هؤلاء النسوة يعبُدنَ مريم ككائنٍ فوق بشريّ، فإنَّه يشيرُ إلى أنَّه علمَ من أناسٍ فعلوا ذلك، وهذا ما تمَّ تأكيدُه من

[1] تمَّ رفضُه بموجب دليل كتابي من خلال فيرغوس ميلر، *الشّرق الأدنى الرّومانيّ* (كامبريدج، ماساتشوستس، ولندن، ١٩٩٣)، ٢٨٣، ٢٨٥؛ وبموجب الدّليل الأيقونوغرافي من أندرياس ج. م. كروب، "جوبيتر، فينوس، وميركوري البعلبكي (بعلبكّ): صور "الثالوث" والتوفيق بين مُعتقداتِه المزعومة"، سورية *٨٧* (٢٠١٠): ٢٢٩-٢٦٤، في ٢٤٨-٢٤٩ (مع إشارة كاملة إلى الأدب السابق).

[2] إبيفانيوس، *Panarion*، ٥١. ٢٢. ١٢؛ راجع فوزي زيادين، "الآلهة النبطيّة ومعابدها"، في *إعادة اكتشاف البتراء: المدينة النبطيّة المفقودة*، مُحرَّر. جلين ماركو (نيويورك، ٢٠٠٣)، الفصل ٤، ٦٠.

[3] ألويس موسيل، *Arabia Petraea* (فيينا، ١٩٠٧-١٩٠٨)، ٣: ٩١.

خلال مقطعٍ آخرَ يحذّرُنا فيه بشدَّة أنَّ "مريم ليسَت الله ولم تأتِ بجسدِها من السَّماء بل بحبَلٍ بشريّ".[1] في عملٍ آخر، يخبرُنا هو أو كاتبٌ قبطيٌّ يكتبُ مثله ألّا نعتقدَ أن مكانةَ مريمَ كانت ساميةً بحيثُ لا يمكنُها أن تكونَ من هذه الأرض أو وُلدت من رجلٍ، بل بالأحرى يتوجَّبُ أنَّها أتت من السَّماء، كما ادَّعى هؤلاء "الذين يشرعونَ بإثارة الشِّقاق علانيةً".[2] وكانَ أتباعُ العقيدة القائلة بأنَّ جسدَ مريمَ من السَّماء ينشرونَها بعلانيَّة تامَّة، حينذاك. كذلك تنعكسُ العقيدة في الجزء الصعيديّ (لغة قبطيَّة مصريَّة) الذي يؤكِّد "لقد ماتَت مثل جميعِ البشر ووُلدت من نسلٍ بشريّ، مثلنا".[3] وعلى نفسِ المنوال، في خطبة قبطيّة عن رقاد العذراء كتبها ثيودوسيوس الإسكندريّ (توفي عام ٥٦٦ أو ٥٦٧) يخبرُ المسيحُ مريمَ أنَّه لم يرد لها أن تعرفَ الموت: "أردت أن أحملَك إلى السَّماء مثل أخنوخ وإيليا"، يقولُ، لكن إذا كانَ قد فعلَ ذلك، "سيعتقدُ الناس الشّريرونَ أنَّك قوّةً سماويّةً نزلَت إلى الأرض وأنّض خطَّة التّجسُّد وطريقة حدوثها وهم".[4]

تظهر البدعة في الخطبة القبطيَّة لـ "كيرلس"، حيثُ يذكرُ فيها أناريخوس وإنجيل العبرانيّين.[5] يؤكّد "كيرلس" أنَّ مريمَ من لحمٍ ودمٍ، وُلدت من أمٍّ

---

[1] إبيفانيوس، *Panarion*، ٧٨. ٢٣. ١٠.

[2] إبيفانيوس (مُسنَد)، "عن العذراء المُقدَّسة"، في بودج، *نصوص قبطية متنوعة*، ٧٠١.

[3] فان دن بروك، "كيرلس"، ١٥٠، مستشهداً بفوربس روبينسون، مُحرَّر. *الأناجيل القبطيّة المنحولة* (كامبريدج، ١٨٩٦)، ١٠٨.

[4] م. تشين، "Sermon de Théodose, patriarch d'Alexandrie, sur la dormition et l'assomption de la vierge"، *Revue de l'Orient Chrétien* ٢٩ (١٩٣٣-١٩٣٤): ٢٧٢-٣١٤، في ٣٠٩؛ راجع شوماكر، الروايات القديمة، ٥٨، تُعتبر موثوق بها.

[5] يُنظَر الملحوظة ١٤٢، أعلاه.

وأبٍ بشريَين كسائر البشر الآخرين، وليست قوّةً (dynamis)، كما ادَّعى إبيون وهاربوكراتس، الكافران المُلحِدان اللّذان قالا إنَّها كانَت قوَّة الله اتَّخذت شكلَ امرأةٍ وجاءَت إلى الأرض، لتسمَّى مريم.(١) ويكرِّرُ "كيرلس" ولادتها وطفولتها كما قُدِّمت في إنجيل يعقوب الأوَّلي، مؤكِّداً كذلك أنَّها ماتَت كأيِّ شخصٍ آخر.(٢) هنا نجدُ أيضاً أنَّ الرّسول قد عارضَ مريم الإلٰهيَّة في القرآن.

كما تظهرُ العقيدة في تعاليم يعقوب اليونانيَّة (Didascalia Iakôbou)، التي كُتبت في سورية في ثلاثينات القرن السَّادس. هنا، يُذكَر معلمٌ يهوديٌّ في الشريعة من طبريا على أنَّه يُنكرُ أنَ مريمَ هي والدة الله (theotokos الثيؤطوكوس)، مؤكِّداً أنَّها من سلالة داؤود، حيثُ يعني ذلك بالنِّسبة له (كما لـ "كيرلس") أنَّها إنسانةٌ عاديةٌ. ختمَ بقوله، "لذلك لا تدعِ المسيحيّين يعتقدون أنَّ مريمَ من السَّماء".(٣) في المقطع التالي، تمَّ عرضُ اليهود يجادلونَ أنَّ يسوعَ لا يمكنُ أن يكونَ ابن الله، لأنَّ الله لم يتَّخذ زوجةً، ويفترضُ بذلك أن يكونَ إشارةً أخرى إلى مريم.(٤) كُتِبَت تعاليمُ يعقوب لليهود المُجبَرين على المسيحيّة، وعلى ما يبدو أنَّ مؤلِّفَها المسيحيَّ يريدُ من هؤلاء اليهود أن يفهموا أنَّه حتَّى أساطينَهم الحاخاميَّة يؤمنونَ بأنَّ مريمَ من

---

(١) كيرلس الزائف، "عن العذراء"، في بودج، *نصوص قبطيّة متنوّعة*، الصّفحة ٣a = ٦٢٨؛ كامباغنانو، *Copte Omelie*، الفقرة ٧.

(٢) كيرلس الزَّائِف، "عن العذراء"، في بودج، *نصوص قبطيّة متنوّعة*، الصّفحات ٤b والصّفحات التالية = ٦٢٩ والصّفحات التّالية؛ كامباغنانو، *Omelie Copte*، الفقرات ١٠ ومايليها؛ بومبيك، "كيرلس الزَّائِف"، الفقرات ١٠ وما يليها. مصدره رسالة أفريكانوس؛ ينظر يوسابيوس، *Eccl .Hist.*، ١. ٧؛ ٦. ٣١.

(٣) *Doctrina Iacobi*، ٢، ٤٢.

(٤) *Doctrina Iacobi*، ٢، ١.

سلالة داؤود (هذا أمر غير صحيح بلا شكّ). وكما يظهرُ، أرادَهم أن يفهموا أنَّ الاعتراضات اليهوديّة على الثالوث استندَت على سوءِ فهم العقيدة المسيحيَّة: فالمسيحيُّون لا يعتبرونَ مريمَ زوجةَ الله ولا أنَّها مخلوقٌ سماويّ، معَ أنَّهم يعتبرونَها والدةَ الله. وكانَ المؤلِّف على درايةٍ واضحةٍ بنسخةٍ مسيحيّة من ثلاثيّات الشَّرق الأدنى المؤلَّفة من الأب والأم والابن. كذلك كانَ الرّسول، لأنها بالتأكيد العقيدة ذاتها التي يرفضها عندما يقول **"وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا" (سورة الجنّ، الآية ٣)**. ويسألُ في مقالٍ آخر، **"أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ" (سورة الأنعام، الآية ١٠١)**؛ لكن على ما يبدو هنا أنَّ المُعارِضين يشاركونَ افتراضَه بأنَّه ليسَ لدى الله زوجةٌ، ممَّا يشيرُ إلى أنَّهم مسيحيّين من التيّار السَّائد، أو بدلاً من ذلك أنَّه وجدَهم عالقين في اختلاف.

(ب) دور المسيحيَّة السّائدة:

حتَّى لو قبلنا أنَّ "كيرلس" كانَ على دراية بإنجيلٍ يهوديٍّ مسيحيٍّ من النَّمط الغنوصيّ، فقرَّاؤه تعايشوا لمدَّةٍ طويلةٍ مع المسيحيَّة غير اليهوديّة، وبشكلٍ واضحٍ صور "كيرلس" البعض منهم كمسيحيّين أغيار. وقُدِّم الرّاهب أناريخوس كموضوعٍ مسيحيّ لأساقفة غزة والقدس (ممَّا يجعلُه ملكيّاً)،[1] هو الذي تابَ عن زلاّته عندَما أدركَ أنَّه كانَ مُخطِئاً. يقولُ أنارخوس، في مخطوطتَين، أنَّه عُمِّد في "بدعة إبيون"،[2] إلا أنَّ ذلك يبدو مُجرَّد تحسينٍ لقصَّةٍ من المُرجَّح أنَّها ليست صحيحة حرفيَّاَ، وإنَّما تهدفُ إلى توضيح أينَ نشأَت

---

[1] ربَّما لهذا أن يُسهمَ في أفكار قُتادة عن الملكيّين الإسرائيليّين (يُنظر أعلاه [الصفحات ٢٣٩-٢٤٠]).

[2] كيرلس الزّائف، "عن العذراء"، في كامباغنانو، *Copte Omelie*، الفقرة ٣٢؛ بومبيك، "كيرلس الزّائف"، الفقرة ٣٢.

البدعةُ المُتعلّقة بمريمَ. في عِظته عن حياة وآلام السَّيد المسيح، لحظَ "كيرلس" "أنَّنا لا نقولُ، كما يقولُ أنطونيوس الإسكافي (أو صانعُ الجلود) وساويروس...بأنَّ الثيؤطوكوس هو روحٌ؛ بالأحرى، إنَّنا نعتقدُ أنَّها وُلِدت مثلَها مثلَ البشر الآخرين".[1] ويبدو أنَّ أنطونيوس الإسكافي (صانِع الجلود) وساويروس من الأغيار، على الأرجح من التوحيديين، وذلك على الرَّغم من أنَّهم يمكنُ أن يكونوا ملكيّين جميعهم. هذا ينطبقُ أيضاً على "النّاس الأشرار" الذين اعتبروا مريمَ كقوَّةٍ سماويَّة (وفقاً للثيؤطوكوس) وعلى النّاس المجهولين الذين سمعَ عنهم مؤلِّفُ تعاليم يعقوب أنَّ مريمَ كائنٌ سماويٌّ وزوجة الله. وُسِمَت عقيدة أصول مريم السَّماويّة بين الفينة والأخرى بأنَّها أوطيخيّة أو يوليانيّة، لكن ذلك يبدو غير صحيح كلّياً.

ينبغي للعقيدة أن تُحسَبَ على أوطيخا (توفي حوالي عام ٤٥٦) كان رأي أيقومونيوس في أواخر القرن السّادس وأوائل القرن السّابع، الذي كتبَ باللّغة اليونانيّة (ربّما) في الأناضول. كما أكَّدَ لقرَّائِه أنَّ مريمَ مُساوِية في الجوهر معنا، "عقيدة أوطيخا الآثمة، بأنَّ العذراءَ ذات جوهرٍ عجائبيٍّ مُختلِفٍ عنّا، جنباً إلى جنبٍ معَ عقائدِه الدّوسيتيّة الأخرى، ينبغي أن تُنبَذَ من المحاكم الإلهيَّة".[2] كانَ أوطيخا راهباً توحيديّاً لم ينل أيَّ تدريبٍ لاهوتيّ على ما يبدو، ولم يتمكَّن من إقناع نفسه بقبول وجود طبيعتَين للمسيح. ولم يُنكِر أنَّ طبيعتَين قد دخلا في خلقِه (على الرَّغم من أنَّه اعترضَ على تفسير الإله من حيثُ المفاهيم حولَ "الطّبيعة")؛ لكنَّه أصرَّ على أنَّه في جسد "الكلمة" انصهرَت الطبيعتَين، وهو لا

---

[1] كيرلس الزّائف، "عن العاطفة (α)"، في كامباغنانو، *Copte Omelie*، الفقرة ٦.

[2] أيقومونيوس، **تفسير عن سفر الرُّؤيا**، مُترجَم. جون ن. سوجيت (واشنطن، العاصمة، ٢٠٠٦)، ١٢ : ٢.

يؤكّد أنّ جسدَ المسيح كانَ مساوياً في الجوهر معنا: لم يكن جسدُ الإله جسداً بشرياً، كما قال. وفقاً لذلك، اتُّهِم بقول إنَّ المسيحَ قد اتَّخَذَ جسدَه من السَّماء، وهو ما وصفَه بنفسه بأنَّه اعتقادٌ مجنون.[١]

لكن، أن يتَّخذَ المسيحُ (ليس مريم) جسدَه من السَّماء كانَ رأياً قديماً. لقد ارتبطَ، من بين أمورٍ أخرى مع فالنتينوس الغنوصيّ (توفي ١٦٠)، وقد ثبتَ أنه من الصَّعب اجتثاثها. في سفر رؤيا بولس، وهو عملٌ يعودُ إلى القرن الرَّابع موجودٌ بعدَّة لغاتٍ، زارَ بولسُ (أو مريم، في النّسخة الإثيوبية) الجنَّة والجحيم، ورأى هوَّةً مُشتعِلةً في الجحيم مُمتلِئة بأناسٍ قالوا "إنَّ يسوعَ لو يأتي بجسدٍ ولم يولَد من مريمَ"، أي أنَّه لم يتلقَ جسدَه منها.[٢] كما عُرِّف شنودة (توفي ٤٦٥) من بين اللاعنين الذين أنكروا أنَّ المسيح وُلد من مريم، وبعد أربعة قرونٍ أخطرَ بولسُ الصقلّيّ (توفي ٨٧٠) رئيسَ أساقفة بلغاريا أنَّ البيالقة ادَّعوا بأنَّ المسيح جلبَ جسدَه من السماء، مُنكِرين أنَّه وُلد من مريم.[٣] لكن من الجلي أنَّه لم يكن ما آمنَ به أوطيخا.

---

[١] راجع جورج أ. بيفان وباتريك ت. ر. غري، "محاكمة أوطيخا: تفسير جديد"، *Byzantinische Zeitschrift* ١٠١ (٢٠٠٨): ٦١٧-٦٥٧، ولاسيَّما ٦١٩، ٦٣٣، ٦٣٨، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٥؛ فاسيليجي فرانيك، "خريستولوجيا أوطيخا في مجمع القسطنطينيَّة ٤٤٨"، *Philotheos* ٨ (٢٠٠٨): ٢٠٨-٢٢١. (زائف-؟) يدحضُ إسحق الأنطاكيّ أصولياً الرَّأي القائل بأنَّ المسيح قد جلبَ جسدَه معَه من الجنَّة في جداله ضدَّ أوطيخا (لاندرزدورفر، *Ausgewählte Schriften*، ١٤٤).

[٢] "سفر رؤيا بولس"، في إيليوت، *العهد الجديد المنحول*، ٦٣٧ (الفقرة ٤١)، معَ مقدَّمة للعمل؛ في بودج، *نصوص قبطيَّة متنوعة*، ١٠٦٦.

[٣] بطرس الصقلّيّ في تشارلز أستروك وآخرون، مُترجَم ومُحرَّر. "Les sources grecques pour l'histoire des Pauliciens d'Asie Mineure"، *Travaux et Mémoires* ٤ (١٩٧٠): ٣-٦٧؛ في جانيت وبرنارد هاميلتون، مُترجَم. *هرطقات مسيحية ثنائية في العالم*

من ناحيةٍ أخرى، إنَّ المذهب كان يولياني هو وجهة نظر العالِم الحديث ديرك كراوسمولر، الذي يعاملُها ببساطة على أنَّها بدَهيَّة حيثُ كانَ الناسُ الأشرارُ الذين ذكرَهم ثيودوسيوس "aphthartodoceticists".[1] كانَ جوليان من هاليكارناسوس (توفي بعد ٥٢٧) توحيدياً اعتبرَ أنَّ جسدَ المسيح كانَ غيرَ قابلٍ للفساد (aphthartos) من لحظة ولادته، ليسَ من القيامة فقط، حتَّى أنَّه لم يستطع أن يخطأ، وهي نقطةٌ غيرُ مثيرة للجدل، ولم يخضع لألمٍ أو موتٍ، ممّا يجعلُ العقيدة تبدو دوسيتية. إذا لم يمُت المسيح ويتألَّم، فبأيّ معنىً قد ماتَ من أجلنا؟ هل بدا أنَّه فعلَ ذلك فحسب؟ كانَ ذلك لأنَّ اليوليانيّين قد اقتيدوا إلى إنكار حقيقة التجسُّد حيثُ كانوا مُثقَلين بالاسم المرهَق "aphthartodoceticists".

ما لا يفسِّرُه أيقومونيوس وكراوسمولر هو كيفَ لعقيدةٍ مُتعلِّقة بجسد المسيح أن تُنقَل إلى مريم، لأنَّه لا أوطيخا ولا يوليان ولا أتباعهم قد سُجِّلوا على أنَّهم زعموا بأنَّ جسدَ مريم غيرُ قابلٍ للفساد، ناهيك عن أنَّها قد جاءَت من السَّماء. على العكس من ذلك، أكَّدَ أوطيخا بوضوحٍ أنَّ جسد العذراء كانَ مُساوياً لنا في الجوهر.[2] و إنكاره أنَّ ناسوت المسيحَ مساوٍ لنا لا يوحي بأنَّ

البيزنطيّ، عام ٦٥٠ – عام ١٤٥٠ (مانشيستر، ١٩٩٨)، ٦٣-٩٢، الفقرة ٣٩، راجع الفقرة ٢٢.

[1] ديرك كراوسمولر، "طيموثاوس الأنطاكيّ: مفاهيم بيزنطيَّة عن القيامة، الجزء ٢"، *Gouden Hoorn* ٥، الملحوظة ٢ (*كتاب* على شبكة الإنترنت غير مرقَّمة) ١١-٢٦، ٢٧-٢٨ في مطبوعاتي:
http://goudenhoorn.com/2011/11/28/timothy-of-antioch-byzantine-concepts-of-the-resurrection-part-2/.

[2] فرانيك، "خريستولوجيا أوطيخا"، ٢١٩-٢٢٠؛ راجع ثيودور بار كوني، *Livres des scolies (recension de Séert)*، مُحرَّر. أ. شير، Liber Scholiorum (csco ٥٥،

مريم كانَت كائناً سماويّاً أيضاً. وعلى العكس، إذا كانَ المسيح قد جلبَ جسدَه من السماء، لمَ ينبغي أن يُنظر إلى مريمَ على أنَّها أم الله، بل امرأة عادية كانت مُجرَّد قناة لدخول المسيح إلى هذا العالم، وهي النّقطة التي أكّدَها بعض البيالقة من خلال قبول فكرة أنَّه كانَ لديها أطفالٌ بعد ولادة المسيح.[1] عرضُ بار كوني أوطيخا يدَّعي في بعض الأحيان أنَّ المسيح دخلَ مريمَ من أذنها وخرجَ من خاصرتها، مؤكِّداً أنّها كانَت مُجرَّد قناة له، لكن هذا غير مرجَّح في الواقع: يبدو أنَّ ما قصده أوطيخا هو أنَّ المسيح قد أخذَ جسدَه البشريّ من أمّه، لكن الاتّحاد مع "الكلمة" قد قدّس جسدَه حيثُ اختلفَ عن أجسادنا من لحظة التجسّد.[2]

كانَ تمجيدُ مريم سمةً عامّة في المسيحيَّة البيزنطيّة في القرن السّادس، عندَما قبِلَ كلٌّ من المسيحيّين التوحيديّين والخلقيدونيَين أنَّه على الرّغم من ولادة مريم وموتها مثلها مثل البشر الآخرين، فجسدُها كان طاهراً جداً حتَّى أنَّه لن يتحلَّل بعدَ الموت: عندما ماتَت، نُقِل جسدُها إلى الجنَّة وإما اتحدت مع روحها، أو تُركِت تحتَ شجرة الحياة في انتظار القيامة.[3] لعلَّه من المُمكن افتراض أنَّ تعظيمَ مريم قد تسبَّب لها بأن تُصوَّر على أنَّها كائنٌ سماويٌّ أزليٌّ من خلال مُماثلَتها بالمسيح نفسه على المستوى الشّعبي. ولكن حتّى لو قبلنا هذا، فإنَّه لا يفسِّرُ كيفَ أصبحَ يُنظرُ إليها كملاكٍ أو رئيس ملائكةٍ بهيئةٍ بشرية، كما

٦٩/ Syr. ١٩، ٢٦) (باريس، ١٩١٠، ١٩١٢)؛ مُترجَم. ر. هسبيل ور. دراوت (csco ٤٣١-٤٣٢/ Syr. ١٨٧، ١٨٨) (لوفان، ١٩٨١-١٩٨٢)، الميمر ١١، ٨١.

[1] بطرس الصقلّي في أستروك وآخرون، "Les sources grecques"، الفقرة ٢٢.

[2] بار كوني، *Scolies*، ١١، ٨١؛ راجع فرانيك، "خريستولوجيا أوطيخا"، ٢١٩-٢٢٠.

[3] شوماكر، *روايات قديمة*، ١٩٨ و *passim*؛ كذلك راجع غريلماير، *المسيح في الرواية المسيحيَّة*، المجلَّد ٢، الفصل ٤، ٣٤٠، الملحوظة ١١؛ ٣٥٢-٣٥٣، الملحوظة ٤٥.

هي في العقيدة التي دحضَها "كيرلس". لقد اختفَت خريستولوجيا الملاك من المسيحيَّة من التيّار السائِد في شكلِها الملكيّ واليعقوبيّ والنسطوريّ على حدٍّ سواء بحلول زمن "كيرلس". كانَت سمة من سمات المسيحيَّة اليهوديّة من النوعِ الكسائيّ، وكما لوحِظ، أنَّ المسيح لا يزالُ يظهر على أنَّه "ملاكٌ عظيم" في كتاب استراحة مريم "*Liber Requiei*" الإثيوبيّ. باختصار، كانَ أتباعُ البدعة رسميّاً مسيحيّين من التيّار السائد، أو على الأقلّ كانوا يعيشونَ بينَهم؛ ولكن ربَّما كان "كيرلس" على حقّ بأنَّ البدعة كانت من أصلٍ مسيحيّ يهوديّ.

(الجزء الثّاني)

المسيحيّة اليهوديّة والقرآن

٨- المسيحيّون اليهود:

"كيرلس" (المُشار إليه فيما يلي بكيرلس الزَّائِف) هو مُؤلِّفٌ مُثيرٌ جداً للاهتمام، حيثُ يبدو مسيحيّاً يهوديّاً سابِقاً، كانَ يكتبُ لمسيحيّين يهودٍ آخرين (على أمل تحويلِهم إلى المسيحيّة السائِدة)، وكانّت مُعتقَداته ترجعُ إلى القرون الأولى من المسيحيّة. وقد نبدأُ بالإشارة إلى أنَّه يخرجُ من أسلوبه لربط نفسه ومراجعِه التَّشريعيّة ببيئةٍ مسيحيّةٍ يهوديّةٍ. وأكثر ما يلفتُ النّظر أنّه يخبرُنا بأنَّ الأساقفة الرَّابعَ عشرَ والخامسَ عشرَ "أساقفة الختان" في أورشليم، هم يوسف ويهوذا؛ وأعقبَهم مرقس، وهو الأسقف الأوّل الذي لم يكن من مواطنِي أورشليم[١]؛ وأنَّه هو نفسه أُحضرَه أبو يوسفَ إلى الكنيسة، الأسقف الرَّابع عشرَ بينهم[٢]. ولهذا يجبُ أن يكونَ مديوناً ليوسابيوس أو مرجع هذا الأخير (هيجيسيبوس، توفِي نحو ١٨٠)، حيثُ قدَّمَ يوسابيوس لنا قائمة الأساقفة "العبرانيّين" من أورشليم، والّذين كانَ منهم يوسف ويهوذا، الرَّابع عشرَ والخامسَ عشرَ، والأخير أيضاً: ثمَّ كانَ الأساقفة أمميّين (الأغيار من غير اليهود)[٣]. كانَ يوسابيوس يدعو أول أسقف أمميّ "Xystus " بدلاً من "مُرقَس"، ولكن الأهمّ من ذلك أنَّه يتحدَّثُ عن أساقِفة أورشليم منذُ زمنِ المسيح وحتّى ثورةِ بار كوخبا (١٣٢-١٣٦). وقد نقلَ كيرلس الزَّائِف آخر الأساقفة العبرانيّين إلى عهد قسطنطين (٣٠٦-٣٣٧)، عندما كانَ كيرلس

---

[١] كيرلس الزَّائِف، "عن الصَّليب"، في بودج، **نصوص قبطيَّة مُتنوِّعة**، الصَّفحات ٣١b، ٣٧b = ٧٩٩، ٨٠٥؛ كامباغنانو، *Copte Omelie*، الفقرة ٩٥ (من دون ذكر نهاية مرقس).

[٢] كيرلس الزَّائِف، "عن الصَّليب"، في بودج، **نصوص قبطيَّة مُتنوِّعة**، الصَّفحات b٣٢ = ٧٩٩؛ كامباغنانو، *Omelie Copte*، الفقرة ٩٥.

[٣] يوسابيوس، *Historia Ecclesiastica*، ٤. ٥. ١-١٢.

الأورشليميّ الأمّي نشطاً، ويتصوّرُ على ما يبدو جميع أساقفة أورشليم على أنّهم عبرانيّين منذ البداية وصولاً إلى زمن كيرلس الّذي كانَ ينتحلُ شخصيّته. وادّعى أنَّ الأساقفة العبرانيّين قد وصلوا إلى نهاية مع انتصار المسيحيّة تحتَ حكم قسطنطي، حيثُ قدَّمَ دور "كيرلس الأورشليميّ" (أي هو نفسه) كمسيحيّ تحول على يد الأسقف قبل الأخير "من أساقفة الختان". يقول صراحة عن نفسه أنه كانَ من أصل عبريّ.[١]

وكونه مسيحيَّاً يهوديَّاً سابِقاً بدلاً من يهوديٍ سابِقٍ، هو أمرٌ واضِحٌ من خلال تعامُله مع يوسيبوس وإيرينيئوس، اليهوديّ و المُؤلِّف المسيحيّ الأميّ على التوالي، حيثُ كانَ يستشهدُ بهما ويصفُهما معاً بـ"الحكماء العبرانيّين" و "العبرانيّين السَّابقين".[٢]

كانَ من بين النّقاط الّتي قدَّمَها عن يوسيبوس وإيرينيئوس، العبرانيَّين السابقَين، كمراجعٍ قانونيّة أو تشريعيّة أنَّ مريم تنحدرُ "من اليهود، من قبيلة

---

[١] كيرلس الزَّائِف، "عن العذراء"، في كامباغنانو، *Copte Omelie*، الفقرة ١٢؛ بومبيك، "كيرلس الزَّائِف"، الفقرة ١٢ ("يوسيفوس وإيرينيئوس يهود سابقون مثلي") . وترجم بودج على نحو مُختلف: " يوسيفوس وإيرينيئوس وأولئك اليهود الذين استقصيتُ عنهم لأمور تخصُّني (**نصوص قبطيَّة مُتنوِّعة**، الصفحة a٥ = ٦٣٠)، لكن يلخِّصُ أورلاندي،"Cirillo"، ١٠٠، العظة وفقاً لمخطوطة المكتبة البريطانية ذاتها التي استخدمَها بودج، كذلك "يهود سابقون مثلي".

[٢] راجع كيرلس الزَّائِف، "عنِ العذراء"، في كامباغنانو، *Copte Omelie*، الفقرة ٣٩ ("يوسيفوس وإيرينيئوس يهوداً سابقين مثلي")؛ وبشكلٍ مُشابه بومبيك، "كيرلس الزَّائِف"، الفقرة ٣٩ (الناس ذوو الأصول اليهودية")؛ بودج، **نصوص قَبطيَّة مُتنوِّعة**، الصّفحة ١٨b = ٨٧١ ("يوسيفوس وإيرينيئوس وغيرهم من المؤرّخين"). كذلك في نسخة كامباغنانو "يهوداً سابقين" (الفقرة ٤٩)، و"إيرينيئوس وفيلو" (الفقرة ٦٠، حيث من المُفترَض أنَّ فيلو هي اختصار لفيليمون).

داؤود".[١] وفي الواقع، تقولُ مريمُ نفسُها لكيرلس الزَّائِف بأنَّها من سلالة داؤود، أو **الفارقليط** [المعين]، للإشارة إلى الرّوح القدس، الذي يملأُ قلبَ كيرلس بهذه المعرفة بعدَ أن ناشدَه كيرلس للكشفِ عن حقيقة الأمر ضدَّ الهراطِقة المُلحدين الّذين يدَّعون بأنّ لها قوَّةً إلهيّة.[٢] وهنا كما هو الحال في التّعاليم اليعقوبيّة، يتمّ حشد أصلها الداؤوديّ ضدَّ الرّأي القائلَ إنّها كانَت شخصيَّة سماويّة[٣]؛ وكما تضعُ **التّعاليم اليعقوبيّة** المعلومات في فم اليهود، لذلك يعزوها كيرلس الزَّائِف إلى العبرانيّين، أو العبرانيّين السابقين. وبعبارة أخرى، يبدو أنَّ كلا المُؤَلِّفَين يكتبان لجمهورٍ كانت المراجع التشريعيّة اليهوديّة / العبريّة أكثر إقناعاً لهم من تلك المسيحيّة الأمميّة، على الرَّغم من أنّهم كانوا مسيحيّين أمميّين من حيثُ المبدأ. قد يكون كيرلس الزَّائِف كتبَ في الوقت نفسه الّذي كتبَ فيه مُؤلِّف التّعاليم اليعقوبيّة، ومن المنطقي تخمين أنّه في كلتا الحالتَين كانَت الخلفيّة هي تحويل هرقل القسريّ لليهود (وبالتالي المسيحيّين اليهود أيضاً) بعد إعادةِ فتحِه القدسَ في عام ٦٢٨. ولكن في حين كانَت **التّعاليم اليعقوبيّة** تستشهدُ بالحاخامات كمَراجعَ تشريعيّةٍ، يربطُ حُرّاس كيرلس الزَّائِف، يوسيپوس وإيرينيئوس خصومَه بهرطوقيّين مثل كربوقراط

[١] كيرلس الزَّائِف، "عن العذراء"، في بودج، **نصوص قبطيَّة مُتنوِّعة**، الصّفحة ٥a = ٦٣٠؛ كامباغنانو، *Omelie Copte*، الفقرة ١٢؛ بومبيك، "كيرلس الزَّائِف"، الفقرة ١٢.
[٢] كيرلس الزَّائِف، "عن العذراء"، في بودج، **نصوص قبطيَّة مُتنوِّعة**، الصّفحة ٣a– ٤a = ٦٢٨–٦٢٩؛ كامباغنانو، *Copte Omelie*، الفقرة ٧–١٠؛ بومبيك، "كيرلس الزَّائِف"، الفقرة ٧–١٠. يبتهلُ كيرلس إلى الرّوح القدس [فارقليط وهو مُصطلَح يونانيّ كويني يعني المعين، استخدمَ في العهد الجديد للإشارة إلى الرّوح القدس في المسيحيّة] في النسخ الثلاثة كلها، لكن لم تتحدَّث ماري إلا في اثنَين منها، فالاستثناء موجود في نسخة بومبيك.
[٣] راجع *Doctrina Iacobi*، ٢، ٤٢ (نوقِشَت في الفصل الأول من هذه المقالة في الصَّفحة ٢٥١ [٢٧٢–٢٧٣]).

وإبيون، مما يوحي بأن جمهوره يتألف من مسيحيّين يهود منذُ زمن طويل، مع جذورٍ عميقةٍ جداً.

يبدو في واقعِ الأمر، أنَّ كيرلس الزَّائِف يعرفُ كربوقراط من التّقاليد الحيَّة، لأنَّ أناريخوس صوَّرَه على أنَّه طردَ الشياطين، وهو أمرٌ غيرُ معروف للأدب الآبائي.[١] كما أنَّه يُجادِلُ ضدَّه في موعظتِه عن الآلام (آلام المسيح)، ويخاطبُه كيهوديٍّ ويدينُه بالرَّأي القائل إنَّ المسيح لم يكن ليعلَم أنَّ الخلَّ الّذي عُرِضَ عليه على الصَّليب كانَ خلًّا ما لم يتذوَّقه.[٢] ويبدو أنَّ هذه النّقطة، الّتي عارضَها كيرلس الزَّائِف، موجَّهة ضدَّ ادّعاء إفرام بأنَّ المسيح " لم يتذوَّق" الخلّ،[٣] وهذا أيضاً أمر غير معروف للأدب الآبائي.

كما لحظنا، يؤكِّدُ كيرلس الزَّائِف أنَّ مريم كانَت من قبيلة يهوذا وبيت داؤود، وذلك ضدَّ وجهة النظر أنَّها كانَت شخصيَّة سماويّة.[٤] وفي الواقع، كثيراً ما يذكرُ لها نسب داؤود. لكنَّه يقول أيضاً أنَّ جدَّ مريمَ سمعَ صوتاً يقولُ: "**يا هارون، سيخرجُ مُخلِّصُ إسرائيل من ذرّيتك**".[٥] وهنا نجدُ العذراء هارونيّة، وإقراراً ضمنياً بقربة العذراء من أليصابات في الأناجيل، وارتباطاً

---

[١] كيرلس الزَّائِف، "عن العذراء"، في بودج، **نصوص قبطيَّة مُتنوِّعة**، الصَّفحة ١a = ٦٢٧؛ كامباغنانو، *Omelie Copte*، الفقرة ٢٧؛ بومبيك، "كيرلس الزَّائِف"، الفقرة ٢٧.

[٢] كيرلس الزَّائِف، "عن العاطفة (α)"، في كامباغنانو، *Copte Omelie*، الفقرة ٢٢–٢٣.

[٣] اقتبس إفرايم عن بينس، "اقتباسات الإنجيل"، ٢١٩.

[٤] ينظر المراجع الواردة أعلاه، الملحوظات ٢٣٠ و ٢٣١.

[٥] كيرلس الزَّائِف، "عن العذراء"، في بودج، **نصوص قبطيَّة مُتنوِّعة**، الصَّفحة ٦a = ٦٣١؛ كامباغنانو، *Omelie Copte*، الفقرة ١٤؛ بومبيك، "كيرلس الزَّائِف"، الفقرة ١٤، هنا "داؤود بن هارون"، مُحاوَلة غير مُتقنَة نحوَ المُواءَمة.

بفكرة المسيح الهارونيّ الموجود في مَخطوطات البحر الميّت، و شهادات الآباء الاثني عشرَ الّتي تنعكسُ أيضاً في القرآن **(انظر أدناه، رقم ١٢).**

وهذا يدلُّ على أنَّ جذورَ موعظةِ كيرلس الزَّائِف، وتلكَ القرآنيّة أيضاً، هي جذورٌ قديمة جدّاً. ويمكنُ أن يُضافَ تحديد كيرلس الزَّائِف موقعَ التَّجلّي على جبل الزَّيتون من بين أمورٍ أخرى لأنّ كلاً من أوريجانوس وكيرلس الأورشليميّ الحقيقيّ قد عرفاه هناك(١)، وذلك مُتوافِقٌ مع زائرٍ للأماكن المُقدَّسة من بوردو في عام **٣٣٣**، وليسَ على جبل طابور، الّذي حصلَ على تأييد عالميّ كموقعٍ بحلول القرن السّادس أو السّابع.

وعلى العموم، كانَت موعظةُ كيرلس الزَّائِف، ولاسيّما الموعظة عن مريم، تُقرَأ وكأنَّها مُقتطَفات من كتاباتٍ مسيحيّةٍ يهوديّةٍ أُعيدَ صياغتُها على عجلٍ لإقناع المسيحيّين اليهود بحقيقة الاتّجاه المسيحيّ السّائد. ولا شكَّ في أنَّ كيرلس الزَّائِفَ عاشَ في وسطٍ كانَ فيه وجودٌ حقيقيٌّ للمسيحيّين اليهود من النّوع الخريستولوجي العالي.

كان المسيحيّون اليهود من النّوع السابق من قال: إن الله كانَ ثالثَ ثلاثةٍ وفقاً للقرآن، وقد وصفَهم قتادة بـ "**الإسرائيليّة ملوك النَّصارى**". وعلينا أيضاً أن نتحدَّثَ عن الإسرائيليّين بدلاً من المسيحيّين اليهود (على الرَّغم من أنّ المُصطلَحات القياسيّة تفوزُ في المُمارسة العمليّة دائماً)، لأنَّ أحد الرجال الّذين تفاخَرَ كيرلس الزَّائِف بأنّه عُمِّد لم يكن يهوديّاً، بل سامريّاً يدعى إسحَق، من

---

(١) كيرلس الأورشليميّ، **المسيحية والتعليم** (مُترجَم. إدوارد يارنولد، **كيرلس الأورشليمي** [لندن، ٢٠٠٠])، ١٢ : ١٦؛ أوريجانوس، ينظر اعلاه، الفصل ١، الملحوظة ١٨٩.

Joppa يافا، والّذي يُفترَضُ أن كيرلس الزَّائِف حوَّلَه إلى المسيحيّة جنباً إلى جنبٍ معَ سامريّين آخرين.

إنَّ كيرلس الزَّائِف يسخرُ من السَّامريّين غير المُتحوّلين لعدم إيمانهم في "صليب الله"،[١] ويستشهدُ بإسحَق على أنّه مُتَشبّث، قبلَ تحوُّلِه، بأنَّ "ابنَ مريم كانَ نبيَّ الله"، كما شرحَ الصَّلب من الناحية الدّوسيتيّة (راجع أدناه، رقم ١٠).[٢] وهذا السَّامريّ إذاً، يجبُ أن يكونَ سامريّاً مَسيحيّاً[٣]. وبما أنَّ أيّاً من هذين المُعتقَدين لم يرِد ذكرُه في تفنيد آرائِه أو في قصَّة تحويلِه الآتي ذكرُها، فإنَّ ذلك يبدو أيضاً من مصدرٍ سابق. أي أنّ "ابن مريم" كانَ نبيّاً لله بدلاً من ابنه وهي وجهةُ نظرٍ واجهناها حَوْل أولئك الإبيونيّين الذين قاوموا تَّملّق الكسائيّ (الجزء الأوّل، رقم ٥). كما كانت وجهة نظر رسول القرآن (راجع أدناه، رقم ٩)، الّذي شرحَ أيضاً الصّلب من النّاحية الدوسيتيّة (انظر أدناه، رقم ١٠).

باختصارٍ، كانَ كيرلس الزَّائِف على درايةٍ بالمسيحيّين الإسرائيليّين الأحياء في ذلك العصر، ومعظمُهم من النوع الغنوصيّ، ولكن على الأقلّ كانَ بينَهم نصيرٌ واحدٌ للخريستولوجيا. وهناك قدرٌ كبيرٌ ممَّا يقولُه في مواعِظه يأتي من مصادرَ سابقةٍ قبلَ ذلك بكثير؛ وقد يكونُ مُحِقّاً في أنَّ الكتاب المُقدَّس المسيحيّ

---

[١] كيرلس الزَّائِف، "عن العذراء"، في بودج، **نصوص قبطيَّة مُتنوِّعة**، الصّفحة ٢^{a} = ٦٢٧؛ كامباغنانو، *Omelie Copte*، الفقرة ٥؛ بومبيك، "كيرلس الزَّائِف"، الفقرة ٥؛ كيرلس الزَّائِف، "عن الصّليب"، في بودج، الصفحات ٦^{b} – ١٥^{b} = ٧٦٦ – ٧٧٦؛ كامباغنانو، الفقرات ١٤ – ٤٠.

[٢] كيرلس الزَّائِف، "عن الصّليب"، في بودج، **نصوص قبطيَّة مُتنوِّعة**، الصفحة ٨^{a} = ٧٦٨؛ كامباغنانو، *Omelie Copte*، الفقرة ١٧.

[٣] راجع ألان د. كراون، راينهارد بومر، وأبراهام تال، مُحرَّرون. **دليل إلى الدراسات السّامريّة** (توبينغن، ١٩٩٣)، المدخل "يسوع" (نهاية)، حيثُ إنَّ وجودَ السّامريين بحدّ ذاته لا يزالُ تخمينياً.

اليهوديّ كانَ يُتداوَلُ في منطقةِ غزَّة. كانَت غزَّة منطقة يرتادُها أهلُ قريش وفقاً للرّوايات، وكانَ كيرلس الزَّائِف يكتبُ قبلَ أو بعدَ وقتٍ قصيرٍ من ظهورِ الإسلام. ومعَ أنَّه لا يقولُ في أيِّ لغةٍ كتِبَ بها الإنجيلُ، ولكن كانَ يمكنُ أن تكونَ اللّغة "العبريّة" (أي الآراميّة).[١] إذا كانَ "إنجيل" الهارونيّين باللّغة "العبريّة"، وكانَ يمكنُ أن يكونَ اسْتناداً للإنجيل نفسه الذي أدّى إلى اعتقادِ خصوم الرّسول المسيحيّين بأنَّ يسوعَ ومريمَ مثل الملائِكة لم يأكلوا أو يشربوا: كما رأينا، ذُكِر أنَّ ورقةَ بن نوفل، ابن عم خديجة، قد نسخ إنجيلاً مكتوباً "باللّغة العبريّة".[٢] وإذا كانَ كيرلس الزَّائِف قد تمسَّكَ بالكتابة بعدَ بدايةِ الفتوحات، فربَّما كانَ الإنجيل مُتوافِراً في منطقةِ غزَّة بفضل العرب الغُزاة، وربَّما بفضلهم أيضاً أصبحَ هناكَ "مؤمنونَ يهود" في القدس في زمنِ مُعاوية (إلاّ إذا كانَ ذلكَ بمعنى أنَّ الفتحَ الإسلاميَّ قد سمحَ لهم بالظّهور فجأة). لكن ذلك مُجرَّد تخمين صريح. وقد يكونُ ذلك، فمِن الواضحِ أنَّ المسألة لم تكن في أنَّ "المؤمنين اليهود" قد اختفوا نحوَ عام ٤٠٠.

٩- كانَ يسوعُ نبيّاً، ولكن ليسَ ابنَ الله:

وهذا يتركُنا مع المسيحيّين اليهود من النَّوع الخريستولوجي الأدنى. ففي القرآن، يُقبَلُ يسوعُ كنبيّ (سورة مريم، الآية ٣٠؛ و ضمناً في العديد من المقاطع الأخرى أيضاً)، ورسول (سورة آل عمران، الآية ٤٩؛ سورة النساء،

---

[١] يعتقدُ فان دن بروك، "كيرلس"، ١٤٤، أنَّ العظات هي تراكيبُ أصليّةٌ باللّغة القبطيَّة ذلك أنَّ أيّاً منهم لم يُعرَف باللغة اليونانيَّة، بيدَ أنَّه لم يفكّر بإمكانيَّة تأليفها باللّغة الآراميَّة. بالنّسبة للّغة العبريَّة بمعنى الآراميّة، يُنظر أعلاه الفصل ١، الملحوظة ٥٥.

[٢] البخاري ومُسلم في سبرينجر، *Leben*، ١: ١٢٨.

الآية ١٥٧، ١٧١؛ سورة الصف، الآية ٦)، وعَبْد لله (سورة النساء، الآية ١٧٢؛ سورة مريم، الآية ٣٠؛ سورة الزخرف، الآية ٥٩)، والكلمة (سورة آل عمران، الآية ٤٥، ١٧١)، والمسيح (أحد عشر فقرة بالإجمال، مدنيّة كلّها)،[1] ولكن ليس ابناً لله أو إلهيّاً. وهو يختلفُ عن كلِّ الرُّسل في القرآن في طريقة ولادتِه (راجع أدناه، رقم ١١)، وفي ذلك يرسلُ كمثالٍ، كما في قولِه: {**إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ**} (سورة الزّخرف، الآية ٥٩) أو آية ورحمة، كما في قوله: {**قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا**} **(سورة مريم، الآية ٢١)**؛ في الواقع، كانَ هو وأمّه في آيَة **(سورة المؤمنون، الآية ٥٠)**. و يسوعُ أيضاً هو الرّسول الوحيد الّذي لم يقدَّم باعتبارِه "نذيراً". لقد كانَ يَعظُ بالتّوحيد كما رأينا، ويهدد المُشرِكين بالنَّار أيضاً **(سورة المائدة، الآية ٧٢)**، لكنَّه لم يُبعَث لتحذير بني إسرائيل من عذابِهم المُحْدِق أو يدعو شعبَه إلى اللُّجوء إلى الله قبلَ فواتِ الأوان. بدلاً من ذلك، يُبعَثُ لتأكيد التَّوراة، كما رأينا **(الجزء الأول، رقم ٤)**، وتوضيح بعض الأشياء، لكن مهمّته عمليّاً زادَت الخِلاف فقط **(سورة الزخرف، الآيات ٦٣–٦٥)**. كانَ هذا خطأً من الظَّالِمين، وهذا يعني فرضاً أنَّ كلَّ أولئك إمَّا رفضوه أو اتَّجهوا إلى التَّطرُّف في تأليهه بدلاً من التّمسُّك بالحقيقة الواضِحة، لأنَّ يسوعَ نفسَه أعلنَ صراحةً أنَّه كانَ عَبْدَ الله **(سورة مريم، الآية٣٠)** وإنَّ اللهَ ربُّه، كما في قوله: {**إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**} **(سورة آل عمران، الآية ٥١)**. لقد

[1] بالنّسبة للفقرات التي تتعلَّق بالألقاب الأربعة مع المُناقشة، ينظر باريندر، **يسوع في القرآن**، ٣٠-٤٨.

كانَ مخلوقاً مثل آدم، الذي خلقه الله من تُرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ "كُن!" **(سورة آل عمران، الآية ٥٩)**.

إنَّ الإنكارَ القرآني لألوهيَّة المسيح هو إرثٌ مسيحيٌّ يهوديٌّ تمَّ الإشارةُ إليه سابقاً،[1] وهو أبسطُ تفسيرٍ بالتّأكيد. لكن ليسَ من السُّهولة إثباتُه. وعلى عكس التُّراث، فإنَّ القرآنَ لا يميّزُ أبداً بينَ المسيحيّين المُؤمنين الذّين ظلّوا مُخلِصينَ لرسالة يسوعَ، والمَسيحيّين الكذبة الَّذين أفسدوا تلك الرّسالة من خلالِ تحويل يسوعَ لإلهٍ.[2] ونحنُ نسمعُ فقط عن أولئك الذين حصلوا على الأشياء الخاطِئة، إمَّا من خلال تأليهه أو رفضه. ولا يتمسَّكُ أيٌّ من مُستلِمي الرّسالة السَّابقة بالإشادة بأنَّ يسوعَ كانَ مُجرَّدَ رجلٍ، ولا نجدُ أدلّة غيرَ مُباشَرة على هذا الرَّأي في تصريحات مَنسوبة إلى الوثنيّين. بل على العكس، هم أيضاً – أو بعض منهم– اعتبروا أنَّ يسوعَ شخصيَّة إلهيّة أمراً بدَهيَّاً او مُسلَّماً بِهِ: **"وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ [يسوع، ابْنُ مَرْيَمَ]؟"**، كما في قولِه: {**وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**} **(سورة الزّخرف، الآية ٥٨)**. ويذكرُ القرآنُ أهلَ الكتابِ الّذين آمنوا في وُحِيّ الرُّسل، وهكذا لا

---

[1] شوبس، *Theologie*، ٣٣٨–٣٣٩؛ بينس، "ملحوظات"، ١٣٩.

[2] راجع الطبريّ، **جامع**، الفصل ٢٨، في ٦١: ١٤، حيثُ ينقسمُ المسيحيُّون إلى اليعاقِبة، والنَّساطِرة، ومُسلِمين بعدَ موتِ المسيح، وقد اضطُهد المسلمين حتَّى زمن محمَّد، حينما أصبحوا ظافرين؛ وبالمثلِ فخر الدّين الرازيّ، **تفسير**، في ٦١: ١٤؛ كذلك راجَعَ سليمان بشير، "القرآن ٢: ١١٤ والقدس"، **نشرة كلّية الدّراسات الشّرقيَّة والأفريقيَّة** ٥٢ (١٩٨٩): ٢٢١، عن الّذين مُنعوا من ذكر اسم الله في مساجِده. هناك نسخٌ لا حصرَ لها حولَ قصَّة الانقسام التي تسبَّبت في اضطهاد الإسرائيليّين / شعب الإسلام، البعض مع والبعض ضدَّ بولس باعتباره شريراً، في **تفسير** وغيره من الأعمال المُماثِلة، المُبكِّرة والمُتأخِّرة على حدٍّ سواء، بكلا اللّغتين العربيَّة والفارسيَّة. سيكونُ من الجيد لو أنَّ شخصاً ما يجمعُها.

بُدَّ مِن الافتراض بأنَّه شاركَ رأيه بيسوعَ،[١] ولكن من المُستحيل إثباتُ ما إذا كانوا قد فعلوا ذلكَ قبلَ أن يكونوا عُرْضَةً لرسالة الرّسول. و سيكونُ ذلك موجوداً وسطَ أهل الكتاب المؤمنين، إذا كانَ المسيحيّون اليهود من النوع الخريستولوجي الأدنى موجودين في الواقع في مدينة الرّسول، على الأقلّ بعد ظهوره.

وإلى حَدٍّ بَعيدٍ كانَت أقوى الأسباب الّتي دفعَت إلى افتراض أنّ المسيحيِّين اليهود من النَّوع الخريستولوجي الأدنى موجودين في مَوْطِنِ الرّسول، هي أن وجهة نظر الرّسول عن يسوع باعتباره نبيّاً بشريّاً عاديّاً، كانَت وجهة نظر غير عادية حتَّى في زمنه، ولا يوجدُ أيّ سابقة أخرى معقولة أو منطقيّة. وخلافاً لما يقالُ في كثير من الأحيان، فإنَّ التَعَالِيم القرآنيّة عن يسوعَ لا يمكنُ أن تنموَ من جذور آريوسيّة أو نسطوريّة. لقد تمسَّكَ كلُّ المسيحيّين الأغيار (غير اليهود) بأنَّ يسوعَ شخصيّة إلهيّة على الرَّغم من أنّهم في بعض الأحيان جعلوا يسوعَ في مرتبةٍ أدنى من الله بُغْيَة صَوْنِ توحيدهم، ويختلفون بشدةٍ دائماً حول الطريقة الّتي اتحدت من خلالها العناصر البشريّة والإلهيّة فيه. يقتبسُ أوشانيسي فقرة مُعَادِية للآريوسيّة من ألكسندر، أسقف الإسكندرية (توفى ٣٢٦ أو ٣٢٨)، والّتي تتَّفقُ فيما يبدو مع الموقفِ الذي اتُّخذَ في القرآن:

> **اقتباسات الأسقف عن تَمَسُّك آريوس بأنَّ كلمة الله لم يكن موجوداً دائماً، ولكنّه خُلق من العدم؛ إنّ هذا المَدْعُوّ "ابن" هو**

---

[١] راجع كرونة، "العرب الوثنيّون وعباد الله"، لقد استُشهد بالعديد من المقاطع من الحقبة المدنيَّة في سياقٍ مُختلِفٍ من خلال فريد م. دونر، "من المؤمنين إلى المُسلِمين"، **الأبحاث** ٥٠-٥١ (٢٠٠٢-٢٠٠٣): ٩-٥٣؛ كذلك راجع دونر، **محمّد والمؤمنين** (كامبريدج، ماساتشوستس، ٢٠١٠).

مخلوقٌ وكائنٌ حيٌّ؛ إنّه ليسَ مثل الأب في جوهره إطلاقاً، ولا كلمته الحقّ، ولا حكمته الحقّ، ولكنَّه أحدَ تلك الأشياء الّتي تمَّ إنشاؤها وخلقُها.[1]

ويتماشى هذا في الواقع مع القرآن تماماً، ولكن إذا تمّت قراءَته بعزلةٍ فقط. والإشارة هنا إلى الكلمة، الكلمة السّماويَّة الّتي بها خلق الله كل شيء، والّتي كانَ مُقرَّراً أن تولَد كيسوعَ. وهذه الكلمة أو الابن كانَ في الواقع كائِناً مخلوقاً في رأي أريوس، ولكنّه خُلق قبلَ وقتٍ طويلٍ من بدأ تاريخ البشريّة، وكانَ بالتأكيد إلهيّاً، كما قالَ أسقفٌ أريوسيّ: إنّ الخالق غير المولود ولّد "الله المولود الوحيد"، والّذي لم يُخف أبداً أنّ "هذا الله هو في مرتبة ثانويّة".[2] ويبدو بصورةٍ جليَّةٍ أنَّ أريوس لم يعتقد أنَّ الألوهيّة تتطلَّبُ ما يسبقُ الخلود. لقد أصبحَ أريوس مُهرطِقاً بسبب رأيه عن المسيح، كلمة الله، كمخلوقٍ: و وفقاً لمسيحيّي نيقية، كما قال مار يعقوب السروجيّ، كانَ المسيح أَزَليّاً موجوداً قبلَ كلّ الدهور.[3] ولا يوجد هنا سوى التشابُه الأكثر سطحيَّة مع النَّظرة القرآنيّة عن يسوعَ.

ولا يمكنُ لوجهة نظرِ الرّسول عن المسيح أن تكونَ مُتجذِّرة في النَّسطورية أيضاً. حيثُ كانَ هناك تراثٌ ضخمٌ عن مُضيفٍ خرستولوجي في المسيحيَّة السّريانيّة الشّرقيّة، وهو من النّوع الذي يؤلِّهُ المُضيفَ (الجسد

---

[1] توماس ج. أوشانيسي، **كلمة الله في القرآن**، ٢٢.

[2] رسالة من أوكستنيوس في روجر غريسون، مُحرَّر. *Arriana Latina Scripta*، الجزء ١ (تورنهاوت، ١٩٨٢)، الفقرات ٢٥-٢٦؛ بيتر هيذر وجون ماثيوز، مُترجَم. **القوط في القرن الرّابع** (ليفربول، ١٩٩١)، ١٣٧-١٣٨ (شكري لأسحَق هين على هذا المرجع).

[3] يعقوب السروجيّ، **عن والدة الله**، ٦٤٠ = ٤٣ (العظة ٢).

البشريّ). وقد اتُّهم نسطور بقبولِ يسوعَ على أنَّه مُجرَّد "قابل لله"، وواصلَ المسيحيُّون السّريان الشَّرقيّون التّأكيد على الطبيعة الإلهيَّة والبشريَّة المُنفصِلة في المسيح على أسسٍ غيرِ مقبولةٍ للمسيحيّين من فئاتٍ أخرى.[1] وخلافاً لِما ادَّعى خصومُهم بِانْتِظام، لا يعني هذا بأيّ حالٍ من الأحوال إنكارِ لاهوتِ المسيح.[2]

رَضِيَ المونوفيزيُون والدّيوفيزيّون على حدٍّ سواء بالقانون النيقاويّ (عقد في عام ٣٢٥م)، الذي عَرّف المسيح أنَّه مساوٍ لله في الجوهر. وقد شُطِب المتهوّدون، والتبعيّون (أتباع مذهب التبعيَّة الأقنوميَّة)، والمونارخيّون، والأريوسيّون، والنّساطرة، وكثير غيرهم من المسيحيّين الأغيار (تحتَ أسماء مُعقَّدة) كما الزَّنادِقة لما بدا لأولئك في السلطة من إعطاء المسيح أقلّ ممَّا استحقَّ، وتمسَّك بعضُ المسيحيّين بأنَّ محمَّد قد تمّ تعليمه من قِبل راهبٍ أريوسيّ أو نسطوريّ.[3] ولكن ينبغي على العلماء العصريّين أن يفعلوا أفضلَ

---

[1] سيباستيان بول بروك، "خريستولوجيا كنيسة الشَّرق"، في كتابه **النَّار من السّماء**، الملحوظة ٣، ١٥٩-١٧٩؛ كذلك راجع بروك، "خريستولوجيا كنيسة المَشرق في المجامع من القرن الخامس إلى أوائل القرن السابع: موادّ واعتبارات أوليّة"، في **دراساته في المسيحيَّة السّريانيَّة: التاريخ والأدب واللّاهوت** (Ashgate، ١٩٩٢)، الملحوظة ١٢؛ كرونة، Nativist Prophets، ٣٠١-٣٠٣.

[2] راجع التّهمة في *Martyrium Arethae* حيثُ يعتقدُ النّساطرة أنَّ المسيحَ مُجرَّد نبيّ (استُشهد بها في ألويس غريلماير، **المسيح في الرّواية المسيحيَّة**، الطبعة الثَّانية [أطلنطا، ١٩٧٥-١٩٩٦]، المُجلَّد ٢، الفصل ٦، ٣٢١). وبالمثل كتبَ إسحَق الأنطاكيّ (he it is if)) ضدَّ نسطور مُتَّهِماً إياه باعتقادِه أنَّ المسيحَ مُجَرَّدُ رجلٍ (لاندرزدورفر، *Ausgewählte Schriften*، ١٤١-١٤٢)؛ كذلك راجع فرانك فان دير فيلدن، " Konvergenztexte syrischer und arabischer Christologie: Stufen der Textentwicklung von Sure 3, 33-64"، *Oriens Christianus* ٩١ (٢٠٠١): ١٨٩، ١٩٠n.

[3] ينظر كريستينا زيلاغي، "مُحمَّد والرَّهب"، **دراسات القدس في اللغة العربيّة والإسلام** ٣٤ (٢٠٠٨): ٢٠٠؛ **موسوعة الإسلام**، الطبعة الثانية، المدخل. "بحيرة" (A. Abel).

من ذلك. حيثُ لم يكن هناك ببساطة أي سابقة مسيحيّة غير يهوديّة لدعم الحالة الإنسانيّة البحتة ليسوعَ مثل حقيقة أنَّ جميعَ أنصارِ يسوعَ عليهم أن يعترفوا.

وربّما ليس هناك حاجةٌ إلى سابقة. حيثُ إنَّ العديد من المسيحيّين قد اضطربوا بصورة شخصيَّة في عقيدة ألوهيّة يسوع، ومن المُمكن أنَّ الرّسول كانَ من بين أولئك الذين راودَهم الشّكّ حول ذلك من تلقاء أنفسهم. وفي أوائل الحقبة الأوروبيّة الحديثة، تشكَّلَت حركةٌ كامِلة ضدَّ الثالوث من قِبل ما يسمَّى بأتباع سوسينوس، والذي يبدو أنَّهم كانوا أوّل من افترضَ وجود صلة تاريخيّة بين المسيحيّة اليهوديّة والإسلام (والذين اعربوا عن أملِهم في تلقّي دعم المُسلمين).[1] وقد افترضوا وجود الصّلة لأنَّ لديهم مصلحة في ذلك، ولكن لا يتعيَّنُ على المرء أن يكونَ من أتباع سوسينوس ليرى أنَّهم كانوا على شيءٍ من الحقيقة: إن لم يكن الرّسول قد ورثَ وجهةَ النّظر المسيحيّة اليهوديّة عن يسوعَ، فإنَّه بالتأكيد أعادَ اختراعها؛ وعلى الرَّغم من أنَّ القرآن لا يطابقُ الإسلام مع المسيحيّة اليهوديّة، لكن الروايات تؤكِّدُ على ذلك.[2] حتى

---

[1] راجع مارتن مولسو وجان رولز، مُحرَّران، **السوسينيانية والأرمينيوسية: اللاثالوثيّون، الكالفينيّون، والتبادُل الثقافيّ في أوروبا في القرن السابع عشر** (لايدن، ٢٠٠٥)، ولاسيّما ٥٨-٥٩، ١٥٣؛ مارتن مولسو، "السوسينيانيّة والاستعمالات الجوهرية للمعرفة العربية"، **القنطرة** ٣١ (٢٠١٠): ٥٤٩-٥٨٦، مع المزيد من المراجع.

[2] يُنظر على سبيل المثال، الطبريّ، **جامع**، الفصل ٢٨، ٢٩، في ٦١: ١٤، عندما توفي يسوعُ، انقسمَ المسيحيّون إلى اليعاقبة، والنساطرة، ومجموعة استمرَّت في اعتبار يسوع كعبدٍ عاديٍّ لله وهم المسلمونَ. فيما يتعلّق بالروايات التي تربطُ هذ التطوُّر بتحريف بولس للمسيحيَّة، ينظر المقالات المكتوبة من بينس في الفصل ١، الملحوظة ١٣؛ شون أنطوني، "رواية سيف بن عمر عن الملك بولس وتحريف المسيحيّة القديمة"، **الإسلام** ٨٥/١ (٢٠٠٨): ١٦٤-٢٠٢. يوجد العديد من القصص من هذا النوع.

أنَّ مُقاتِل تحدَّثَ عن "كفّار بني إسرائيل" الذين قتلوا مؤمنيهم، وسبوهم وأخرجوهم من ديارهم.[1]

وبما أنَّ الرّسول يقدِّمُ يسوعَ كنبيّ بُعِث إلى بني إسرائيل ويعامَل موسى إلى حدٍّ بعيدٍ بأهمّيةٍ أكبرَ من الاثنين، فإنَّ المرءَ يشتبهُ في أنّ الروايات هي الحقّ، أو بمعنى آخر أنّ الرّسولَ ورثَ المفهوم عن يسوع باعتباره نبيّاً إنسانيّاً تماماً من المسيحيّين اليهود. ولا يناقشُ غريفِث هذا السّؤال، وهو الذي يصرُّ على أنَّ الاتّجاه المسيحيّ السَّائد ينعكسُ في القرآن فقط.

١٠- دوسيتية الصلب:

و وفقاً للآية ١٥٧ من سورة النساء، ادَّعى اليهود أنَّهم قتلوا يسوعَ، ابن مريم ورسول الله، لكنَّهم لم يقتلوه أو يصلبوه؛ ولكن شُبِّهَ لهم. ويمكن أن يعني القول إنَّ اليهودَ بدا وكأنَّهم صلبوا يسوعَ فقط، إنَّ المسيحَ كانَ شخصيّة سماويّة وكانَ الجسمُ غيرَ حقيقيٍّ، أو إنَّه تركَ جسدَه الحقيقيَّ تماماً عندَما كانَ مصلوباً، أو إنَّ شخصاً آخرَ صُلِبَ في مكانه. بأيّ حال، يفسِّرُ القرآنُ هنا الصّلب من الناحية النظريّة. وينكرُ عددٌ قليل من العلماء العصريّين ذلك،[2] لكن عبارة (شُبِّهَ لهم) هي عبارة غير مُبهَمة على نحوٍ تامٍّ، حتّى وإن ترك الأسلوب الذي يظهر فيه الصَّلب من دون تحديد. وهو تماماً ما تعنيه هذه

---

[1] مُقاتل بن سليمان، **تفسير**، مُحرَّر. عبد الله محمود شحاتة (بيروت، ٢٠٠٢)، المجلد ٢، ١٣٧، في ٢: ٢٤٦، عن الإسرائيليّين الذين قالوا أنَّهم طُردوا.

[2] سليمان علي مراد، "هل يرفضُ القرآن أو يقبلُ صلبَ يسوعَ وموتَه؟"، في **منظوراتٍ جديدةٍ عن القرآن**، مُحرَّر. رينولدز، الفصل ١٣، ٣٥٤-٣٥٥؛ جبرئيل سعيد رينولدز، "يسوع المُسلِم: حيّ أو ميت؟"، **نشرة كلية الدراسات الشرقيّة والإفريقيّة** ٧٢ (٢٠٠٩): ٢٥٢؛ كذلك راجع باريندر، **يسوع في القرآن**، ١١٩-١٢١.

العبارة في حال استُخدِمت للتعبير تصديقاً بالصّلب، سواء على يدِ الله، أو اليهود، أو غيرهم، وقد تركت غيرَ مُبرَّرة أو تمَّ الردُّ من خلالها بطريقة مُبتدَعة للغاية.

إنَّ الدوسيتيّة، الّتي واجهتها أعلاه فيما يتعلَّقُ بمسألة ما إذا كانَ يسوع أكَلَ أو شربَ، كانَت عقيدةً قديمة جداً، يمكنُ للمرء من خلالها أن يدَّعيَ سلطة العهد الجديد نفسه: "**فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ**" **(كما في رسالة بولس الرّسول إلى أهل رومية ٨: ٣)**. ولا عجبَ أنَّ إغناطيوس كانَ عليه أن يقاومَ من ينكرونَ أنّ المسيحَ قد ولدَ حقّاً من عذراءَ أو أنَّه أكَلَ أو شربَ أو ماتَ حقَّاً على الصَّليب، وأنَّه قد عانى، باستثناء المَظهر.[١] لقد كانَ مرقيون السينوبيّ (توفى عام ١٦٠)، وفالانتينوس الغنوصي (توفى عام ١٦٠)، وأتباع المانويّة (حوالي عام ٢٤٠ فصاعداً)، وغيرهم من الغنوصيين من بين الذين نفَوا أنَّ جسدَه كانَ من لحمٍ،[٢] على الرَّغم من أنَّ مرقيون لا يزالُ يقبلُ واقع الصلب. وكانَ كيرينثوس من بين أولئك الذين اعتبروا أنَّ المسيحَ تركَ الجسدَ البشريّ المضيف له عندما كانَ مصلوباً،[٣] وباسيليدس (توفى عام

---

[١] إغناطيوس (في مايكل و. هولمز، مُترجَم ومُحرَّر. **الآباء الرَّسوليّون** [غراند رابيدز، ميشيغان، ١٩٩٩])، "رسالة إلى أهل تراليا"، ٩-١٠؛ "رسالة إلى أهل سميرنة"، ١-٦.

[٢] اعتبر مرقيون ولادة وجسد المسيح وهم (ي. س. بلاكمان، **مرقيون وتأثيره** [يوجين، أوريغون، ١٩٤٨؛ أعيدت طباعته. ٢٠٠٤]، ٩٩ والصفحات التالية)؛ كما اعتقد فالانتينوس أن جسده روحي (غريلماير، **المسيح في الرواية المسيحية**، ١: ٩٦-٩٩)؛ واعتقد المانويون المحسوبين على أوغسطينوس أن يسوع لم يأتي بجسد حقيقي، بل مُجرَّد شكلٍ يشبهه (أوغسطينوس، *De Haeresibus* [mpl ٤٢، الأعمدة. ٢١-٥٠]، الفقرة ٤٦؛ بالمثل هيجيمونيوس، *Acta Archelai*، مُترجَم. مارك فيرمز [لوفان، ٢٠٠١]، ٨، ٤).

[٣] هيبوليتوس، **تفنيد كل الهرطقات**، ٧. ٣٣ (يسوع الإنسان تألم، بيد أن المسيح السماوي، الذي نزل عليه عندما عُمّد، خرج منه)؛ بالمثل سفر رؤيا نجع حمادي/رؤيا بطرس (القرن الثالث): لقد صُلب جسد يسوع بينما يسوع الحقيقي، المنزل السماوي، يقف ضاحكاً على عدوه (**نجع**

١٣٨) هو الدَّاعية الأكثر شهرة للعقيدة الّتي تقول بأَنَّ شخصاً آخرَ قد صُلِبَ بدلاً من يسوع.[1]

والدوسيتيّة عقيدة غريبة حتّى يتبنّاها رسول القرآن، نظراً لأنَّه يصرُّ على إنسانيّة يسوعَ ولا يؤكِّد أنَّ يسوعَ وأمَّه كانا يأْكُلانِ الطَّعام فحسب، ولكن أيضاً في أنَّ يسوعَ قد ماتَ. وكيفيَّة تصوُّره يسوعَ على أنَّه مُغادِر لهذا العالم هي غير واضِحة. كما يقول الله في آيةٍ واحدةٍ: **{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }(سورة آل عمران، الآية ٥٥)**، والّتي لا تتركُ مجالاً واسعاً للفكرة التفسيريّة الّتي تقولُ إنَّ يسوعَ بُعِثَ حَيًّا إلى الجنَّة، ما لم نأخذ أولاً بأنَّه قد تمَّ إحياءُ الرّوح فيه. ولكن قيامته لم تُذكَر هنا، أو ما يتعلَّقُ بهذا الصّدَد في مكانٍ آخر من الكتاب، لذلك ربَّما يقولُ الله أنَّ يسوعَ سوفَ يذهبُ مُباشَرة إلى السَّماء عندَما يموتُ، أي بطريقة الموت في سبيل الله **(راجع سورة البقرة، الآية ١٥٤؛ سورة آل عمران، الآية ١٦٩)**. كلا التّفسيرينِ يتَّفقانِ مع مجموعةِ مقاطعَ عن يوم الدّينونة والّتي

حمادي ٧، ٣، ٨١–٨٣، " سفر رؤيا بطرس"، جيمس براشلر وروجر أ. بولارد، مُترجَمين. في **مخطوطات نجع حمادي باللغة الانكليزية**، تعديل وتحرير. المُحرَّر جيمس روبنسون [لايدن، ١٩٩٦]، ٣٧٧).

[1] قال بازيليد بأن سمعان القوريني أخذ مكانه؛ وقد وقف يسوع السماوي جانباً وضحك، على افتراض ظهور سمعان القوريني (إيرينيئوس، *Haer .Adv*، ١. ٢٤. ٤)؛ على نحوٍ مماثل، رسالة شيث العظيم الثانية (روبنسون، **مخطوطات نجع حمادي باللغة الانكليزية**، ٧، ٢، ٥٦). وقد تمت إدانتها باعتبارها تعاليم مانوية في صموئيل ن. سـ. ليو، "صيغة بيزنطية مبكرة للارتداد عن الديانة المانوية"، في **كتابه المانوية في بلاد الرافدين والشرق الروماني** (لايدن، ١٩٩٤)، ٢٠٣–٢٥١ (نُشرت لأول مرة في إصدار مختلف قليلاً في *Jahrbuch für Antike und Christentum* ٢٦ [١٩٨٣]: ١٥٢–٢١٨)، ٢٤٢ والصفحات التالية.

يشيرُ فيها يسوعُ إلى "**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي [أي فلما وفيتني يا ربِّ]" (تَوَفَّيْتَنِي، كما في سورة المائدة، الآية ١١٧)**، ولكن بالنَّظر إلى أنَّ القيامة لم تُذكَر قطّ، فإنَّ التفسيرَ الثاني ربَّما يكونُ أكثرَ معقوليّة. ومع ذلك، يقولُ الطفلُ الرَّضيعُ يسوعُ في السورة المكّيّة:{**وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} (سورة مريم، الآية ٣٣)**، وهذا يعني بوضوح أنَّه سيموتُ ويبعثُ في يوم الدّينونة مثل أيِّ شخصٍ آخرَ (راجع الآية ١٥ من سورة مريم، حيثُ يتم استخدام العبارة نفسها مع النبي يَحْيى (يوحنا المعمدان)، لكن هنا في صيغة الغائب بدلاً من صيغة المُتكلّم؛[1] راجع أيضاً الآية ٧٥ من سورة المائِدة). وهذا يكاد لا يكونُ مُتوافِقاً مع وعدِ الله، كما في الآية ٥٥ من سورةِ آل عمران: {**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}**، ولكن توافق التّصريحات كلّها على الأقلّ أنَّ يسوعَ ماتَ. لماذا اختارَ الرّسول إذن الدّوسيتيّة بدلاً من مُجرَّد قبول وفاتِه صلباً؟ إنَّ اختيارَه الدوسيتيّة هو اختيارٌ أكثر غرابةً لأنَّه يضعُه في موضعٍ يبدو وكأنَّه بولسيّاً (نسبةً إلى بولس الرّسول أو تعاليمه) إلى حدِّ التّحيُّز معَ المرقيونيّين، والمانويّين، وغيرهم من الغنوصيّين الذين أدانهم المُسلِمون في وقتٍ لاحقٍ كما الزَّنادقة والغلاة؛ وتبدو العقيدةُ زائدةً أو غير ضروريّة أيضاً، لأنّه ليسَ لها أيُّ تأثيرٍ على

---

[1] يدعي نيل روبنسون (**موسوعة القرآن**، المدخل. "يسوع" [٤، ١٧]) أنَّ يسوع يتحدَّث عن موته كحدثٍ سابقٍ، تماماً مثل موتِ يوحنّا المعمدان في الماضي. لكنَّ أحدَ الأسباب هو: كيفَ يمكنُ *للطّفلِ* يسوعَ أن يتحدَّثَ عن وفاته كحدثٍ سابقٍ؟ فقد وقعَ موتَه على الصَّليب وقيامته اللاحقة قبلَ وقتٍ قصيرٍ من صعودِه إلى السَّماء، ولم يظهر هنا على أنَّه يقومُ بالتنبُّؤات. ولسببٍ آخر، يُقالُ إنَّ كلاً من يسوعَ ويوحنا المعمدان سيمو*تون* وسيُبعث*ون*.

أي مسألةٍ دينيَّةٍ أخرى نوقِشَت في القرآن. وكثيراً ما يَتَّهِمُ الرّسولُ اليهودَ بقتلِ أنبيائهم، وهي تُهمة مسيحيّة مِعياريّة، فلماذا لم يتَّهمهم ببساطة بقتلِ يسوع أيضاً، كما يفعلُ المسيحيُّون غير اليهود باستمرار؟ ربَّما كانَ يريدُ تجنُّب التَّشابُك مع فكرةِ موتِ المسيح فِداءً، ولكن يمكنُ للمرء أن ينكرُ أنَّ موتَه كانَ فِدَاءً في حين لا يزالُ يقبلُ موتَه على الصَّليب. وقد يكونُ من الصَّعب على نحوٍ لا يمكنُ إنكاره القيام بذلك من دون الوقوع في معسكر اليهود غير المؤمنين، الذين ليسَ لديهم أيُّ يسوع على الإطلاق. ولكن في الواقع ما تقترحُه الآية ١٥٧ من سورة النساء، هو أنَّ الرّسول وجدَ فكرةَ قتلِ اليهود وصلبِهم يسوعَ عدوانيّةً جداً للموافَقة عليها. لقد ادَّعى اليهود مسؤوليتهم عن وفاته: وفقاً للشَّريعة المشنائيّة، رجموه أولاً، ثمّ صلبوه، أو كما وصفَه الحاخامات، "شنقوه" على شجرةٍ لأنَّه كانَ يمارسُ الشَّعوذة وحرّض إسرائيلَ وأغواها على عبادةِ الأصنام.[1] كانَ ذلك فظيعاً بالنّسبة للرسول: كانت التُّهمُ كاذبةً، ولا يمكنُ لليهود أن ينجحوا في قتلِ نبيٍّ موقَّرٍ بطريقةٍ مُذلَّة كهذه.[2] "وما قتلوهُ وما صلبوهُ ولَكِن شُبِّه لهُمْ"، كما يؤكِّد في الآية ١٥٧ من سورة المائدة. وقد أبقى

---

[1] راجع بيتر شيفر، **يسوع في التلمود** (برينستون، نيوجيرسي، ٢٠٠٧)، ٦٣-٦٦. أُسقطت القوانين التلموديّة المُتعلِّقة بالأساليب القانونيَّة لعقوبة الإعدام (الصفحات ٦٣-٦٤)، لذلك يشيرُ ظهورَها فيما يتعلق بيسوع في التلمود البابليّ إلى أنَّ المادّة ترجعُ إلى عصور المشناه، كما هو مُتوقَّع بالفعل.

[2] لقد كانَ الصلبُ مهيناً سواء كانَ أسلوبَ إعدام أو مُجرَّد "شنق"، أي عرض الشَّخص الذي تمَّ إعدامُه بعد الموت. وكأسلوب إعدام، كانَ الصَّلب عادةً رومانيّة ولم يتمَّ استخدامُها في الدّيانة اليهوديّة. كما تحدَّث المسلمون عن الصّلب، لكن ما قصدوه به كانَ "الشَّنق" بعدَ الموت، وعلى الأرجح كما في حالة الآية ١٥٧ من سورة النساء: "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا"، نظراً لأنَّها تذكرُ القتلَ والصَّلبَ بهذا التَّسلسُل.

الله بني إسرائيل بعيداً عن يسوع عندما اتّهم بالسّحر، كما تقولُ سورةٌ أخرى: **"وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ" (سورة المائدة، الآية ١١٠)**. وخلاصة القول، إنَّ الرّسولَ لم يكن لديه مُشكِلةٌ معَ موتِ يسوعَ، ولكن فقط مع الفكرة الّتي نقلَها اليهودُ حولَ ذلك.[١]

ولا يزالُ ذلك يتركُ السُّؤال حولَ كيفية معرفة الرّسول بالعقيدة الدوسيتيّة التي رفضت مزاعم اليهود. الجواب الشائع هو أنَّه كانَ من المانويّين،[٢] لأنَّه وبحلولِ القرنِ السَّادس كانوا الوحيدين الباقين والمعروفينَ أنَّهم دوسيتيّين. إنَّ صيغةَ التخلِّي عن هرطقة المانويّين في القرن السَّادس تحرِّمُ من يقولُ إنَّ المسيحَ عانى في الظَّاهر، وإنَّ هناك شخصٌ على الصَّليب في حين وقفَ الآخر وضحكَ.[٣] والرَّجل على الصَّليب هو يسوعُ الدّنيويُّ، وهو ليسَ الشَّخصَ المصلوبَ في مكانِه، لأنَّ يسوعَ قد جاءَ من دونِ جسدٍ: تدخَّلَ الكائنُ السَّماويُّ وحولَ يسوعَ البشريِّ عندَما كانَ يعمَّد، كما تفسِّر صيغة التخلِّي نفسها. إنَّه هو الكائنُ السَّماويُّ الّذي يقفُ ويضحكُ. ويقولُ كتابُ الفصول كفالايا (٤٠٠ م) على نحوٍ مماثِلٍ أنَّ يسوعَ المسيح "جاءَ من دونِ جسدٍ" و" **اتَّخذَ شكلَ عبدٍ، ظاهراً بمظهرِ الرِّجال**". يستمرُّ المَقطع بتأييدٍ كاملٍ للصَّلب، ومع ذلك: قبضَ اليهودُ على ابن الله، صلبوه مع بعض اللّصوص ووضعوه في القبر، وبعدَ ثلاثة أيامٍ قامَ من بينِ الأموات، ونفخَ روحَه القدوسَ في

---

[١] غنيلكا، *Nazarener*، ١١٤-١١٥.

[٢] على سبيل المثال، أندريه، **محمَّد، الإنسان وإيمانه**، ١١٢؛ موشيه جيل، "عقيدة أبو عُمير"، Israel Oriental Studies ١٢ (١٩٩٢): ٤١.

[٣] ليو، "صيغة بيزنطيَّة مُبكِّرة للارتداد عن الدِّيانة المانويَّة"، ٢٤٢ والصَّفحات التالية.

تلاميذه.[١] كلُّ ما تبقَّى بعد الصَّلب كانَ **مظهراً**، الشّكّل المادّيّ، كما يقولُ كتابُ المزمور القبطيّ.[٢]

وشكَّلَ المخلِّصُ من على ارتفاع لم يمُت (وهي نقطةٌ أساسيَّة)، ولكن يسوعَ الرَّجل ماتَ بالتأكيد. وفي الواقع، لقد جسَّدَت مُعاناتُه على الصَّليب الألم الذي تحمَّله كلّ النّور المسجون في هذا العالم، وصنِّفَ على أنَّه يسوع باتيبيليس "المتألم" (المعروف أيضا باسم الذّات الحيّة): إنَّه مُعلَّق على كلِّ شجرة، ويعاني كلَّما تقطفُ ثمرةً، و يجري صلبُه كل يوم. وقد وُصِفَ موتُ ماني بأنَّه صَلْبٌ[٣]. باختصار، إنَّ موقفَ المانويَّة يختلفُ تماماً عن موقف الرّسول: لم يتمكَّنوا من قبول فكرةِ موتِ يسوعَ الإلهيّ، ولكنَّهم قبِلوا كليَّاً بموتِ يسوعَ الإنسانِ (أي يسوع كما ذكرَه القرآن)، ولم يحدُث لهم مُطلَقاً أن ينكروا الصَّلبَ.

ومن غير المرجَّح مُطلَقاً وجودُ أيِّ مُعتقَداتٍ مانويّةٍ في القرآن، حيثُ كانَ فكرُ ماني عالماً غريباً تماماً للرَّسول، وكانَت مُعتقَداتُهم مُعارِضةً تماماً في بِضْع نقاطٍ جوهريّةٍ. وقد نفى المانويُّون أنَّ اللهَ خلقَ هذا العالم؛ لم يكن لديهم أيُّ شخصٍ كموسى وكرِهوا وصفَ العهدِ القديم لله ميَّالاً للغضب والعِقاب؛ لم يؤمنوا بالقيامةِ الجسديَّة، إلاّ في الحياةِ الرُّوحيَّة بعدَ الموتِ بالتزامُن

---

[١] **العقائد**، مُترجَم. إيان غاردنر (لايدن، ١٩٩٥)، ١٨-١٩ (الفصل ١، ١٢، ٢٤ والصَّفحات التالية). كذلك راجع فيرنر زوندرمان، "المسيحيَّة، مُقابِل المسيح في الدّيانة المانويَّة"، في *Encyclopaedia Iranica* (كوستا ميسا، كاليفورنيا، ١٩٩١)، ٥: ٣٣٥-٣٣٩.

[٢] بول فان ليندت، "ملحوظات حولَ استخدام *Skhema* في المانويَّة القبطيَة"، في **دراسات مانويَّة: وقائع المؤتمر الدوليّ الأوّل للمانويَّة**، مُحرَّر. بيتر برايدر (لوند، السويد، ١٩٨٨)، ٩٧، ١٠١.

[٣] يُنظَر ماجيلا فرانزمان، **يسوع في الكتابات المانويَّة** (لندن، ٢٠٠٣)، ١٠، ٢٤.

معَ التناسُخ، وأنكروا كلاً من الزَّواج وأكلِ اللّحوم. ويكرِّس القرآنُ الكثيرَ من الاهتمام لخلقِ الله العالم، والعقوبات التي يلحقُها، ومكانة موسى العالية، والقيامة الجسدية، والزَّواج وطقوس الذَّبح، ولكنَّه لا يشاركُ في المُجادَلات الانفعاليَّة ضدَّ مذهبٍ مانويٍّ. ونادراً ما يمكنُ تصوُّر أنَّ المانويَّة كانَ ينبغي لها أن تكونَ ذاتَ أهمِّيّةٍ كافية في منطقة الرّسول لتنعكسَ تعاليمُهم في القرآن من دون وجود أيّ مُجادَلاتٍ انفعاليّة ضدَّ ما يمكنُ للرَّسول أن يعتبرَه كمُعتقَداتِهم المُضلِّلة وغير التَّقية بشكلٍ أساسيّ. وهذا لا ينكرُ أنَّ هناكَ بعضَ التَّداخُل بينَ المانويَّة والقرآن: كلاهما يتبنَّى الدوسيتيّة (بطرائقَ مُختلِفة)؛ كلاهما يقدِّمُ مريمَ على أنَّها هارونيَّة (انظر أدناه، رقم ١٢)؛ وكلاهما قد يعملُ معَ مفهوم سلسلةٍ نبويّة (راجع أدناه، رقم ١٣)؛ وكلاهما يتحدَّثُ عن الرُّسل من ناحيةِ حمل الأنبياء للوحي؛[1] ولكن أبسط تفسيرٍ هو أنَّ هذا يعكسُ أصولاً مُشترَكة، لأنَّ ماني نشأَ في مُجتمَع الكسائيِّين.

يشيرُ جريفِث إلى أنَّ الدوسيتيّة قد جاءَت إلى القرآن من اليوليانيِّين Julianists (على الرَّغم من أنَّه يبدو ناكراً لوجودِها في الكتاب أيضاً).[2] وكما هو مُبيَّنٌ في الجزء الأوَّل، الرقم. ٧ (ب)، اعتبرَ يوليان أسقف هاليكرناس في القرن السَّادس أنَّ جسدَ المسيح كانَ غيرَ قابلٍ للفسادِ قبل القيامة حتَّى أنَّه

---

[1] راجع يارل فوسوم، "مفهوم التّلميذ في القرآن وأدب الشَّرق الأدنى قبلَ الإسلام"، في **التّراث الأدبيّ للإسلام الكلاسيكيّ: دراسات تكريما لجيمس أ. بيلامي**، مُحرَّر. مُستنصر مير (برينستون، نيوجيرسي، ١٩٩٣)، ١٤٩-١٦٧.

[2] غريفِث، "المسيحيّون والمسيحيَّة"، ٣١٢؛ غريفِث، "النّصارى"، ٣١٨-٣١٩. فيما يتعلَّقُ بمُحاوَلةٍ سابقةٍ لربط الآية مع اليوليانيّة، يُنظَرُ هنري غريغوار، "Mahomet et le Monophysitisme"، *Charles Diehl Mélanges*، المُجلّد ١، *Histoire* (باريس، ١٩٣٠)، ١١٦ والصَّفحات التالية.

ومن لحظةِ اتّحاد الإلهيَّة والإنسانيَّة فيه كانَ غيرَ قادرٍ على تحمُّل المُعاناة الجسديَّة أو الموت. وقد احتجَّ خصمَه، سويريوس الأنطاكي، على أنَّ هذا كانَ مُسَاوٍ للدوسيتيّة: فهذا يعني ضمناً أنَّ المسيحَ ظهرَ وكأنَّه يتألَّمُ ويموتُ على الصَّليب، وبالتالي ينكرُ موتَه فداءً. في الواقع، لا يبدو أنَّ جوليان قد أنكرَ حقيقةَ مُعاناةِ يسوعَ وموتِه: كانَ على ما يبدو قد اعتبرَ أنَّ المسيح يمكنُ أن يعاني ويموتُ من خلال التصرُّف الحرّ لكلمةِ الله (ويفترضُ أنَّ المعنى هو حرّيّة الاختيار)، وهو أمرٌ مُغايرٌ للتّصرُّف بحكمِ الضَّرورة.[1]

وكما لاحظَ غريفِث، ربَّما يوجدُ يوليانيِّين في الجزيرة العربيَّة،[2] ولكن غريفِث لا يحاولُ إثباتَ أنَّهم كانوا دوسيتيّين في الواقع الفعليّ؛ وإذا لم يكونوا كذلك، فكيفَ للرسول أن يلتقطَ الدّوسيتيَّة منهم؟ ومن غير المُرجَّح أن يكونَ مُتعاطِفاً مع المذهبِ إلا إذا كانَ ذلك من خلال تفنيدِ ودحضِ الحججِ التي كانَ يعرفُها. علاوةً على ذلك، لم تكُن دوسيتيَّة يوليان من النَّوع الصَّحيح: لم ينفي أيَّ يولياني صَلْبَ المسيح، لكنَّهم أنكروا تعرُّضَه للألم في هذه العمليّة، أو أنَّه عانى ككائن بشريٍّ وفقاً لقوانين الطبيعة وليسَ من خلال حرّية الاختيار، وهي مسألة لا يقدِّمُ فيها القرآن أي اهتمام. لذا لا يمكنُ لليوليانيّون شرح الموقف القرآنيّ. ومن المُرجَّح أن يكونَ لرفضِ القرآن تَقَبّل الصَّلب جذوراً مسيحيَّة إسرائيليَّة. يقولُ أناريشوس، الرَّاهب الغزاوي، الذي قرأَ إنجيلَ العبرانيّين: "عندَما وُضِعَ [يسوعُ] على خشبِ الصّليب، أنقذَه أبوه من أيديهم

[1] غريلماير، **المسيح في الرّواية المسيحيَّة**، المُجلَّد ٢، الفصل ٢، ٢١٣، ٢١٦.
[2] تيريزيا هينثالر، *Christliche Araber vor dem Islam* (لوفان وباريس، ٢٠٠٧)، ١٣٣-١٣٤؛ راجع غريغوار، "Mahomet et le monophysitisme"، ١: ١١٧-١١٨.

[اليهود] ورفعَه إلى السَّماء، إلى جانبه في المجد"[١]. نجدُ هنا الإنكار نفسَه في أنَّ اليهودَ نجحوا في قتلِ يسوعَ كما هي الحالُ في القرآن، وهنا أيضاً ينقلُ اللهُ يسوعَ إلى السَّماء، والظّاهر أنَّه ينتزعُه مُباشَرة من الصَّليب. إنَّ كيرلس الزَّائِف يعزو العقيدةَ ذاتَها إلى إسحَق السّامريّ الذي يدَّعي أنَّه قد تحوَّلَ إلى المسيحيَّة. كما رأينا، شملَت أخطاءُ إسحَق قبلَ تحوُّله اعتقادَه بأنَّ "يسوعَ، ابنَ مريم"، كانَ (فقط) نبيَّ الله، لكنَّه دمجَ هذا الاعتقاد بتفسيرٍ دوسيتيّ للصَّلب.[٢] لقد زَعم في مخطوطة المكتبة البريطانيَّة في بودج أولاً أنَّ يسوعَ، ابن مريم، قد صلبَه اليهودُ لأنَّه ألغى شريعة السبوت؛ لكنَّه يضيفُ أنَّ الرَّجلَ الذي صلبوه بدلاً من يسوعَ كانَ أيضاً نبيَّاً يدعى يسوع. لقد صعدَ يسوعُ الحقيقيُّ "جبلاً مُعيَّناً" ولم يعرف ما حدثَ له.[٣] ونلحظُ هنا وجهة النَّظر القرآنية على أنَّ يسوعَ مُجرَّدُ نبيٍّ، مزوَّدة بتسميةِ "يسوع، ابن مريم"، والدوسيتيّة، ربَّما كما فهمَها الرّسول نفسه، وبالتّأكيد كما فهمَها المُفسِّرون.

لقد حدثَ الصَّلب! لكنَّه صَلبُ الرَّجلِ الخطأ؛ صعدَ يسوعُ الحقيقيُّ على الجبل (الذي لم يرِد ذكرُه في القرآن)، ربَّما كانَ الجبلُ الذي قالَ عنه آخرونَ أنَّه تجلّى عليه، ثمّ اختفى، ويفترض من خلال الترجمة أنَّه صعدَ إلى الجنَّة أو اختفى في السَّماء. ولكن وفقا لكيرينثوس، لن يُبعَثَ يسوعُ مرَّة أخرى حتَّى القيامة

---

[١] كيرلس الزَّائِف، "عن العذراء"، في كامباغنانو، *Copte Omelie*، الفقرة ٢٨ (كما تُرجِمت إلى الإنكليزيّة من خلال رولوف فان دن بروك، **كيرلس الأورشليمي الزَّائِف، عن حياة وحبّ المسيح** [لايدن، ٢٠١٢]، ٩٤)؛ بومبيك، "كيرلس الزَّائِف"، الفقرة ٢٨. أمَّا نسخة بودج (**نصوص قبطيَّة مُتنوِّعة**، الصَّفحة ١٢a = ٦٣٧) فهي أقصرُ وأقلُّ وضوحاً.

[٢] ينظر أعلاه، الصفحة ٣ [٢٨٠].

[٣] كيرلس الزَّائِف، "عن الصّليب"، في بودج، **نصوص قبطيَّة مُتنوِّعة**، صفحة ٨ af = ٧٦٨ (قصَّة مُربِكة)؛ كامباغنانو، *Omelie Copte*، الفقرة ١٧.

العامَّة، كما قال أيضا (أو في ٩ أقلَّ ضمناً) عن يسوعَ في (١٩:٣٣).[1] لا يذكرُ كيرلس الزَّائِف مطالبةَ سيرينثوس، ولكن تُبيِّن خطبتُه لنا عالمَ الفكرِ وثيقِ الصِّلة بالقرآن. جذورُها هي بوضوحٍ مسيحيَّة إسرائيليَّة. إنَّ الوسطَ الذي كانَ التفسير الدوسيتي للصَّلب الذي تمّ تمريرُه إلى القرآن هو المسيحيّ الإسرائيليّ (أو في التسمية التقليديّة، اليهوديَّة المسيحي) كانَ واضحاً بالفعل لِ شويبس و بوس.[2]

١١- ولادة العذراء:

يوافقُ الرّسول على أنَّ يسوعَ ولد من عذراء (سورة آل عمران، الآيات ٤٥-٤٧؛ سورة مريم، الآيات ١٦-٢٢؛ سورة الأنبياء، الآية ٩١؛ سورة التَّحريم، الآية ١٢)، وهو أمرٌ غريبٌ، نظراً لأنَّه يصرُّ على وضعِ يسوعَ كإنسانٍ عادي. كانَت أمومة مريمَ البتوليّة وألوهيَّة يسوعَ وجهَين لعملةٍ واحدةٍ لمسيحيّي العصور القديمة المُتأخِّرة؛[3] وإذا كانَ يسوعُ ابن مريم نتيجةً لنفخِ روحِ الله، كما يقولُ القرآن (سورة طه، الآية ٩١؛ سورة التحريم، الآية ١٢)،

---

[1] إبيفانيوس، *Panarion*، ٢٨. ٦. ١. إذا كانَ المسيح هنا هو لفظ إبيفانيوس بالنسبة ليسوعَ الذي تألَّم على الصَّليب، في حين لم يتألَّم يسوعُ السَّماوي (يُنظر الفصل ١، الملحوظة ٩٧)، فيبدو من المنطقي: لقد ماتَ المُضيف البشريّ بالفعل وتُركَ في القبر حتَى القيامة العامّة.

[2] شوبس، *Theologie*، ٣٣٩، مُشيراً إلى أن ٤: ١٥٧ تُظهرُ آثار للخريستولوجيا الدوسيتية ما بعدَ الإبيونيَّة"؛ هيربيرت بوس، "Das Leben Jesu im Koran"، *Christiana Albertina* ١٥ (١٩٨١): ٢٣، من دون تفسير.

[3] "لو لم تبقى الأم عذراء، لكان طفلها مُجرَّد إنسان ولما كانت ولادته عجيبة"، كما أوضح بروكلس القسطنطيني (توفي ٤٤٦). "لو أنه وُلد مثلنا، سيكون إنساناً"، كما قال ثيودوتوس أسقف أنقرة (توفي قبل ٤٤٦)، كما لاحظ أن "حقيقة أنه لم يدمر عذريتها يظهر بوضوح أن المولود هو كلمة الله" (لويجي غامبيرو، *مريم وآباء الكنيسة* [روما، ١٩٩١]، ٢٥٣، ٢٦٢-٢٦٣، ٢٦٩). "فإذا لم يكن الله، كيف أمكن له أن يُبقي أمه بكراً؟" كما أقر إسحق الأنطاكي (توفي حوالي عام ٤٥١) (لاندرزدورفر، *Schriften Ausgewählte*، ١٤٢).

فإنَّه سيكونُ ابنَ الله وفقاً لمعايير الرّسول الخاصّة. النقطة الثانية، تتمسَّكُ بالحقيقة إذا كانَ ينظرُ إلى الرّوح على أنَّها تخصيب لمريم، ولا يبدو أنَّ هذا ما كانَت عليه الحال. حيثُ يقولُ الله في آيةٍ واحدة أنَّه نفخَ بعضاً من روحه في مريمَ (**"فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا"، سورة الأنبياء، الآية ٩١**)، ولكن في الآية رقم ١٢ من سورة التحريم قال: **"وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا"**، أي في (يسوع) أو في (فَرْجَهَا)، و يمكنُ أن يكونَ يسوعُ هو المتلقِّي النّهائيّ في جميع الحالات الثلاث.

إذا نفخَ الله أنفاسَه في يسوعَ، فإنَّ هذا الأخير كانَ موجوداً بالفعل في شكلٍ ما داخلَ رحم مريم، وبالتَّوازي مع آدم وطيور يسوع الطينيَّة نلحظُ أنَّ هذا هو المقصود في الواقع. حيثُ قيلَ صراحةً أنَّ يسوع مثل آدم، الذي خلقَه الله من الطّين، وثمَّ نفخَ فيه من روحه **(سورة الحجر، الآية ٢٩؛ سورة السجدة، الآية ٩؛ سورة ص، الآية ٧٢)**. وبالطَّريقة ذاتها، خلقَ يسوعُ بنفسِه طيوراً من الطّين أولاً وثم نفخ أنفاسه فيها، مما جعلها طيوراً حقيقية وحلقت بعيداً **{أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا} سورة آل عمران، الآية ٤٩؛ سورة المائدة، الآية ١١٠)**. في كلتا الحالتَين هو نفخَ النفسَ الذي يجعلُ النموذجَ الخاملَ نابضاً بالحياة: النماذج موجودة سابقاً. ونحنُ على علمٍ أيضاً أنَّ يسوعَ كانَ مثل آدم، كما في قوله: **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} (سورة آل عمران، الآية ٥٩)**؛ هنا الأمر الإلهيّ "كُن" يحلُّ محلَّ نفخ النَّفس الإلهيّ، ممَّا يوحي بأنَّ الاثنين اعتبرا مُتطابِقَين إلى حدٍّ كبير أو مُتطابِقَين كلّياً. وتماشياً معَ هذا، عندَما تسألُ مريم، كما في قولِه: {**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا**

يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} (سورة آل عمران، الآية ٤٧).
وجُملة القول، إنّ روح الحياة هو ما نفخَه الله في يسوع، وكانَت القوَّة الإلهيَّة احدى قواه الخاصّة، لأنَّها مكَّنَت يسوعَ من التحدُّثِ في المهدِ وصنعِ مُعجِزات أخرى **(سورة المائدة، الآية ١١٠)**. **{إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ}**، كما يقولُ الله **(سورة المائدة، الآية ١١٠، راجع سورة البقرة، الآيتان٨١، ٢٥٤)**، ممَّا لا يتركُ الآن أيَّ مجالٍ للشكّ في أنَّ يسوعَ هو المتلقّي النّهائيّ للرّوح التي نفخَها الله في مريم. ولم يكن لها أيُّ دورٍ في عمليَّة الحَمل به.

لقد تلقَّى الأنبياء الآخرين الرُّوح الإلهيّة بشكلٍ غيرِ مُباشَر، خلافاً لآدمَ ويسوعَ، والأمر (كُن) الذي يرتبطُ بها ارتباطاً وثيقاً هو الآنَ إيْعاز للتحدُّث، اقرأْ، أو افعلْ ما يريدُه الله، وليسَ أمراً ليكونَ. كما يقولُ الله للرَّسول في الآية ٥٢ من سورة الشورى: **{كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}**، وذلكَ باستخدامِ تعبيرٍ مُلغَّزٍ إلى حدٍّ ما ومُفسِّرٍ أنَّ هذه هي الطّريقة التي اكتسبَ فيها الرّسولُ معرفتَه للكتاب والإيمان. كما قيلَ لنا أيضاً: **{يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء} (سورة النحل، الآية (يوجد خطأ في النص الاصل حيث استخدمت المُؤلِّفة رقم الآية ١٠٢ بدلاً من رقم الآية الصحيح وهو ٢)، راجع سورة المعارج، الآية ٤؛ سورة القدر، الآية ٤، حيثُ تَنزّلُ المَلائكةُ والرّوحُ فيها معاً)**. وكمُمثِلٍ عن الوحي، تسمَّى الرُّوح بالرُّوح القُدس **(سورة النحل، الآية ١٠٢)**، حيثُ تمَّ تجسيدُها على أنَّها "جِبريل"، الذي ينزلُ الوحيَ على قلب الرَّسول **(سورة البقرة، الآية ٩٧)**. لكن لا يوجدُ وسيطٌ مُشارِكٌ في حالة آدم ويسوع. كلاهما خلقَه الله ذاتُه، ولا أبَا لأي منْهما،

وكلاهُما حصلَ على حياتِه وقواه الخارِقة من خلالِ نفخِ الله لروحِه مُباشَرة فيهما.

إنَّ تَقْديمَ آدمَ ويسوعَ كمُتلقِّين لروح الله المُقدَّسة في القرآن له تّشابُهات معَ الموضوع نفسه في الإكليمنضيّات المسيحيَّة اليهوديَّة المُزيَّفة (بالرّغمِ من أنَّ هذا العمل لديه خريستولوجيا تصاعُديَّة بدلاً من تنازليَّة). هنا أيضاً، نجدُ آدمَ الَّذي صنعَته أيادي الله ممنوحاً روح الله العظمى والمُقدَّسة، وهي روحُ المعرفة المُسبَقة التي يعرفُ النبيُّ الحقيقيُّ من خلالِها الأمور الخفيّة، في الأوقات جميعها، وليسَ فقط في لحظاتِ الوحي.[1] ولأنَّ آدمَ والمسيحَ مُتطابِقان فهذه الرُّوح هي روحُ المسيح أيضاً، وهذا الأخير نبيٌّ بفضيلةِ الرُّوح الموروثة بالولادة والمُتدفِّقة دائماً؛[2] ولأنَّه لا يوجدُ سوى نبيٍّ صحيحٍ واحدٍ، المسيح، وهو كائنٌ ملائكيٌّ موجودٌ مُسبَقاً تجلَّى بنفسِه في أشكالٍ مُختلِفة وتحت أسماء مُختلِفة منذ بداية العالم.[3] إنَّ حجَّة الإكليمنضيّات المُزيَّفة تتشكَّلُ من مخاوف مُختلِفة (ولاسيّما مُعاداة المرقيونيّة) عن تلك الموجودة في القرآن، التي لا تُطابِقُ آدمَ والمسيح فحسب، بل تقدِّمُهما كحالاتٍ موازيَّة. على عكس الإكليمنضيّات المُزيَّفة، فإنَّها لا تنكرُ أنَّ آدمَ أخطأَ أو تُناقِش مسألةَ ما إذا كانَت

---

[1] إكليمنضس (مُسنَد)، **عظات**، ٣، ١٢-١٤ (**الموسوعة المسيحية ماقبل نيقية**، مُحرَّر. أليكسندر روبيرتس وجيمس دونالدسن، المجلد ١٧ [إدينبورغ ، ١٨٧٠؛ أعيدت طباعتها. ٢٠٠٥])؛ هـ. ج. و. دريفرز، "آدم والنبي الحقيقي في "الإكليمنضيّات المزيفة"، في *Loyalitätskonflikte in der Religionsgeschichte: Festschrift für Carsten Colpe*، مُحرَّر. Christoph Elsas and Hans Kippenberg (فورتسبورغ، ١٩٩٠)، ٣١٤-٣٢٣.

[2] إكليمنضس (مُسنَد)، **عظات**، ١١١، ١٥.

[3] المصدر ذاته، ١١١، ٢٠.

الروح تركته عندَما فعلَ ذلك؛[1] وتعتمدُ على أناجيل الطفولة المُنتحلة لوصفِها يسوعَ، وهو الأمرُ الذي لا تقومُ به الإكليمنضيّات المُزيَّفة. ولكن تبقى الحقيقة في أنَّ كلاهما ينظرُ إلى الرُّوح الإلهيَّة في آدم والمسيح كعاملٍ يمنحُهم معرفةً خاصَّة، وليسَ كمُمثّل للحبلِ. باختصار، فإنَّ العقيدة القرآنيَّة لولادة العذراء تختلفُ تماماً عن تلك الموجودة بينَ المسيحيّين (الأغيار) غير اليهود.

وما زالَ هذا يتركُ السُّؤال لماذا قبِلَ الرّسول بعقيدةٍ مُرتبِطة ارتباطاً وثيقاً معَ لاهوتِ يسوعَ بدلاً من مُجرَّد جعلِه ابناً ليوسفَ (الذي لم يُذكَر في القرآن أيضاً): إذا كانَ يسوعُ إنساناً عاديّاً مع مواهبَ استثنائيَّة بدلاً من أن يكونَ ابنَ الله، يتوقَّعُ المرءُ أن يكونَ له والدانِ بشريَّان طبيعيَّان أيضاً. وبما أنَّ الرّسول لا يصرُّ على إنسانيَّة مريمَ، فلماذا لا يعطيها زوجاً ليكونَ أباً ليسوعَ؟ الجوابُ هو بالتأكيد أنَّه في زمنِ الرّسول كانَ من الصَّعب أن يلعبَ يوسفُ دورَ والدِ يسوع لمدَّة أطولَ من دونِ اعتبارِ يسوعَ مُتَّهما في نسبه ضِمناً، لعلم الجميع أنَّه إذا لم يكن وُلِدَ من الله وعذراء، كما أصرَّ المسيحيُّون، فهو ابن بانثيرا / بانثر، الجنديّ الرُّومانيّ الذي كانَ ينام مع مريم، كما زعمَ اليهودُ (وكما قالَ الوثنيُّون في الماضي أيضاً).[2] وهي قصصٌ بذيئةٌ ومُسيئةٌ عُمِّمت صراحةً في منطقة الرّسول عن ولادةِ يسوع من امرأة غير متزوِّجة، لقومِ مريمَ، أي اليهود، حيثُ يتمُّ تقديمُها في اتّهامها بالزّنا؛ يُبرِّئها يسوع من التُّهمة ويدافعُ عن سمعتِها من خلال شرح الحقيقة في المهد، كما في قوله: **{وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا**

---

[1] راجع درايفرز، "آدم والنبي الحققي"، ٣١٥.

[2] أوريجانوس، *Contra Celsum*، ١، ٣٢؛ شيفر، **يسوع في التلمود**، ولاسيّما ١٨ والصَّفحات التالية، ٩٧-٩٨، ١١٣-١١٤؛ شيفر، مايكل ميرسون، Yaacov Deutsch، **إعادة تنقيح Yeshu Toledot** (توبينغن، ٢٠١١).

عَظِيمًا} **(سورة النساء، الآية ١٥٦؛ سورة مريم، الآية ٢٧ وما يليها)**، ويؤكِّدُ مراراً وتكراراً أنَّ مريمَ كانت عذراءَ **(سورة آل عمران، الآية ٤٧؛ سورة مريم، الآية ٢٠)** وامرأةً مُحصَّنةً **(سورة الأنبياء، الآية ٩١؛ سورة التحريم، الآية ١٢)**، وصِدِّيقةٌ **(سورة المائدة، الآية ٧٥)**. يتماشى كلُّ هذا مع وجهاتِ النَّظر المسيحيّة السريانيّة،[1] ولكن من المُثير للدَّهشة أنَّ فضيلةَ مريم بحاجةٍ إلى الدِّفاع المُتكرِّر. وبصورةٍ جليّةٍ، لم يعِش الرّسول في بيئةٍ لا تشوبُ طبيعتُها شائبة وهو أمرٌ اتُّخذ على أنَّه مفروغٌ منه، وهو على الأرجح سببُ اعجابِه بعقيدة ولادةِ العذراء: يجبُ أن تكونَ ولادةُ يسوعَ مُعجِزةً حتى لا تكونُ فضيحةً. وربَّما كانَ للسبب نفسِه أن قبِلَ بعضُ الأبيونيّين عقيدةَ ولادةِ العذراء بحلول زمن أوريجانوس،[2] والأمرُ ذاته بالنّسبة للناصريّين المعروفين لجيروم (أو بعضهم).[3] ولم يكُن لها أيُّ وظيفة خلاصيّة بالنّسبة لهم أو للرَّسول.

---

[1] راجع قصيدة الحوار في سيباستيان بروك، "مريم في الرّواية السريانيّة"، **جمعيّة الحج المريميّة المسكونيّة** (٢٠٠٧)، http://ecumenicalmarianpilgrimage.faithweb.com/7 Brock.pdf: 19-20 (الوصول في تشرين الثاني ٢٠١٥؛ هذه المقالة هي الأخيرة من أصل مقالتَين تحملان عناوين مُتطابقة للكاتب نفسه): ومع اتّهام يوسف لها بعدم العفّة، أكَّدت مريم أنَّ الطفلَ الموجود في رحمها سيُظهر أنَّها لا تزالُ عذراء. كما تمَّ التأكيد هنا على عفتِها وصدقها.

[2] للاطلاع على أوريجانوس، يُنظر الفصل ١، الملحوظة ١١٧؛ يوسابيوس، *Eccl .Hist*، ٣. ٢٧. ٣. يبدو أنَّ هورنر لم يكن على علم بأنَّ بعضَ اليهود المسيحيّين قد قبلوا ولادةَ العذراء، رغمَ أنَّه يستشهدُ بهذَين المقطعَين (راجع تيموثي ج. هورنر، "الجوانب اليهوديّة من إنجيل يعقوب الأولي"، **مجلّة الدّراسات المسيحيَّة الأولى** ١٢ [٢٠٠٤]: ٣٣٣).

[3] لم يعرف إبيفانيوس ما إذا كانَ الناصريّون قد قبلوا ولادةَ العذراء (*Panarion*، ٢٩. ٧. ٦)، لكن ادّعى جيروم أنَّهم قبلوا: حيثُ كتبَ في رسالَة إلى أوغسطينوس "إنهم يؤمنون بالمسيح، ابن الله، المولود من مريم العذراء..." (*Ep.* ١١٢، ١٣، في كليجن وراينينك، **الدليل الآبائي**، ٢٠١). لكن وردَ لديه مقطعٌ يتضمَّن اعتبارَهم يسوعَ ابنَ النَّجار (في متى، ١٣، ٥٤، في كليجن وراينينك، **الدليل الآبائي**، ٢١٧)؛ لقد تمَّ تفسيرُه بشكلٍ مُختلِفٍ من خلال بريتز، **المسيحيَّة اليهوديَّة الناصريَّة**، ٥٤–٥٥، وذلك لإزالة التّناقُض.

إنَّها ليسَت مُجرَّدَ ولادةِ العذراء تلكَ المُسلَّم بصحتِها في القرآن؛ يبدو أنَّ مريمَ تصوِّر بأنَّها دائمة البتولية. ليسَ لديها زوج، بل كفيل فقط، وهو الذي مُنِحت له نتيجةَ القرعة (سورة آل عمران، الآية ٤٤) والذي يعرفُ باسم زكريا **(سورة آل عمران، الآية ٣٧)**. يتبعُ القرآن هنا إنجيلَ يعقوبَ/جيمس الأوليّ[*]، وهو الإنجيلُ الذي تشكَّلَت فيه عقيدةُ مريمَ دائمة البتولية لأوَّل مرَّة، على ما يبدو لأغراضِ الدِّفاع عنها ضدَّ الافتراءَات اليهوديَّة.[١] ووفقاً لهذا الإنجيل الأوليّ، كانت مريمُ مكرَّسةً للمعبَد وهي في سنِّ ثّلاثِ سنوات ويومٍ واحدٍ، وهي السنّ الّتي تصبحُ فيه الفتيات الصغيرات قاصراتٍ وفقاً للمشناه، وهي السنُّ الأبكر الّتي يمكنُ أن تخطبَ فيها؛ و زكريا، الكاهن المسؤول عن المعبَد الذي تكبرُ فيه، يُسلِّم يدَها إلى يوسفَ عندما تكونُ في سنّ الثانية عشرة وتبلغُ سنّ الرّشد كفتاةٍ بالغةٍ.[٢] يقدَّمُ يوسفُ كرجلٍ عجوزٍ له أطفالٌ من زواجٍ سابِقٍ (يفسِّرُ ذلك وجود إخوةَ يسوعَ وأخواتِه في الأناجيل) ومُتردِّد في اتّخاذ العروس الشَّابة. والرّسالة هي أنَّه لم يطالِب بحقوقه الزَّوجيَّة أبداً. في الواقع، لا يبدو من الواضِح إن كانَ لديه مثل هذه الحقوق، وعلى الرَّغم من أنَّ زكريا على علمٍ بأنَّ مريمَ ستكونُ زوجةَ يوسفَ، يقولُ زكريا نفسُه ليوسفَ إنَّه

---

[*][تعليق المترجم: إنجيل يعقوب الأوليّ أو إنجيل يعقوب التمهيديّ، أُلِّف في مُنتصَف القرن الثاني، وينتمي إلى مجموعة الأناجيل التّي رفضَتها الكنيسةُ واعتبرتها منحولةً، ويُذكَر أنَّ سببَ وصفه بالأوليّ أو التّمهيديّ كانَ نتيجةً إلى ذكرِ هذا الإنجيل للأحداث الأوليّة عن المسيح، منذُ حمل مريم العذراء].

[١] هورنر، "جوانب يهوديَّة"، ٣٣٠، مشيراً إلى أنَّه تمَّ تقديمُه كردٍّ مُباشَر على سيلسوس.

[٢] راجع المصدرَ ذاتَه، ٣٢٣، ٣٢٥.

يجبُ أن يأخذَ مريمَ ("عذراء الربّ") في رعايتِه وحمايتِه؛[١] وعندَما أصبحَت مريمَ حبلى، يُتَّهم يوسفُ بأنَّه دنَّسها، إذَا كانَ ذلك بمعنى أنَّه تزوَّجَها قبلَ إعلان الزَّواج وفقاً للمراسم الشرعيَّة.[٢] يجبُ أن يفهمَ ذلك الزَّواج على أنَّه لا شيءَ سوى الوصاية الذي أخبرَنا عنها إبيفانيوس صراحةً.[٣] باختصار، كانَت مريمُ عروسَ الله: خُطِبت له في سنّ ثلاثِ السنوات ويوم واحدٍ، وهي أبكرُ سنٍّ مُمكِنة، وكانَت مُتزوِّجة منه تماماً عندَما تمَّ (الزَّواج) النذر، أي عندَما خصَّبتها الرُّوح.

لقد اقتُرح أنَّ الإنجيلَ الأوليّ، الذي يعودُ تاريخُه إلى أواخر القرن الثاني، كُتِبَ لمُؤلِّف يفهمُ المسيحيّة من وجهةِ نظرٍ يهوديّة.[٤] حيثُ يبدو أنَّه يجادلُ لصالحِ مريمَ دائِمة البتوليَّة بموجِب المبادئ المشنائية. لكنَّها سرعانَ ما أصبحَت شعبيَّة جدّاً لجميع المسيحيّين واقتربَت من تحقيق الاعتراف بقانونيّتها، حتَّى أنَّها مُشبَعةٌ تماماً بالأدب المسيحيّ وذلك بحلول الوقت الذي رُفِضت فيه على أنَّها أبوكريفية، وذلك من خلالِ مرسوم جلاسيوس في القرن الخامس أو السادس.[٥] ولا يمكنُ أن يؤخَذ استخدامُ الرَّسول لهذا الإنجيل،

---

[١] **إنجيل يعقوب الأوليّ** (في إهرمان وبليز، **الأناجيل المنحولة**، الملحوظة ٣)، الفقرة ٩؛ هورنر، "جوانب يهوديّة"، ٣٢٦.

[٢] **إنجيل يعقوب الأوليّ**؛ هورنر، "جوانب يهوديّة"، ٣٢٧-٣٢٨.

[٣] إبيفانيوس، *Panarion*، ٧٨. ٧. ٢ والصَّفحات التالية؛ راجع ٢٨. ٧. ٦. لقد خُطِبت مريمُ إلى خاطبٍ (عاشقٍ) "من المفترَض أن يكونَ وصيّاً على عذريَّتها، مُراعاةً للدّقة"، كما قالَ يوحنَّا الدّمشقي (العظة ١ عن رقاد العذراء، ٦، في بـ. يـ. ديلي، مُترجَم. **عن رقاد مريم: عظات آبائيَّة مُبكِّرة** [نيويورك، ١٩٩٨]، ١٩٠).

[٤] وهكذا هورنر، "الجوانب اليهوديّة" (ليست كلّ الحجج مُقنِعة). يعتبرُ روش، في "أساطير يسوع"، ٤٢٦-٤٢٧، الأصل المسيحيّ اليهوديّ لهذا النّصّ أمراً مُسلَماً به.

[٥] راجع هورنر، "الجوانب اليهوديّة"، ٣١٥ (القرن الخامس)؛ شنيملشر، **العهد الجديد المنحول**، ١ : ٣٨ (القرن السادس).

أو الأفكار المُتجذِّرة فيه، للإشارة إلى أنَّ المسيحيّين في منطقتِه كانوا أكثرَ يهوديَّةً في توجُّههم من أيِّ مسيحيّين آخرين. لكن يمكنُ للمسيحيّين اليهود فقط، أن يقبلوا ولادةَ العذراء من دونِ لاهوتٍ، كما عرَضها أوريجانوس.[١] وبعبارةٍ أخرى، لم يتمكَّنوا إلا من فصلِ ولادةِ يسوعَ من عذراءَ عن وضعَه كابن الله (الذي رفضَه بعضُ المسيحيّين اليهود، وتقبَّلَه آخرونَ بإشارةٍ إلى معموديَّته بدلاً من ولادته). فبالنسبة إلى جميع المسيحيّين الآخرين، كانَت الحقيقة الأولى دليلاً على الثّانية، وهي حقيقة غير مُدرَكة في القرآن.

١٢- مريم الهارونيّة:

كانَت أمُّ يسوعَ، مريمَ، **"أُخْتَ هَارُونَ" (سورة مريم، الآية ٢٨)** و **"ابْنَتَ عِمْرَانَ"** (عمران، والد هارون وموسى في الإنجيل) **(سورة التَّحريم، الآية١٢)**. وهي أحجية معروفة. لقد كانَ لهارونَ وموسى شقيقة تسمَّى مريمَ (مريم في الإنجيل)، لكن القرآن يميِّزُ بوضوحٍ بينَ هذه الأخت (التي لم يرِد ذكرُ اسمِها في القرآن)، الّتي كانَت ترعى أخاها الصَّغير في مِصرَ **(سورة طه، الآية ٤٠؛ سورة القصص، الآيات ١١-١٣)**، ومريم، الّتي أمضَت طفولتَها في الهيكل في القدس **(سورة آل عمران، الآيات ٣٦-٣٧)**. وبناءً على ذلك، يأخذُ المرءُ إثباتَ هويَّةِ مريمَ كابنةِ عمران وشقيقةِ هارونَ إشارة لأنَّها كانَت من ذرّية عمران/هارون، والّتي تتَّفقُ معَ طريقةِ استعمال ألفاظ اللّغة العربيّة الفصحى (و القرآنيّة بالتأكيد).[٢] لكنَّ آيةً أخرى تدعو أمَّ مريمَ بزوجةِ عمران **"امْرَأَةُ**

---

[١] راجع الفصل ١، الصفحة ٢٤١ [٢٥٤].

[٢] راجع سليمان علي مراد، "مريم في القرآن"، في **القرآن في سياقه التاريخيّ**، مُحرَّر. رينولدز، ١٦٥-١٦٦. قارن الاستخدام القرآني لكلمة "أخ" بمعنى عضو في قبيلة (مثلاً، سورة الأعراف،

عِمْرَانَ" (سورة آل عمران، الآية ٣٥)، وهذا لا يمكنُ فهمُه حرفيًّاً: وهنا، يفترضُ أنَّ عمرانَ معروفٌ لجمهورِ الرّسول كأبٍ لموسى وهارون، ويُصوَّر كوالدِ مريم أيضاً، وليسَ كجدٍّ أعلى، على الرَّغم من أنَّ حبكةَ قصَّةِ مريمَ تتبعُ الإنجيل الأوليّ، حيثُ كانَت والدةُ مريمَ زوجة يواكيم.[1] ولا يساعدُ التَّفسير الشَّائع أنَّ الرّسول يصوِّرُ مريمَ كأختٍ لهارون بمعنىً رمزيّ. أحد الأسباب هو أنَّ المسيحيّين، الذين كانَ الرّسول قد التقطَ التفسيرَ الرمزيّ منهم، لم ينظروا إلى مريم كأنموذجٍ أوليّ لمريمَ (أمّ يسوع).[2] وفي الواقع كانَت أكثرَ منطقيَّةً كأمّ موسى بدلاً من شقيقته لتُقدَّم على هذا النحو. ولسببٍ آخرَ، لم تكن العلاقة بينَ مريمَ وهارون رمزيّة إذا كانَ كلاهما من نسل عمرانَ وزوجتِه. إلى

الآية ٦٥: "[وَإِلَى] عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا"؛ بالمثل سورة الأعراف الآية ٧٣: "وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا"، والآية ٨٥: "وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا"؛ سورة هود الآيات ٥٠، ٦١، ٨٤؛ سورة النمل الآية ٤٥ بشأن هذا وأنبياء عرب آخرين). ينفي غاليز، *Le messie*، ١: ٢٠، بشكلٍ غريبٍ أنَّ كلمة "شقيقة" يمكنُ أن تُستخدَم بمعنى امرأة من قبيلة.

[1] يدّعي نهج سليمان مراد، "مريم في القرآن"، ١٦٦، أنَّ والدةَ مريمَ كانَت زوجة عمران بمعنى أنَّها متزوِّجة من سلالة عمران. وذلك ليسَ استخداماً اصطلاحيًّاً: فلا يمكنُ القول لامرأةٍ متزوِّجةٍ من تميمي بأنَّها كانَت زوجةً لبني تميم.

[2] ترى نويفيرت أنَّ مريمَ "كأخت هارون" قد تُفهم على أنّها تعكس التّفسير النّمطي الذي شدَّدت عليه الكنيسة القديمة، الّذي سعى إلى ربط الأحداث حول موسى مع الأحداث حول مريمَ ويسوع. لكنّها لم تعطِ أيّة أمثلة أو مراجع (أنجيليكا نويفيرت، "Imagining Mary—Disputing Jesus"، في *Fremde، Feinde und Kurioses*، مُحرَّر. بينيامين جوكيش، أولريش ريبستوك، ولورنس ي. كونراد [برلين، ٢٠٠٩]، ٣٩٩). كذلك يفترضُ فان دن فيلدن، في "Konvergenztexte"، ١٧٦–١٧٧، رواية مسيحيّة دونَ توثيقِها. ويبذلُ داي قُصارى جهدَه للعثور على سوابقَ مسيحيّة لدراسة رموز مريم/ماري، لكنّه يعترفُ أنَّ ذلك أمرٌ صعب (غيلوم داي، "Lieux saints communs, partagés ou confiscques"، في *Partage du sacré: transferts, dévotions mixtes, rivalités interconfessionnelles*، مُحرَّر. غيلوم داي وإيزابيل ديبريت [بروكسل، ٢٠١٢]، ٩٥–٩٨).

جانب ذلك، فإنَّ السّورة التي تحدِّدُ أم مريمَ كزوجةِ عمرانَ تقولُ أيضاً: **{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (سورة آل عمران، الآيتان ٣٣-٣٤)**. وكما قيلَ[١] نجدُّ أنَّ العلاقةَ تصوَّرُ بوضوحٍ على أنَّها مادّية مرَّة أخرى، إذا كانَ يسوعُ هنا مشمولاً في عائلةِ عمران: الذرّيّة هي الأحفاد في الجسد، وليست النّسل الرّوحي، وهو مفهومٌ غريبٌ إلى حدٍّ ما عن القرآن. [٢] ولكن هذه المُعضِلة، أي علاقة مريم مع هارون ذات الأهمّية في القرآن، هي المُعضِلة الّتي يتعيَّنُ حلّها[٣]: لا تسمَّى أبداً شقيقة موسى. وعما إذا كانَت حرفيّاً أختَ هارون أو مُجرَّد عضوٍ في عشيرة هارون، فإنَّها لم تكن من ذُرّيّة داؤود. وبما أنَّ الرّسول أقرَّ بعقيدة ولادة العذراء، لكن الأمر لم يكن كذلك بالنّسبة لابنها.

وعلى ضوءِ ما سبقَ، نجدُ أنَّ المعلومات المُتوافرة في القرآن تبدو كبقايا لفكرةِ مسيحٍ هارونيٍ والّتي قابلناها أيضاً في خطبةٍ عن العذراء لكيرلس الزَّائِف. لقد كانت عبارة عن مفهومٍ يرجعُ تاريخه لزمن بعيد جداً للوراء. كانَ الكهنةُ يشكِّلون القوّةَ السياسيَّة الرّائدة في فلسطين في الحقبتَين الفارسيّة

---

[١] سمير خليل سمير، "التأثير المسيحيّ اللاهوتي على القرآن: أفكار"، في **القرآن في سياقه التّاريخيّ**، مُحرَّر. رينولدز، ١٤٢-١٤٣؛ رينولدز، **القرآن ونصّه التّوراتي الثّانوي**،١٤٥-١٤٦. ووصلَت نويفيرت، "آل ابراهيم"، ٥٠٧، إلى حدّ الادّعاء بأنّ آل عمران هنا يتكوّن من مريم ووالدتها وابنها لا غير.

[٢] يدّعي ميشائيل ماركس، " لمحات من العلوم المريميّة في القرآن"، في **القرآن في سياق**، مُحرَّر. نويفيرت، ماركس، وسيناي، ٥٤٨-٥٤٩، أنّ كلمة **ذرّيّة** في القرآن يمكن أن تشير أيضاً إلى "الالتزام الروحي، والمشاركة في" مشروعٍ نبويٍّ". لكنّه لم يعطي أمثلة.

[٣] احدى الاحتمالات أنّها كانت تسمّى شقيقة هارون وابنة عمران أي أنّها هارونيّة في النّصوص القديمة المنعكسة في السّور المكّيّة، وأنّ هذا أصبح يُفهم بشكلٍ حرفي تدريجياً، مُبيّناً أمّ مريم كزوجة لعمران في السورة المدنيّة ٣: ٥.

والهلنستيّة، وكانَ من المُتوقَّع في شهادات الآباء الاثني عشر [كتاب أبوكريفي]، أن يبعثَ الله كاهناً كبيراً من نسلِ لاوي (الجدّ الأعلى لهارون) وملك من نسل يهوذا (الجدّ الأعلى لداؤود).[١] وأمَّا بالنّسبة للخلاص فربَّما يأتي من نسل يهوذا، أو يبعثُ الله مُخلِّصاً من نسلِ لاوي ويهوذا معاً، وقد أوصى الآباء الواحد تلوَ الآخر أبناءَهم تكريمَ لاوي ويهوذا،[٢] " لأنّ منهما سيشرقُ خلاصُ إسرائيل".[٣][*] وقيلَ لنا في إنجيل لوقا أنَّ مريمَ كانَت من أقاربِ أليصابات (أم يوحنَّا المعمدان) وأنَّ أليصابات كانت هارونيّة. [٤] ويمكنُ أن يؤخَذ هذا ليدلّ ضمناً بأنَّ يسوعَ كانَ يُعتبَرُ هارونيّاً من جهةِ والدته وداؤودي النّسبِ من جهةِ والدِه وذلك حتَّى اعتماد عقيدة ولادة العذراء. كانَ هناك بالتأكيد أشخاصٌ اعتبروا أنَّ مريمَ تنحدرُ من سلالة لاوي في زمن أوريجانوس (توفي ٢٥٤/٢٥٣).[٥] لكنَّ أوريجانوس لم يشاطِر وجهةَ نظرِهم، لأنَّه وبحلولِ ذلك الوقت كانَت ولادةُ العذراء مقبولةً عموماً، لذلك كانَ على مريمَ أيضاً أن تنحدرَ من سلالة داؤود لكي يتمكَّنَ ابنُها من ذلك.

---

[١] "شهادات الآباء الاثني عشر"، تشارلزوورث، مُحرَّر. **العهد القديم المنحول**، المجلَّد ١، عهد روبين، ٦: ٧-١٢؛ عهد شمعون، ٧؛ عهد لاوي، ٢: ١٠، راجع عهد دانيال، ٥: ٤.

[٢] عهد نفتالي، ٨؛ عهد جاد، ٨: ١؛ عهد يوسف، ١٩: ١١.

[٣] عهد يوسف، ١٩: ١١، وهو نسخة أرمنيّة تعكسُ صيغةً أبكرَ من اليونانيّة.

[*][تعليق المترجم: كما في وصية يوسف: فاحفظوا، يا أبنائي، وصايا الرب، وكرّموا لاوي ويهوذا، لأنَّ من نسليهما يطلعُ لكم حملُ الله الذي يخلِّصُ بحنانه جميعَ الأمم وإسرائيل.(كتاب وصايا الآباء عهود الآباء، تحرير عبد الله عبد الفادي)].

[٤] لوقا ١: ٥، ٣٦.

[٥] راجع سكارسون، "أجزاء من الأدب المسيحيّ اليهوديّ المُقتبَسة في روايات بعض الآباء اليونانييّن واللّاتين"، في **المؤمنين اليهود**، مُحرَّر. سكارسون وهفالفيك، ٣٣٥٥، رقم ١٠٢، مُستشهداً **بتفسير أوريجانوس لرسالة بولسَ الرّسول إلى أهل روما**، ١. ٥. ٤؛ راجع ٣٥٣-٣٥٥ فيما يتعلّق برغبةِ المسيحييّن أن يكونَ يسوعُ ذا أصلٍ مزدوج.

ويبدو أنَّ أصلَها الداؤودي قد أكَّده إغناطيوس سابقاً، ويؤكِّدُ ذلك يوستينوس الشهيد (توفيَ ١٦٥) أيضاً،[١] كما يفعلُ مُؤلِّفونَ آخرونَ من القرن الثّاني.[٢] ولكن هذا أدَّى لبعض المشاكل: " كيف يمكنُ لمريمَ، من قبيلة داؤود ويهوذا، أن تكون ذات صلة بأليصابات، من قبيلة لاوي؟" حيثُ كانَ الناس يسألونَ عن الأمر في زمن إبيفانيوس، واستمرُّوا في سؤالِهم حتّى زمنِ يعقوبَ السّروجي (توفي ٥٢١).[٣] كانَ الجوابُ المعياري هو تزاوُجُ القبائل الملكيّة والكهنوتيّة، كما يفسِّر إبيفانيوس على نحو وافٍ، مع أنَّ يعقوبَ السُّروجي كانَ له حلٌّ مُختلِف: فهو يحملُ القرابةَ لتكونَ كنايةً عن التشابُه، كما يفعلُ العديدُ من الإسلاميّين المُعاصِرين.[٤] ويوجد عددٌ قليلٌ ذهبَ إلى حدِّ جعلِ مريمَ و يسوعَ أحفاداً للاوي ويهوذا على حدٍّ سواء،[٥] ولكن حتَّى هذا النَّسب اللاوي الجزئيّ لم يكن أكثرَ من فكرةٍ هامشيَّةٍ أبداً. وفي الرّسالة إلى العبرانيّين، إحدى

[١] يذكرُ أغناطيوس، في "رسالة إلى أهل أفسس"، ١٨: ٢، ١٩: ١؛ " رسالة إلى أهل قيصريّة"، ٩: ١؛ "رسالة إلى أهل سميرنة"، ١:١، أنّ يسوع وُلدَ من نسلِ داؤود من عذراء، لكنّه لم يقل صراحةً أنّ العذراء كانَت من نسلِ داؤود. وبشكلٍ مُختلفٍ فيَ يوستينوس الشَّهيد، **حوار مع تريفو**، ١٠٠، حيثُ قيلَ صراحةً أنّ العذراء من آلِ داؤودَ.

[٢] على سبيل المثال، "استشهاد وصعود إشعياء"، ترجمة. م. أ. كنيب، في **العهد القديم المنحول، المجلّد. ٢، انتشار الأساطير والعهد القديم، الحكمة والأدب الفلسفي، الصّلوات، المزامير، والأناشيد، أجزاء من الأعمال اليهوديّة الهلنستيّة المفقودة**، تحرير. جيمس هـ. تشارلزوورث (نيويورك، ١٩٨٥)، الفصل. ١١، ٢. بالنّسبة لمؤلّفين آخرين من القرن الثّاني، ينظر ريتشارد بوكهام، **جود وأقارب يسوع في الكنيسة المبكّرة** (أيدنبيرغ، ١٩٩٠)، ٢٦-٢٧.

[٣] يعقوب السّروجي، **عن والدة الله**، ٦٤٢=٤٦ (العظة ٢).

[٤] إبيفانيوس، *Panarion*، ٧٨. ١٣. ٦؛ يعقوب السّروجي، **عن والدة الله**، ٦٤٤=٤٨ (العظة ٢).

[٥] راجع هيبوليتوس، لقد تمّ دحض أشخاصٍ مجهولين من خلال يوليوس أفريكانوس وغريغوريوس النزينزي في جوزيف فيشر، " Die Davidische Abkunft der Mutter Jesu"، *Weidenauer Studien* ٤ (١٩١١): ٦٣-٦٤، ٦٩، ٧٩-٨١ (وهي شبكةٌ متشددة مكتسبة بالتعليم على طول جميع المصادر الموجَّهة ضد المُتشكّكين اليوم).

رسائل العهد الجديد، نجدُ أنَّ يسوعَ من أصلٍ داؤوديّ وأرفعُ من الهارونيّين مَقاماً، وهم الذين كانوا كهنةً بحسب الجسد، ويبدو هذا كموقفٍ أكثرُ راحةً.[١]

لكن كيف انتقلَت فكرة مريم كهارونيّة إلى القرآن؟ مع أنَّ وجهة النَّظر هذه لم يتمَّ تمثيلُها في التيَّار السّريانيّ السَّائد، ولا في أيّ شكلٍ آخرَ من أشكال المسيحيَّة السّائدة،[٢] لسببٍ واضحٍ وهو أنَّه يُبطلُ مكانةَ يسوعَ المسيح المُنتظَر.

تفيدُ الرّوايات أنَّ الإبيونيّين قبلوا أيضاً بيسوعَ كمُنحدِرٍ من نسلِ داؤود، وذلكَ بشكلٍ بدَهيٍّ من خلالِ والده، يوسف. وبصرفِ النَّظر عن عقيدة الآباء الاثني عشر، نجدُ في مخطوطاتِ البحر الميّت في قمران الفكرة القائلة إنَّ هاروني سيأتي. نسمع فيها عن "مسيحا هارون وإسرائيل"[*]، أو كما تقولُ

---

[١] رسالة بولس الرّسول إلى العبرانيّين ٧: ٤-١٠، ١٤؛ ٨: ٤ وما يليها، إلى آخره. راجع إريك ف. ماسون، **"أنت قسٌّ إلى الأبد": اليهوديّة في الهيكل الثّاني والخريستولوجيا الكهنوتيّة في رسالة بولس الرّسول إلى العبرانيين** (لايدن، ٢٠٠٨)، ٣٣ والصّفحات التّالية.

[٢] وفقاً لنويفيرت، "آل ابراهيم"، ٥٠٧، رقم ٢٥، تقدّم عدداً من النّصوص السّوريّة الشّرقيّة اللّيتورجيّة، والّتي لا تزالُ غير منشورة، مريمَ على أنّها تنتمي إلى سلالة هارون. إذا كانَ هذا صحيحاً سيكونُ اكتشافاً عظيماً مع تضمينات جوهريّة لوجهات نظرنا عن أصل وطبيعة المسيحيّة السّوريّة، لكنّ لا تجعلُ الأمثلة الّتي قدَّمها ميشائيل ماركس، "لمحات من العلوم المريميّة في القرآن: من الهاغيوغرافيا(السّيرة التّقديسيّة) إلى اللاّهوت عبر النّقاش السّياسيّ الدّيني"، في **القرآن في سياق**، تحرير. نويفيرت، سيناي، وماركس، ٥٥٧-٥٥٩، على أساس ما أعتبره النّصوص اللّيتورجيّة ذاتها، لا تجعلُ العذراء هارونية، بل مُجرَّد نوعٍ من عصا هارونَ (التي تتبرعمُ من تلقاء نفسها)، كما يقرّ ماركس نفسه. بينَما يحدِّد أفرام صراحةً سلالتها على أنّها داؤوديّة (بروك، "مريم في الرّواية السّريانيّة" [٢٠٠٧]، ٣)، وكذلك عرّفته الرّواية السّريانيّة على نحوٍ عامٍّ (موراي، "مريم، حوّاء الثّانية"، ٣٧٤).

[*][تعليق المُترجِم: نجدُ في مخطوطات وادي قمران ما يفيدُ أنَّ المسيحَين كانا شخصَين مُختلِفَين: فمسيحُ هارون هو الكاهن الأعظم الذي يُظهرُ معنى كلام الله الحقيقي ويُنفِّذُ الشَّريعة الجديدة – ومن هنا لقَّبه "دار التّوراة"... ومسيح إسرائيل هو مسيح يهوذا التقليديّ الذي يتحدَّرُ من صلبِ داؤود – ومن هنا اللّقب "سمخ داؤود" والسّمخ في العبريَّة والعربية واحد هو النَّوع، وسَمخً

جميعُ المقاطع الأخرى، "مسيح هارون وإسرائيل"، والتي يمكنُ أن تعني وجودَ مسيحٍ واحدٍ فقط. إنَّ مسيحَ إسرائيلَ هو المسيحُ الداؤوديّ كما يفترضُ العلماءُ المُعاصِرونَ، لكنَّه لم يُعرّف على هذا النّحو فعلياً، وقد يتوقَّعُ المرءُ أن يكونَ يهوذا نظيراً لهارون بدلاً من إسرائيلَ، التي ينتمي كلاهما إليها.[1] ويُعتقَدُ عادة (لكن ليسَ دائماً) أنَّ طائفةَ الأسينيّين هي الطائفة الدّينيَّة وراءَ هذه المخطوطات التي اختفَت في أثناء الثّورة اليهوديّة ضدَّ روما. وقد تمَّ تخمينُ تحوُّلهم بعدَ ذلك إلى المسيحيَّة واندماجهم مع جيرانِهم المسيحيّين اليهود استناداً إلى أدلَّة ضعيفة.[2] أفضلُ دليل على ذلك هي إلمام إبيفانيوس بطائفةٍ مسيحيَّةٍ يهوديَّةٍ في منطقة البحر الميت تُدعى بـ"سامبسيونيين"، كما يقولُ إنَّهم كانوا يُعرفون سابقاً بـ"أوسينيين"، ويشملُهم بينَ العديد من المسيحيّين اليهود الذين أفسدَهم الكسائيّ . لقد كانَ لديه معرفةٌ محلّية وافرة عنهم.[3] وربَّما كانَ هؤلاء الأوسينيّون هم ذاتهم الإسينيّون. وهذا يُنكَرُ أحياناً استناداً إلى أنَّ إبيفانيوس

الزَّرعُ بمعنى طلَع. ولعلَّ الأحبار عادوا في ذلك إلى نبوءَة زكريا (١٢:٦): {**هوذا الرَّجل الذي اسمُه النَّبت، إنَّه ينبتُ من ذاتِه ويبني هيكلَ الرَّبّ**}. ومسيحُ إسرائيل في نصوص قمران هو زعيمٌ سياسيٌّ فقط (كتاب مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران، الدكتور أسد رستم، منشورات المكتبة البولسيّة ١٩٩٠)].

[1] راجع جون ج. كولينز، **الصّولجان والنّجمة: المسيح في مخطوطات البحر الميّت وآداب كلاسيكيّة أخرى** (نيويورك، ١٩٩٥)، الفصل. ٤، الّذي يؤيّدُ وجودَ مسيحَين اثنَين.

[2] أوسكار كولمان، "Die neuentdeckten Qumran-Texte und das Judenchristentum der Pseudoklementinen"، في *Neutestamentliche Studien für Rudolf Bultmann zu seinem* ٧٠. *Geburtstag*، مُحرَّر. فالتر إلتيستر (برلين، ١٩٥٤)، ٣٥-٥١. برهانه هو التّشابُهات بين مخطوطات البحر الميّت والإكليمنضيّات المزيفة، على الرّغم من أنّ التّفسير الأكثر وضوحاً لذلك هو جذورٌ مُشترَكة في اليهوديّة في المعبد الثّاني.

[3] إبيفانيوس، *Panarion*، ١٩. ٢. ١ والصّفحات التالية؛ راجع ١٩. ٥. ٤.

ذكرَ الإسينيّين بلقبهم المعروف أيضاً،[١] ولكن للتَّمييز بشكلٍ أفضل كانَ يجبُ عليه أن يكتبَ عنهم تحتَ الاسمَين، لأنَّه كانَ يعرفُ من الأوسينيين من خلال التداوُل في الأحاديث شفهيّاً و/أو المراقبة الشخصيَّة في حين أنَّه يتحدَّثُ عن الإسينيين بناءً على مصادرَ أدبيَّة من نوع ما. لم يكن يعرفُ أنَّ الطائفتَين متُطابقتان. كانَ الإسينيّون في قمران، فضلاً عن أنَّ الأوسينيّين/السامبسانيّين والكسائيّين كلّهم معمدانيّونَ. ونحن لا نعرفُ ما قالَه الأوسينيّون أو الكسائيّون عن نسبِ مريمَ، ولكنّنا نعلمُ أنَّ الفرعَ المانويَّ للكسائيّة نفى أنَّها كانت من أصلٍ داؤودي: كانَت في رأيهم "من قبيلة لاوي، ومنها جاءَ الكهنة"[٢]. وهذا يعزِّزُ وجهة النَّظر القائلة بأنَّ التّصوُّر القرآني لمريمَ كهارونيَّة له جذورٌ كسائيَّة أيضاً.

لا يحصلُ المرءُ على انطباع بأنَّ أصلَ مريمَ الهاروني كانَ ذا أهمَّية كبيرة للرَّسول مع أنَّه ذكرَه ثلاثَ مرَّات.[٣] ربَّما بدا له ذلك كحقيقةٍ لمعرفتِه أنها قد نشأت في المعبد، وهي حقيقةٌ معروفةٌ له كما لكثيرٍ آخرين من إنجيل يعقوب الأوليّ. حيثُ يقرُّ هذا النَّصّ بتميّزِ مريمَ كعضوٍ من بيتِ داؤود في شكله

---

[١] يذكر إبيفانيوس في كتابه *Panarion* الإسينيين كطائفةٍ سامريَّة (!)، ١٠. ١. ٢ (راجع المُناقَشة المُختصرَة في كراون، بومر، وتال، مُحرَّر. *دليل إلى الدّراسات السّامريّة*، المدخل. "الإسينيّون").

[٢] فاوستس في كتاب أوغسطينوس، *Contra Faustum*، ٢٣: ٤. يعرّف فاوستس والد مريم على أنَّه يواكيم، الاسم المتعارَف عليه في إنجيل يعقوب التّمهيديّ، الفصل. ١، لكنَّه يعرفه أيضاً على أنّه كاهنٌ، وهو مالم يتمَّ ذكره في إنجيل يعقوبَ التّمهيديّ. فهو يفرضُ تفسيرُه على النَّص كي يدعمَ فكرةً لديه من مكانٍ آخر.

[٣] على نحوٍ مُختلِفٍ، يرى ماركس، في "لمحات منِ العلوم المريميّة في القرآن"، الذي يرى نيةً لإحياء ذكريات عن رواية المعبد الذي أسَّسه هارون.

الحالي،[1] ولكن لم يكن الفصل الذي يقرُّ بذلك جزءاً من العمل الأصلي وربَّما لم يكن معروفاً للرَّسول أو للمانويّين.[2] بمُطلق الاحوال، لا يبدو أنَّ الرّسولَ قد أعطى الكثير من التأمُّل لحقيقة أنَّ نسبَ مريمَ من هارونَ جعلَ يسوعَ هارونيّاً أيضاً، وإحدى الحقائق المُدهِشة عدم مُحاولَته ضَمَّ يسوعَ إلى بيت داؤود بأيِّ شكلٍ من الأشكال، ربَّما باستثناءِ آيةٍ مدنيّةٍ تعلنُ أنَّ الإسرائيليّين غيرَ المُؤمِنين قد تمَّ لعنَهم بألسنةِ داؤودَ ويسوعَ، كما في قوله: **{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} (سورة المائدة، الآية ٧٨)**. إنَّ يسوعَ داؤوديّ النّسبِ الضّروريّ لمكانةِ المسيح، لم يكُن يشكِّل على ما يبدو فائدةً بالنّسبة له.

١٣- السلسلة النبوية:

يعملُ الرّسول مع الافتراض القائِل إنَّ الأنبياء ظهروا على مرِّ التاريخ وإنّهم جميعا كانوا يحملونَ الرّسالة التوحيدية نفسها. كما تقولُ آيةٌ مُمَيّزة: **{قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (سورة البقرة الآية ١٣٦؛ وبالمثل، سورة آل عمران، الآية ٨٤؛ سورة النساء، الآيات ١٥٠-١٥٢)**. والله **"شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى" (سورة الشورى، الآية ١٢)**. وتعدِّدُ آيةٌ أُخْرى إبراهيمَ وإسحَقَ ويعقوبَ ونوحَ وداوُودَ وسليمانَ وأيّوبَ ويوسفَ وموسى وهارونَ وزكريّا ويحيى وعيسى

[1] **إنجيل يعقوب الأولي** (في إهرمان وبليز، **الأناجيل المنحولة**، رقم ٣)، الفقرة ١٠.
[2] راجع فيشر، "Davidische Abkunft"، ٢٦ والصفحات التالية.

وإلياسَ وإسماعيلَ وإليسعَ ويونسَ ولوط (في هذا الترتيب المُتمايِز) كصالحين يفضِّلُهم الله، ويفترضُ أنَّهم كلَّهم أنبياء، على الرَّغم من أنَّ هذا الأمرَ لم يُحدَّد **(سورة الأنعام، الآيات ٨٣-٨٦)**. علَّمَ اللهُ يسوعَ الكتابَ، والحكمةَ، والتّوراةَ، والإنجيلَ، وعلى ما يبدو تحتوي جميعاً على الرّسالة نفسها **(سورة المائدة، الآية ١١٠)**. كما صرَّح الله في الآية ٢٥ من سورة الأنبياء: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ}**. وكما ذُكِر أعلاه، فإنَّ كتابَ الكسائيّ، المُؤلّف في ١١٦-١١٧، فسَّرَ كلَّ الأنبياء من آدمَ إلى المسيح على أنَّهم تجسيدٌ للمسيح السابق وجوده نفسه، وجميعُهم مُتماثِلون في الجوهرِ ويحملونَ الرّسالة نفسها، على الرَّغم من أنَّ آخرَهم كانَ كاملَ التجسيد أكثر من البقيَّة.

كما أوضحَ جيروم مع الإشارة إلى الناصريّين، إنّ الطبيعةَ الإلهيّة سكنَت "باعتدال" في الأولياء القدامى لتظهرَ في المسيح كاملةً،[١] وقدَّم إنجيلُهم (أي إنجيلُ العبرانيّين) يسوعَ تقديماً مُماثِلاً لاكتمالِ أو تتويجِ سلسلة من الأنبياء الذين سكَنت روحُ الله في كلٍّ منهم.[٢] ونجدُ أنَّ عِظاتِ كيرلس الزَّائِف تعملُ مع خلافة مُماثِلة من الأنبياء، وتظهرُ سلسلة الأنبياء أيضاً بينَ المندائيّين والمانويّين.[٣]

---

[١] جيروم، **تفسير إشعياء**، ١١: ١-٣، راينينك وكليجن، **الدليل الآبائي**، ٢٢٣.
[٢] يُنظر الجزء ١، الصفحة ٢٤٢ [٢٥٦].
[٣] راجع إكليمنضس (مُسنَد)، **عِظات**، ٢، ١٥؛ ٣، ٢٠. جون سي. ريفز، **رسل هذا العالم الجيد: الرّوايات اليهوديّة والغنوصيّة في بلاد ما بين النّهرين** (لايدن: ١٩٩٦)، ٥: ٣٠؛ كرونة، Nativist Prophets، ٢٩٣، ٢٩٦ والصّفحات التالية.

يفترضُ شويبس، وأندريه، وآخرونَ أنَّ المفهومَ القرآني للأنبياء المُتعاقبين قد تطوَّرَ من سلسلة الأنبياء المسيحيَّة اليهوديَّة كما نعرفُها من كتاب الكسائيّ وأعمال أخرى.[1] إنّ التشابُهَ واضحٌ. ومثل أسلافهم اليهود المسيحيّين، فإنَّ أنبياء القرآن يحملونَ الرسالةَ نفسَها من آدم، أو من نوح على الأقلّ، حتّى "اليوم"، وعلى الرَّغم من توقُّف تجسيد الأنبياء للشَّخصيّة الموجودة سابقاً نفسها، إلا أنَّهم مُتَّحدون من واقع أنَّهم كلَّهم أعضاء في الخطّ النبوي ذاته: كلّهم من أحفاد نوح وإبراهيم، الذين وضعَ الله في ذرّيّتِهما النّبوّةَ والكتابَ، كما في قوله: {**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**} **(سورة الحديد، الآية ٢٦)**؛ كما قيلَ لنا بالإشارةِ إلى مجموعة منهم: {**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ**} **(سورة مريم، الآية ٥٨)**. والمُشكلة هي تفريغُ أُلوهيتهم وهويّتهم كتجسيداتٍ للشَّخصيّة نفسها، والأنبياء الذين يُنجِحُ أحدُهم الآخرَ ليس لديهم ميزاتٌ مسيحيّة يهوديّة تشخيصيّاً. يتكلَّمُ المسيحيّون في بعض الأحيان عن شيءٍ قريبٍ من سلسلة الأنبياء أيضاً. على سبيل المثال، يدرجُ يعقوبُ السروجي قائمةً تضمّ آدمَ ونوح وإبراهيم ويعقوب وأبناءَه الاثني عشر وموسى وهارون وأليعازَر (قارن مع سفر أخبار الأيام الأوّل ١٥:٢٤)، واللاويين بحبريّتهم، وداؤود وصموئيل، وحزقيال، وإشعياء، وجميع الأنبياء ليبتهجوا بدور مريم في تدبير الخلاص. وفي ميمر أخر، يدرجُ قائمةً تضمُّ آدمَ، وشِيث، ونوح وأبناءَه الثلاثة، وإبراهيم وإسحَق

---

[1] شوبس، *Theologie*، ٣٣٥-٣٣٦؛ أهرنس، *Muhammed als Religionsstifter*، ١٣٠-١٣١؛ أندريه، *Muhammed*، ٩٩-١٠٧؛ كذلك راجع أندريه، *Person Muhammeds*، ٢٩٢-٢٩٣.

ويعقوب ويوسف، وموسى ورفيقه حُور، ويشوع وهارون واللاويين وداؤود ودانيآل ويَفتاح وجدعون وشمشون، والأنبياء (الصغار) الاثني عشر، وصموئيل وإرميا وحزقيال وإشعياء، وجميع الأبرار الصالحين في توضيح الأجيال العديدة الذين توفَوا قبل مريم.[١] ويصوِّرُ المَقطعان كلاهما هذه الشّخصيَّات على أنَّها تشكِّلُ سلسلةً من الأبرار الصالحين، وكثيرٌ منهم أنبياء. إذَن فإنَّ قضيةَ الأصل اليهوديّ المسيحيّ لسلسلة الأنبياء القرآنيّة يجبُ أن ترتكِزَ على الأسماء المُدرَجة والمُستبعَدة، وهذا لا يساعدُنا. وقد أقرَّ الإبيونيّون، وفقاً لإبيفانيوس، بإبراهيم وإسحَق ويعقوب وموسى وهارون والمسيح، ولكن ليسَ بإشعياء وإرميا ودانيآل وحزقيال وإيليا أو إلياس وإليسع .[٢] وهذا يناسبُ القرآنَ، الذي يعترفُ أيضاً بإبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وهارون والمسيح، والذي لا يقدّمُ سوى إشارةٍ بسيطةٍ إلى أنبياء العهد القديم العظماء، على الرَّغم من أنَّه يذكرُ كلاً من إلياس وإليسع بطريقةِ المُصادَقة عليهما **(سورة الأنعام: الآيتان ٨٥-٨٦؛ سورة الصافات، الآية ١٢٣، ١٣٠؛ سورة ص، الآية ٤٨)**. زِدْ على ذلك، فإنَّ الإبيونيّين رفضوا داؤودَ وسليمان، في حين يوافقُ القرآنُ عليهما تماماً.[٣] ويذكرُ مقطعٌ في الإكليمنضيّات المُزيَّفة آدم وأخنُوخ ونوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى ويسوع، الذين ذكروا جميعا في القرآن (أخنُوخ مرَّتين باسم إدريس، والأسماء الأخرى ستّ مرَّات

---

[١] يعقوب السروجيّ، **عن والدة الله**، ٧١١-٧١٢، ٧١٧-٧١٨ = ٩١-٩٢، ٩٧-٩٨ (عِظة عن رقاد العذراء).

[٢] إبيفانيوس، *Panarion*، ٣٠. ١٨. ٤-٥. لقد قبلوا يشوعَ بن نون، لكن كخليفةٍ لموسى (سياسيّاً) فحسب.

[٣] ينظر **موسوعة القرآن**، المداخل.

بشكلٍ مُتكرِّر).[1] لكنَّ الإكليمنضيّات المُزيَّفة امتنعَت عن ذكر يوحنّا المعمدان،[2] الوارِد ذكره في القرآن، ولذلك مرَّة أخرى، لا يوجدُ نقلٌ مُباشَرٌ أو ناتجٌ عن حالةٍ أو سياقٍ سابقٍ. ومن المرجَّح أنَّ هناك العديدُ من النّسخ المُختلِفة للسلسلة المسيحيَّة اليهوديَّة، وأنَّ الاختلافاتِ المحليّةَ تطوَّرَت مع مرورِ الوقت، لذلك يبقى من المُحتمَل ارتباط السّلسلة المسيحيَّة اليهوديَّة بالقرآنيّة، ولكن أين الأدلّة لذلك؟ حيثُ لم يحاول في الواقع أيٌّ من أولئكَ الذين يفترضونَ علاقةً وراثيّة بينَ هذه السلاسل إثبات الأمر.

إنَّ الدليلَ الوحيدَ الذي يمكنُني أن أفكرَ فيه هو الآية المكّيّة، الّتي تخبرُنا أنَ لكلِّ نبيٍّ عدواً – الشياطين من الإنس والجِنّ – كما في قوله: **{كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} (سورة الأنعام، الآية١١٢).**
وهو موضعٌ مُميَّز لم يتمَّ التعبيرُ عنه أو تفصيلُه في بقيَّة القرآن، ولكنَّه يعتبَرُ سِمةً مُميَّزةً للإكليمنضيّات المُزيَّفة. وهنا لكلِّ نبيٍّ نظيرٌ كاذبٌ أو غيرُ مؤمِن، بحيثُ يعملُ تاريخُ الخطايا دائماً بالتوازي مع تاريخ الخلاص. حيثُ نجدُ عشرةَ أزواجٍ من الأضداد (نقاط اقتران الكواكب) من آدم حتّى دمار المعبد، بما في ذلك قابيل وهابيل، عِيسو ويعقوب، وإسماعيل واسحق، وسمعان المجوسيّ (العدو اللدود من الإكليمنضيّات المزيّفة) وبطرس (الذي يروي كلّ هذا).

[1] إكليمنضس (مُسنَد)، **عِظات**، ١٧، ٤؛ راجع **موسوعة الإسلام**، الطبعة الثانية، و**موسوعة القرآن**، المدخل. "إدريس".
[2] إكليمنضس (مُسنَد)، **عِظات**، ٢، ٢٣، حيثُ يكون مُعلِّم سمعان المجوسي، ويُفترَض أنَّه موجَّهٌ ضدَّ المعمدانيّين مثل مندائيّي المُستقبَل. بالنّسبة لآخرين ممَّن اتخذوا نظرةً سلبيةً عن يوحنا المعمدان، ينظرُ ماجيلا فرانزمان، **يسوع في مخطوطات نجع حمادي** (أدنبره، ١٩٩٦)، ٥٢-٥٣ ("شهادة الحق").

يأتي النّصف الثانويّ من نقاط الاقتران في البداية دائِماً، ولهذا العالم هو من الإناث في حين أنَّ الآخرَ هو من الذّكور. (ووفقاً لذلك، النّبوءَة الكاذِبة هي أيضاً أنثويّة في حين أنَّ النبوءَة الحقيقيّة هي ذكوريّة، ولكنَّ الأنبياءَ الكذبةَ أنفسهم هم من الذّكور بالطبع).[1] وعلى الرَّغم من أنَّ القرآنَ له أبطالٌ مُتنوِّعون، لا يمكنُ أن يكونَ هناك شكٌّ كبيرٌ في أنَّه يتبنّى فكرةَ نقاطِ الاقتران في الآية ١١٢ من سورة الأنعام. ونقاط الاقتران (المعروفة إلى الإسماعيليّين كما الأضداد) ليسَت حصريَّة على الإكليمنضيّات المُزيَّفة، بطبيعة الحال؛ كما نجدُها على سبيل المثال في الغنوصيّة الفالنتينيّة، ولكن هنا الأزواج من الذكور والإناث من دونِ تمثيلِ الحقيقة والباطل (وبالتالي يقترنُ العقلُ معَ الحقيقة). وأنَّ للقرآن سلسلة نبويَّة وفكر نقاط الاقتران كلاهما، يذكِّرُنا بتلك الموجودة في الإكليمنضيّات المزيَّفة، وهو يقوّي القضيَّة للرّأي القائل أنَّ للمسيحيّين اليهود مَكْمَناً موجوداً في الخلفيَّة هنا (أو المسيحيّين اليهود يختبؤون في الخلفيّة هنا). ولكن الاستمراريّة مع المسيحيَّة اليهوديَّة، عندَما تمثّل سلاسلُ الأنبياء تجسيداتِ إعادة ظهور الرّوح المُقدَّسة نفسها، كانَت واضحةً بعد الفتوحات فقط.[2]

---

[1] يسردُ ف. ستانلي جونز، "المسيحيَّة اليهوديَّة في الإكليمنضيات المُزيَّفة"، في **دليل إلى "المُهرطقين" المسيحيّين في القرن الثاني**، مُحرَّر. مارجانن ولومانن، ٣١٦ والصَّفحات التالية، نقاط الاقتران العشرة؛ أنيت يوشيكو ريد، "هيريسيولوجي والرّواية المسيحيّة (اليهوديّة)"، في **الهرطقة والهويَّة في العصور القديمة المتأخرة**، مُحرَّر. إدوارد إريسينشي وهولغر م. زيلينتين (توبينغن، ٢٠٠٨)، ٢٨٤-٢٨٥.

[2] يُنظر كرونة، Nativist Prophets، ٢٢١-٢٣٢، ٢٨١-٣٠٣، ٣٢٦-٣٤١؛ راجع أيضاً الفصل ١٩، *passim*.

يعتقدُ أنصارُ فكرةِ الأصلِ المسيحيّ اليهوديّ للسّلسلة القرآنيّة في بعض الأحيان، أنَّ هذا المفهوم قد نُقِلَ إلى الرّسول من المانويّين،[1] ولكن هذا أمرٌ مُستبعَدٌ جداً وفقاً لتعليقات كارل أهرنز.[2] وبغضِّ النَّظر عن النقاط التي أثيرت بالفعل ضد فكرة العناصر المانوية في القرآن (أعلاه، العدد ١٠)، فإنَّ سلسلتَها مُختلِفة جداً عن سلسلة الرّسول حتّى لو تجاهَلنا أنَّهم رفضوا موسى، بطل القرآن[3]. وإذا كانَت السلاسل القرآنيَّة والمانويَّة مُترابِطة، فهي من حيثُ الأصول المُشترَكة، وليسَت نتيجةً لعمليةِ انتقالِ من جهةٍ إلى أخرى.

١٤- ميلادُ يسوعَ تحتَ نخلة:

في سورةِ مريم، قيلَ لنا إنَّه بعدَ مخاضِ مريم، انسحبَت إلى مكانٍ بعيدٍ، وأنَّ آلامَ الولادة دفعَتها إلى جذع نخلةٍ، حيثُ صرخَت: **"يَا لَيْتَنِي مِتُّ"**. ثم ناداها صوتٌ من تحتها: **"أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا"**، وسوف توفر لها شجرة النخيل رُطَباً ناضجاً، لذلك يجب أن تأكل وتشرب وتكون مرتاحة البال مطمئنة. **(سورة مريم، الآيات ٢٣-٢٦)**. وقدم الله مأوى لها وابنها، ربما بالإشارة إلى الحادثة نفسها، كما في قوله: {**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**} **(سورة المؤمنون، الآية ٥٠)**، على الرَّغم من عدمِ ذكر شجرةِ نخيلٍ هنا. القصّة غريبةٌ نوعاً ما: إنَّ مريمَ تُدفَعُ إلى شجرة النخيل بألم المخاض، ولكن العزاء الإلهيّ يأخذُ شكل الطّعام والشّراب، وليسَ بالضّبط ما تحتاجُه المرأة في هذا الوضع. وتظهرُ قصّة شجرة النخيل في سياق

---

[1] شوبس، *Theologie*، ١١٠، ٣٣٥؛ أندريه، *Mohammed*، ١٠٥ والصفحات التالية.
[2] أهرنس، *Muhammed als Religionsstifter*، ١٣١.
[3] لشرح مفصل، ينظر ريفز، **رسل هذا العالم الجيد**، ٥-٣٠.

الرّحلة إلى مصرَ بعدَ ولادةِ يسوع، في كتابِ **رقاد مريم** (الذي يرجعُ تاريخُه إلى القرن الخامس وتمّ الحفاظ عليه بالكامل في التّرجمة الإثيوبيَّة)[١] وفي **إنجيل متّى المنحول** (وهي إعادةُ صياغةٍ لاتينيَّةٍ **لإنجيلِ يعقوب الأوليّ المنحول** المرجَّح أنَّها كُتِبَت في أوائلِ القرن السَّابع).[٢] وهي تلائِمُ السياقَ الآتي: أينَ يمكنُ لمريمَ ويوسفَ العثورُ على الطَّعام ليأكلا في هذه الرّحلة، كما يسألُ الكفَّار.[٣] كانَ من المُمكِن أن يفترضَ المرءُ، إذا لم يذكرِ القرآنُ آلامَ مخاضِ مريم، أنَّ معجزةَ شجرةِ النخيل تتعلَّقُ بالرِّحلة إلى مصرَ أيضاً، لأنَّ المقطع لا يذكرُ في الواقع ميلادَ يسوع. ولكنَّ القرآن يحذفُ الرّحلة إلى مصرَ (وهي ميزةٌ يتقاسمُها معَ كتابِ **صعود إشعياء** أحد الأسفار غير القانونيَّة من القرن الثّاني الميلاديّ).[٤] وربَّما يفترضُ أن يدلَّنا ذلك إلى الاستنتاج ضمناً بأنَّ شجرة النَّخيل كانَت مسقطَ رأسِه بالنَّظر إلى أنَّ آلام المخاض تقودُ مريمَ إلى شجرة

---

[١] شوماكر، **الرّوايات القديمة**، ٣٤، ٩٣، ٢٩٢-٢٩٤ (Ethiopian *L. Requiei*، ٥-٧، ومثيلتُها الجورجيّة)؛ راجع شوماكر، "عيد ميلاد المسيح في القرآن: الرّواية القرآنيَّة عن ميلاد يسوع والرّواية الفلسطينيّة المحلّية"، **دراسات القدس باللّغة العربيَّة والإسلام** ٢٨ (٢٠٠٣): ٢٠-٢١، نقلاً عن the Ethiopian *Liber Requiei*. سمعنا في هذا العمل عن شجرة النّخيل التي تزود بالطعام فقط، مع أنَّ ذلك كانَ بجانبِ ينبوع كما يبدو.

[٢] إنجيل متى المنحول، ٢٠: ٢، مُحرَّر. جان جيجسيل، *Libri de Nativitate Mariae: Pseudo-Matthaei Evangelium Textum et Commentarius* (تورنهاوت، ١٩٩٧)، ٤٦٠-٤٦٥؛ بالنسبة للتأريخ، ينظر ٦٦-٦٧؛ ترجمة. إهرمان وبليز، **الأناجيل المنحولة**، ١٠٩. هنا يظهر كلٌّ من شجرة النخيل والينبوع.

[٣] كيرلس الزَّائِف، "عن العذراء"، في بودج، **نصوص قبطيَّة مُتنوِّعة**، الصّفحة ٩a=٦٣٤؛ كامباغنانو، *Omelie Copte*، الفقرة٢٠؛ بومبيك، "كيرلس الزَّائِف"، الفقرة٢٠. كذلك يوجدُ قصَّة عن شجرة مصريَّة انحنَت ساجدةً للمسيح عندَما وصلَت العائلة المُقدَّسة هناك، لكنَّها لم تقدّم الطّعام (سوزومين، *Historia Ecclesiastica*، ٥، ٢١. ٨-١١).

[٤] "استشهاد وصعود إشعياء"، الفصل ١١، يسرد ولادة يسوع ويتابع: "وأخذوه وذهبوا إلى الناصرة في الجليل".

النَّخيل، وأنَّ التّتمة (في توافُقٍ مرَّة أخرى مع كتابِ **صعود إشعياء**) تتضمنُ إحضارها يسوعَ إلى قومِها.

إذا ولِدَ يسوعُ تحتَ شجرة النَّخيل، فمن الواضح أنَّ ولادته لم تكن في اسطبلٍ أو مغارةٍ، كما يعتقدُ التيَّارُ المسيحيُّ السَّائد.[1] ولا يزالُ من المُمكن أن يكونَ قد وُلِدَ في أو بالقرب من بيت لحم، لكن القرآن لا يبدي أهمّية لموقع شجرة النَّخيل، وهو أمرٌ جديرٌ بالملاحظة، لأنَّ ولادةَ يسوع في بيت لحم، كما كانَ متنبَّأ، كانَت أمراً جوهريّاً لمكانتِه الخلاصيَّة أو المسيحانيَّة بالنّسبة للمسيحيّين. وفي الواقع، يُنكرُ حشدٌ أنَّه كانَ المسيحَ على أساسِ أنَّه كانَ من المتوقَّع أن يأتيَ المسيح من بيت لحم في يهودا، وليس من الجليل، كما في إنجيل يوحنا: **آخَرُونَ قَالُوا: «هذَا هُوَ الْمَسِيحُ!». وَآخَرُونَ قَالُوا: «أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مِنَ الْجَلِيلِ يَأْتِي؟ أَلَمْ يَقُلِ الْكِتَابُ إِنَّهُ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ، وَمِنْ بَيْتِ لَحْمٍ، الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَ دَاوُدُ فِيهَا، يَأْتِي الْمَسِيحُ؟» فَحَدَثَ انْشِقَاقٌ فِي الْجَمْعِ لِسَبَبِهِ (أصحاح ٧ من إنجيل يوحنا: ٤١–٤٣)**. ويؤكِّدُ لنا إنجيلُ لوقا على نحوٍ وافٍ، أنَّه على الرَّغم من نشأةِ يسوعَ في بلدةِ الناصرة الجليليَّة، إلا أنَّه جاءَ في الواقع من بيت لحم. ولكن هذه ليست نقطةَ خلافٍ في القرآن. وتماشياً مع هذا، فإنَّ يسوعَ في القرآن هو المسيحُ في الاسم فقط (راجع أدناه، رقم ١٥).

لقد قيلَ إنَّ الدّمجَ القرآنيَّ لقصص ميلاد المسيح ومعجزةَ شجرة النَّخيل، يعكس التَّطوراتِ داخلَ التيَّار المسيحيّ. ووفقاً لشوميكر، فإنَّ ما يسمَّى كنيسة الاستراحة (باليونانيَّة Kathisma) على الطريق من القدس إلى بيت لحم،

---

[1] راجع لوقا ٢: ٧ فيما يتعلَّق بالإسطبل (مزود المسيح). بالفعل تظهرُ المغارة في يوستينوس الشَّهيد، **حوار مع تريفو**، الفصل. ٧٠، ٧٨؛ وإنجيل يعقوب التمهيدي، ١٨: ١.

والتي بُنيت أصلاً في احتفالِ المهد، قد ارتبطَت بالرّحلة إلى مصرَ بحلول القرن السّادس على الأكثر. ويقعُ النَّبعُ الذي شرِبَت منه مريم خلال الرّحلة الى مصرَ على الطَّريق من القدس إلى بيت لحم، استناداً لما كتبَه الحاج من بياشنزا، الذي كتب بين ٥٦٠ و ٥٧٠، أي في وقتٍ قريبٍ من ميلاد محمَّد؛ يذكرُ الحاج أيضاً أنَّ الكنيسةَ قد بُنِيَت هناك. ويقترحُ شوميكر أنَّ الدَّمج القرآني بينَ موضوعاتِ ميلاد المسيح ومعجزة شجرة النخيل يمكنُ أن يكونَ مُتجذِّراً في الطقس الدينيّ المُرتبِط بهذه الكنيسة، ويفترضُ أنَّ هذا الطقس الدّينيّ جمعَ بينَ موضوعاتِ الرّحلة إلى مصرَ مع ميلاد المسيح. علاوة على ذلك، يقدّمُ فرضيَّتَه لتقترحَ ضمناً بأنّ المُسلِمين يجبُ أن يكونوا قد التقطوا قصَّة مريم وشجرة النَّخيل بعد الفتوحات، وهي نتيجةٌ لا تتبعُ السَّبب بطبيعة الحال.[1]

ولا نحتاجُ حتَّى إلى أن نفترَض تردُّد تجَّار قريش إلى كنيسةٍ خلالَ رحلاتهم التّجارية،[2] وذلك بسبب الرّوايات التي تربطُ قصَّة شجرة النَّخيل مع ولادة المسيح والتي يمكنُ أن تكونَ قد انتقلَت من منطقة بيت لحم إلى الجزيرة العربية، ونشرَها الدُّعاة الشعبيّون. إنَّ ذلك من شأنه التخلُّص من المُشكِلة في أنَّ الخدمات في كنيسة الاستراحة، معقل المقدونيَّة (الملكيّة) المسيحيّة، قد نُظِّمَت باللغة اليونانيَّة، وهي لغة لا يفترضُ عادة إتقان أهلِ قريش لها (على الرَّغم من أنَّه ليس من المُستحيل إتقان بعضهم لها)؛ وربَّما تكونُ قد انتقلَت إلى لغاتٍ أخرى مع انتشارِ القصَّة.

---

[1] شوماكر، "عيد ميلاد المسيح في القرآن"، ولاسيّما ١٢-١٣، ٣٥-٣٦، ٣٨-٣٩؛ راجع أيضاً شوماكر، "اكتشاف (إعادة اكتشاف) كنيسة الاستراحة وعقيدة العذراء في فلسطين القديمة المُتأخِّرة"، **مريم** ٢ (٢٠٠١): ٢١-٧٢.

[2] هي إمكانيّة مُفترَضة من داي، "Lieux saints communs"، ١١٠.

على أيَّة حال، لا تخلو فرضيةُ شوماكر من مشاكلِها. لقد ارتكزَ بداية على افتراضِ ارتباطِ كنيسةٍ واحدةٍ مع موضوعَين مُنفصِلَين حتّى الآن، وهما: ولادة المسيح، والرّحلة إلى مصر. ولكنَّ علماءَ الآثار اكتشفوا كنيستَين على طريقِ بيت لحم، وتمَّ تحديدُ موقعِهما ضمَن نطاقِ بضع مئاتٍ من الأمتار من بعضها البعض،[1] لذلك ربَّما كانَ لكلٍّ "موضوع" منها كنيسة. علاوةً على ذلك، فإنَّ الدَّمجَ المُفترَض بينَ الموضوعَين في كنيسة الاستراحة لا ينعكسُ في الواقع في رواية الحاج من بياتشنزا، والذي لا يذكرُ ميلادَ يسوع على الإطلاق، بل يذكرُ فقط المياهَ التي شربَت منها مريمُ في أثناء رحلتها إلى مصر.[2] وحتى أنَّه لا يذكرُ شجرةَ النَّخيل، لذلك فإنَّ ما تقدِّمه روايتُه على أحسنِ تقديرٍ هو بالتَّوازي مع الآية القرآنية: {**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} (سورة المؤمنين، الآية ٥٠)**.[3]

---

[1] شوماكر، "عيد ميلاد المسيح في القرآن"، ٣١ والصّفحات التالية، والمطبوعات التي كتبها ر. أفنر المذكورة هنا.

[2] يعتبر شوماكر أنَّ الحاج يصفُ "كنيسة الاستراحة الجديدة" (الأكثر حداثة من الكنيستَين المُجاورتَين)، إلا أنَّه كانَت "كنيسة الاستراحة الجديدة" بنية مُثمَّنة مبنيَّة حولَ صخرة تشبهُ إلى حدٍّ كبيرٍ قبَّة الصَّخرة (حيثُ يُعتقد الآن أنَّها مصدر الإلهام)، لكن لم ينقل حاج بياتشنزا الانطباع بأنَّ الكنيسة التي رآها تطوِّق أو تغطي الصَّخرة وماءَها، لذلك من المُحتمَل أنَّها لم تكن هي الكنيسة التي وصفَها.

[3] يجادل شوماكر، في "عيد ميلاد المسيح في القرآن"، ٢٨-٢٩، أنَّ شجرة النَّخيل لم تعُد موجودة هناك لأنَّ العديد من الرِّوايات عن الأسطورة تقولُ بأنَّ المسيح قد كافأها بنقلها إلى الجنَّة. لكن بما أنَّها لعبَت دوراً مهمّاً في الأسطورة، من المُمكن أنَّه تمَّ إحياءُ ذكراها في الموقع بطريقةٍ أو بأخرى. يوجدُ في كنيسة الاستراحة لوحة فسيفسائيّة تصوِّرُ شجرة النَّخيل، لكنَّها وُضِعت فيها حوالي عام ٨٠٠، عندَما تمَّ تحويلُ الكنيسة إلى مَسجد، وهي تُظهر شجرة النّخيل بجانبها اثنتان أصغرُ منها، وهو ما لا يلائمُ الأسطورة. وهناك شجرةُ نخيلٍ واحدة تظهر على الجزء الخلفيّ من سنّ فيلٍ من القرن السّادس، لكنَّها تصوِّرُ الرّحلة إلى مصرَ ولَيس ولادة المسيح.

والأكثر أهمّية من ذلك كلّه، أنَّ كنيسة الاستراحة كانَت كنيسة خلقيدونيَّة(*)، ونفى المسيحيُّون الخلقيدونيّون عامَّة معاناةَ مريمَ من آلام المخاض؛ في الواقع، إنَّ مُعظَم المسيحيّين من التيَّار السّائِد فعلوا ذلك. وقد أنجبَت والدة موسى ابنَها من دون ألمٍ يُذكَر، كما قيلَ لنا من خلال يوسيپوس (توفي تقديراً ١٠٠ للميلاد)،(١) وسرعان ما اتّبعت أمُّ يسوع حذوها. وفي كتاب **صعود إشعياء**، يبدو بوضوح أنَّ الطفلَ أصابَ مريمَ بالذُّهول، الّتي كانت حاملاً لمدَّة شهرين فقط **(راجع سفر إشعياء ٦٦: ٧: "قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَهَا الطَّلْقُ وَلَدَتْ. قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهَا الْمَخَاضُ وَلَدَتْ ذَكَرًا")**؛ وقيل لنا إنَّ العديدَ من الناس رفضوا الاعتقاد بأنَّها قد أنجبَت على أساس أنَّ "القابلة لم تصعد إليها ولم نسمع صرخاتِ الألم".(٢) وتخبرُنا أناشيدُ سليمان السّريانيّة أيضاً ، ربّما كتبت في أوائل القرن الثاني، أنَّ مريم أنجبَت ولادة من دون قابلة، وأنَّها حدثَت دون ألم.(٣) وتمّ اقتباسُ المقطعِ من كتاب **صعود إشعياء في أعمال بطرس** (هو عمل مُصرَح به أخيراً كعملٍ هرطوقيّ [من الكتب المنحولة]، وقد أدلى إيرينيئوس (أب التقليد الكنسيّ) بالفكرة نفسها،(٤) وبعد ذلك

(*)[تعليق المُترجِم: أي أنَّها تقرُّ وتعترفُ بقرارات وشرعيَّة المَجمع المسكونيّ الرَّابع أو مجمَع خلقيدونيَّة المُنعقِد ٤٥١م].

(١) يوسيفوس، **الآثار العتيقة**، ٢، ٢١٨؛ راجع سفر الخروج راباه، ١: ٢٠؛ bSotah، ١٢a (أتوجَّه بشكري لآدم سيلفرستين لحصولي على المراجع مباشرةً).

(٢) "استشهاد وصعود إشعياء"، ١١: ١٤، مُترجَم. كنيب، في **العهد القديم المنحول**، ٢: ١٧٥. ويبدو في إنجيل يعقوب التمهيدي، ١٩: ١، أنَّ الطفلَ قد أبصرَ النّور بكلّ بساطة، رغم استدعاء قابلة (قارِن الرؤية التفسيرية الإسلاميّة التي تقولُ إنَّ مريمَ ولدت حالما حبِلت، عبد المجيد الشرفي، "المسيحيّة"، ١١٦)، لكن لم يُذكَر غياب آلام الولادة بشكلٍ صريحٍ.

(٣) **أناشيد سليمان**، مُحرَّر ومُترجَم. تشارلزوورث، ١٩: ٨.

(٤) أعمال بطرس، ٢٤ (إليوت، **العهد الجديد المنحول**، ٤١٧)؛ إرينيئوس في ب. ف. بوك، " هل "صعود إشعياء" و "أناشيد سليمان" شهود على عبادة مُبكِّرة لمريم؟"، في *De Primordiis*

انتشرَت فكرةُ تحرُّر مريم من آلام المخاض جنباً إلى جنب مع العقيدة القائلة إنَّ عذريتَها بقيَت سليمة بالولادة. لقد مُثِّلت مريمُ على أنَّها التّفسير الرَّمزيّ للأنموذج حواء(*)، الّتي حلَّت عليها لعنة آلام الولادة نتيجة لعصيانها(*)، وقد أيَّدَ إبيفانيوس تحرُّر مريم من آلام المخاض،[١] وأيضاً القدّيس غريغوريوس أسقف نيصص **(توفي حوالي عام ٣٩٤)**،[٢] وهيسيخوس أو حزقيوس الأورشليمي **(توفي حوالي عام ٤٣٣)**،[٣] وثيئودوتس أسقف أنقرة **(توفي قبل ٤٤٦)**،[٤] وسويريوس الأنطاكي **(توفي ٥٣٨)**،[٥] وأيقومونيوس **(أواخر القرن السادس / أوائل القرن السابع)**،[٦] ويوحنّا الدّمشقي **(توفي ٧٤٩)**،[٧]

Cultus Mariani، المجلد ٤، *Cultu B.V. Mariae respectu habito ad De mythologiam et libros apocryphos*، Acta Congressus Mariologici- Mariani in Lusitania Anno ١٩٦٧ Celebrati (روما، ١٩٧٠)، ٣٩٢.

(*)[تعليق المترجم: التّفسير باستخدام الأنموذج؛ أي ربط شخصيَّاتٍ أو صورٍ من العهد القديم و مطابقتِها معَ ما يماثلُها في العهد الجديد اعتماداً على حدثٍ تاريخيٍّ من حيثُ الوعد والتّحقيق].

(*)[تعليق المترجِم: وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: **«تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ.» (سفر التكوين ٣: ١٦)**].

[١] إبيفانيوس، *Panarion*، ٣٠. ٢٠. ٤.

[٢] غامبيرو، **مريم وآباء الكنيسة**، ١٥٨، نقلاً عن غريغوريوس أسقف نيصص، في **نشيد الأناشيد**، ١٣ (حيث تمت مناشدة إشعياء ٦٦: ٧).

[٣] روبرت سـ. بيتمان، "العظات الدينيّة المريميّة للقدّيس حزقيوس الأورشليميّ" (رسالة الدكتوراه، الجامعة الكاثوليكيّة في أميريكا، ١٩٧٤)، ٨٢ (mpg ٩٣، العمود ١٤٦٣)؛ راجع ٦٢ (العمود ١٤٥٣)، حيثُ يدَّعي حزقيوس أنَّ مريمَ قد حملَت آلامَ الولادة عن جميع النساء!

[٤] غامبيرو، **مريم وآباء الكنيسة**، ٢٧١، نقلاً عن ثيئودوتس، "عن والدة الله وعن ميلاد المسيح"، *Patrologia Orientalis* ١٩، ٣٣٠-٣٣١.

[٥] هيلدا غراف، **مريم: تاريخ عقيدة وإخلاص** (لندن، ١٩٦٣)، ١٢٣.

[٦] أيقومونيوس، **تفسير سفر الرؤيا**، ترجمة. جون نـ. سوجيت (واشنطن، ٢٠٠٦)، ٦. ١٩. ٧ والصَّفحات التالية.

[٧] غراف، **مريم**، ١٥٨.

فضلاً عن آخرين غيرهم في الغرب اللاتيني.[1] وبالحكم انطلاقاً من الإنترنت، يبدو أنَّ الفكرة لا تزالُ على قيد الحياة حتى اليوم.

كانَ الكتَّابُ السّريان والأقباط على درايةٍ بهذه الفكرة، على الرَّغم من أنَّهم لم يميلوا إلى التّأكيد عليها لأنَّها أفسحَت في المجال للتَّفسيرات المُتشدِّدة للتَّجسيد (وهي مُشكِلةٌ أكثرُ إلحاحاً في المُقاطَعات الشَّرقية ممّا كانَت عليه في بقيّة الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، بصرفِ النَّظر عن "عقيدة عدم فساد جسد المسيح"). يقولُ أفرام السّريانيّ لمريمَ أن "تخلِّصَ رحمَك ضرباتُ اللعنة" وأنَّها تحمَّلت المسيح "حقّاً وحقّاً ولكن من دونِ ألمٍ"، لكنَّه أيضاً يتحدَّثُ عن "آلام [ولادته]".[2] وعلى الرَّغم من أنَّ إسحَقَ الأنطاكي **(ذاعَ صيته حوالي عام٤٥٠)** ويعقوب السروجي **(توفي ٥٢١)** يذكران كلاهما أنّ الولادةَ تركَت بتوليّة مريمَ سليمة، لا يبدو أنَّ أفرام السريانيّ قد ذكرَ تحرُّرها من آلام المخاض، في حين يشيرُ يعقوبُ السّروجيّ صراحةً إلى أنَّ "انقباضاتِ الولادة أصابَت الأمّ الشّابّة".[3] ويذكرُ نرساي **(ذاع صيته أواخر القرن الخامس)** أيضاً انقباضاتِ ولادتِها، على الرَّغم من أنه يؤكِّدُ لنا أنَّ نعمةَ الله لمريم ابتعدَت معَ

---

[1] بوك، " هل "صعود إشعياء" و "أناشيد سليمان" شهود"، ٣٩٢، نقلاً عن القديس ڤنانتيوس فورتوناتوس (حوالي عام ٦٠٠).

[2] أفرام السرياني في روبرت موراي، "مريم، حواء الثذانية في الآباء السّريان الأوائل"، **مجلة الكنائس المشرقيّة** ٣ (١٩٧١): ٣٧٩.

[3] يعقوب السّروجيّ، **عظات عن مولد المسيح**، ترجمة وتحرير. توماس كولامبارامبيل (بيسكاتاواي، نيوجيرسي، ٢٠١٠)، العِظة ١، ٥. ٨٢٦؛ العِظة ٢، ٥. ١٨٨؛ راجع لاندرسدورفر، *Schriften Ausgewählte*، ٢٨٨.

سجن انقباضاتِ الولادة التي حاصرَ بها حواء.[١] ومنصوصٌ أنَّ مريمَ ولدَت من دون ألم في العِظات القبطيَّة المنسوبة إلى كيرلس الإسكندريّ وكيرلس الأورشليميّ،[٢] ولكن تذكرُ موعِظةٌ قبطيَّةٌ أخرى (تُنسَب إلى ديميتريوس الأنطاكيّ) أنَّ مريمَ شعرَت بآلام الولادة تهبُّ عليها مثلَ فضلاتِ مياهِ الأمطارِ وأنَّها كانَت بائِسة، على الرَّغم من أنَّها اقتُبسَت أيضاً من سفرِ إشعياء ٦٦: ٧ **"قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَهَا الطَّلْقُ وَلَدَتْ. قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهَا الْمَخَاضُ وَلَدَتْ ذَكَرًا."**[٣] وباختصارٍ، تُقبَلُ آلامُ الولادة عندَ مريم في بعض الأحيان، لكن لا يوجدُ أيّ مُؤلِّفٍ مسيحيّ من أواخر العصور القديمة معروف بالنّسبة لي يسلِّطُ الضَّوءَ على معاناة مريمَ بعد أسلوب القرآن، حيثُ يكونُ ألمُها من النَّوع الذي تودُّ بسببِه لو أنَّها كانت ميتة؛ وحقيقة احتفال حزقيوس الأورشليمي بتحرُّرها من الألم هو أمرٌ ذو أهمّيّة استثنائيّة وفي ذلك تبيِّنُ موعظتُه لنا الموضوعاتِ الّتي يمكنُ أن يسمعَها الناسُ خلالَ عيد ميلاد السيّد المسيح في منطقة القدس، بما في ذلك كنيسة الاستراحة.

فكيفَ لنا أن نفسّرَ النَّسخة القرآنيَّة من ميلاد السيد المسيح؟ وقد أشيرُ إلى أنَّ ولادةَ يسوعَ تحتَ شجرة نخيلٍ كانَت على غرارِ أسطورةِ ولادةِ أبولو تحتَ

---

[١] فريدريك ج. مكليود، ترجمة وتحرير. **عظات نرساي الموزونة (Patrologia Orientalis ٤٠/1)** (تورنهاوت، ١٩٧٩)، رقم ١، ٢٤٩، ٤٦٧-٤٦٨؛ راجع رقم ٣، ٦٠ (الصّفحات ٥٣، ٦٧، ١٠٩).

[٢] كيرلس الراقودي (الإسكندرية)، "عن العذراء مريم"، في بودج، **نصوص قبطيَّة مُتنوِّعة،** ٧١٧-٧٢٤، ٧١٩ (b١٣)؛ كيرلس الزَّائِف، "عن الصليب"، في بودج، **نصوص قبطيَّة مُتنوِّعة،** الصّفحة ١٧a=٧٧٩؛ كاماغنانو، *Copte Omelie*، ١٠٧، الفقرة ٤٧.

[٣] ديمتريوس، "عن ميلاد مسيحنا (ربنا)"، في بودج، **نصوص قبطيَّة مُتنوِّعة،** ٦٨٤ (الصّفحات ٥٨a-٥٨b).

شجرةِ نخيلٍ،[1] ولكن هذا يبدو مُستبعَداً، بالنَّظر إلى أنَّ المقطعَ القرآنيَّ ليسَ عن ولادةِ يسوعَ على الإطلاق، وإنَّما عن مُعجِزة ظهور القوت لمريمَ. وتقترحُ بوس أنَّ مريمَ الحامل قد صُوِّرت على غرارِ هاجر التي تجولُ في الصَّحراء، وتخلَّت عن طفلِها الواهِن عندَما أنقذَها الملاكُ والطِّفلَ من الموت، وذلكَ من خلال جعلِها تبصرُ بئرَ ماءٍ، كما في قوله:{ **فَسَمِعَ اللهُ صَوْتَ الْغُلاَمِ، وَنَادَى مَلاَكُ اللهِ هَاجَرَ مِنَ السَّماء وَقَالَ لَهَا: «مَا لَكِ يَا هَاجَرُ؟ لاَ تَخَافِي، لأَنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ لِصَوْتِ الْغُلاَمِ حَيْثُ هُوَ. قُومِي احْمِلِي الْغُلاَمَ وَشُدِّي يَدَكِ بِهِ، لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً .«وَفَتَحَ اللهُ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ مَاءً وَسَقَتِ الْغُلاَمَ}. (انظر سفر التكوين ٢١: ١٤-١٩؛ راجع أيضاً سفر التكوين ١٦: ٧).**[2] ولكن ذلك يبدو ملائِماً بشكلٍ أفضلَ معَ القصَّة في الآية رقم ٥٠ من سورة المؤمنون، الّتي تذكر نبع الماء فقط، أكثر مما هي عليه في سورة مريم، والّتي تظهر فيها شجرة النخيل جنباً إلى جنبٍ مع الغذاء والماء. إنَّ الإلهام الرئيسيّ وراءَ القصّة القرآنيّة على الأرجح هو رؤيا يوحنّا. نقرأ هنا عن امرأةٍ **"حُبْلَى تَصْرُخُ مُتَمَخِّضَةً وَمُتَوَجِّعَةً لِتَلِدَ"**، والّتي تهربُ بعد الولادة إلى البريَّة وتتغذَّى هناك لمدَّة **(سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٢: ١-٦، ١٣ وما يليها)**. لقد اتَّفقَ المُؤلِّفون القدامى عموماً على أنَّ المرأة الّتي مثَّلت الكنيسة، هربَت من

[1] وهكذا، سليمان علي مُراد، "من الهيللينيّة إلى المسيحيّة والإسلام: أصل قصة شجرة النّخيل المُتعلِّقة بمريم ويسوع في إنجيل متّى المنحول والقرآن"، *Christianus Oriens* ٨٦ (٢٠٠٢): ٢٠٦-٢١٦. أعادَ مراد إحياء فكرة قديمة عن غير قصد، راجع روش، "Jesusmythen"، ٤٣٧، مع الإشارة إلى منشور يعود لعام ١٨٣٢؛ لكنَّ روش جادلَ ضدَّه سابقاً.

[2] بوس، "Leben Jesu"، ١٩.

الرُّومان على مقرُبةٍ من تدمير القدس،[١] ولكنَّها استحضرَت مريمَ إلى أذهانهم، مريمُ الّتي كانَت "رمزَ الكنيسة".[٢] وهكذا ركَّزَ إبيفانيوس على رؤيا يوحنّا (١٢: ١٣ وما يليها) في بحثِه عن أدلّة بشأنِ وفاةِ مريمَ مُستنتِجاً من صياغتها أنَّها لم تمُت، على الرَّغم من أنَّه لم يكن مُتأكِّداً.[٣] وكما ذكرَ القدّيس أندراوس القيصريّ، كانَ هناك بعض الذين اعتبروا المرأة على أنَّها ثيؤطوكوس[*]، على الرَّغم من أنَّه هو نفسُه يتَّفقُ مع ميثوديوس، الذي اعتبرَها بمعنى الكنيسة.[٤] ومع ذلك، واظَبَ أيقومونيوس المُعاصِر الأصغر سنّاً على مُطابَقة المرأة مع مريم، وبذلَ قصارى جهدِه لتبديد الشّكّوك حولَ آلام ولادتِها. [٥] (ولكن يقولُ أحدُ التَّعليقات المُعاصِرة التي كتبَها ديفيد بجورنستاد في مُناقَشة على شبكة الإنترنت حولَ ما إذا كانَت ماري مُعفاة من آلام الولادة: "إذا كانَ المرءُ يفسِّرُ المرأة المُتسربِلة بالشَّمس في رؤيا يوحنّا ١٢ بأنَّها مريم، فسيتعيَّنُ عليه أن يقولَ إنَّها ليسَت مُعفاة").[٦] وبما أنَّ المرأة في رؤيا

---

[١] جون بارتون وجون موديمان، مُحرَّرون، **تعليقات إنجيل أوكسفورد** (أوكسفورد، ٢٠٠١).
[٢] راجع أفرام السرياني في موراي، "مريم، حواء الثانية"، ٣٨٤ ("مريم، رمز الكنيسة")؛ في غامبيرو، **مريم وآباء الكنيسة**، ١١٥ ("سمينا الكنيسة باسم مريم"). وبشكلٍ مشابهٍ زينون من فيرونا، وأوغسطينوس، وأمبروس في غراف، **مريم**، ٥٦-٥٧، ٩٧-٩٨.
[٣] إبيفانيوس، *Panarion*، ٧٨. ١١. ٣-٤؛ شوماكر، **روايات قديمة**، ١٢.
[*][تعليق المُترجم: ثيؤطوكوس أو Theotokos مُصطلَح يوناني Θεοτόκος مُركَّب من كلمتين Θεός وتعني الإله، وτόκος وتعني الولادة، وهو مُصطلَح يُطلَق على مريم العذراء كوالدةِ الإله وليسَ على أنَّها ذاتِ طبيعةٍ إلهيّة].
[٤] القدّيس أندراوس القيصريّ، **تفسير سفر الرّؤيا**، مُترجَم. يوجينيا سكارفيليس كونستانتينو (واشنطن، العاصمة، ٢٠١١)، الفصل ٣٣. ١٢. ١.
[٥] أيقومونيوس، **تفسير**، ٦. ١٩. ٢؛ ٦. ١٩. ٧ والصَّفحات التالية.
[٦] الرّدود الكاثوليكيَّة، "منتدى الرّدود الكاثوليكيّة"، الوصول في تشرين الثاني ٢٠١٥، http://forums catholic.com/showthread.php?t=11734. وبالمثل تيموثي جورج،

يوحنّا ١٢ تلدُ قبلَ الهروب إلى الصَّحراء، فلا يمكنُ أن تكونَ مريمَ إلا إذا كانَت هاربةً إلى مصرَ، وهو في الواقع ما يعبِّرُ عنه أيقومونيوس.[١] ووفقاً لرؤيا يوحنا ١٢، فقد تغذت المرأة المتسربلة بالشمس في الصحراء لمدة من الزمن، ومن القرن الخامس فصاعداً، تم تداول قصة حول كيفية ظهور التمر والماء لها بأعجوبة عندما استراحت تحت شجرة نخيل في طريقها إلى مصر.[٢] لا يذكر أيقومونيوس قصَّة شجرة النّخيل، ولكن يبدو أنَّ آخرينَ استخدموا هذه القصَّة لتفسير كيفَ كانَت المرأةُ التي هربَت إلى الصَّحراء تتغذَّى هناك، وهذه هي الطريقة الّتي تمَّ بها الجمعُ بينَ قضايا آلام الولادة والتَّغذية. وتلك المعلومات التي وقعَت في أثناء الرِّحلة إلى مصرَ هي كلُّ ما هو مفقودٌ في القرآن. ومن المُستحيل القول إذا كانَ المسيحيَّون سواء من المُجتمعاتِ الرئيسة أو الهامشيَّة مَن جمعَ بينَ رؤيا يوحنَّا ١٢ وقصَّة شجرة النَّخيل.

١٥- يسوعُ، المسيحُ والكلمةُ:

يدعى يسوعُ بالمسيح في القرآن على نحوٍ مُنتَظم، لكنَّه لا يموتُ لإبطالِ خطيئةِ آدمَ وخلاصِ البشريَّة، كما يُفهَمُ دورُ المسيح عادةً بحسبِ المسيحيّين؛ ولا يسمَّى بالملك مُطلَقاً؛ حيثُ من غيرِ المُتوقَّع أن يعودَ في يوم الدَّينونة. ويختلفُ بعضُ العلماء فيما يتعلَّق بعودتِه، على أساسِ أنَّ الآية تقولُ: **{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ} (سورة الزخرف، الآية ٦١)**،

"مريم العذراء المُبارَكة في المنظور الإنجيليّ"، في **مريم، والدة الله**، مُحرَّر. كارل ي. براتن وروبيرت و. جينسون (غراند رابيدز، ميتشيغان، ٢٠٠٤)، ١١٠.

[١] أيقومونيوس، **تفسير**، ٧. ٣. ٩.

[٢] يُنظر أعلاه، الملحوظات ٣٣٧-٣٣٨.

[1] أي أنّ يسوعَ هو علامةٌ على يوم الدَّينونة، بحيثُ لا ينبغي للمرءِ أن يشكَّ في ذلك. وقد تمَّ حَمْلُ هذه المسألة على مَحملِ أنَّ يسوعَ سوفَ يعودُ في اليوم الأخير، ولكن من الصَّعب أن نعرفَ لماذا: وجهة البيان هي أنَّ يومَ الدّينونة سيأتي بالتّأكيد، إلا أنَّ الكثيرَ من الناس قد يشكِّكونَ أو ينكرونَ ذلك، ويتمُّ استحضار يسوع كقوَّة مُقنِعة للمسألة، وليس كشخص يدشّن هذا اليوم. ويكرِّس القرآن اهتماماً هائلاً ليومِ الدَّينونة الذي يردُ وصفُه في العديد من السّور، فإذا كانَ الرّسول يتوقَّع من يسوع أن يعودَ في ذلك اليوم، فإنَّه بالتأكيد قالَ ذلك مراراً وتكراراً أيضاً. ولكنَّه لا يقولُ ذلك صراحةً.

في الواقع، فإنَّ المسيح في القرآن ليس لديه المؤهَّلاتُ لمكانةِ المسيح بحسبِ المسيحيّين، وكما رأينا، فهو لم يولَد في بيت لحم (انظر أعلاه، رقم ١٤)، وتُعَرِّفه ثلاثةُ مقاطعَ ضمناً باعتباره هارونيّاً بدلاً من عُضوٍ من بيت داؤود (انظر أعلاه، رقم ١٢). كانَ يسوعُ مسيحاً غريباً، إذن: لم يكن من بيت داؤود، وليسَ ملكاً بأيّ معنى، ولا ضحيَّة قربانٍ ماتَ من أجل خطايانا أيضاً. كانَ المسيحُ فقط بمعنى أنَّ هذا هو اللّقب الذي دعاه به الجميع، وربَّما في المنطقة العربيَّة في مرحلة ما قبلَ الإسلام.[2] ومن الجدير بالذكر أنَّه على الرَّغم من أنَّ يسوعَ هو المسيح دائِماً في كتاباتِ اليهود المسيحيّين بعد اتّحاداته مع المسيح السَّماوي، فإنَّه لم تتمَّ الإشارة إلى ما سيفعلُه بهذه الصّفة. لقد أشارَ يعقوبُ الرّهاوي بارتياحٍ بعدَ الفتوحات أنَّ الهاجريّين اعتقدوا أنَّ يسوعَ كانَ المسيحُ

---

[1] يمكن أن تُقرأ العبارة "لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ"، لكن "عِلْمٌ لـ" ليسَت اصطلاحيَّة.

[2] ميشيل حايك، "L'Origine des termes ʿIsâ al-Masîh (Jésus-Christ) dans le Coran"، *L'Orient Syrien* ٧ (١٩٦٢): ٣٦٦ والصفحات التالية.

ومن أصلٍ داؤودي، وهي مكانةٌ يبدو أنَّهم فسَّروها بشغفٍ وحماسة.[1] وهذا يلمِّحُ أنّهم نَسبوا إلى مريمَ نسبَ داؤود أيضاً، ولكن لا يقولُ يعقوبُ الرَّهاويّ ذلك فعلاً. ومع ذلك قدَّمها ابنُ اسحق (توفي ١٥٠\٧٦٧) مع سلالة نسبٍ تعودُ إلى داؤودَ، أو إلى سليمانَ على وجهِ التَّحديد، دونَ الاشارة إلى هارونَ.[2] لكنَّ آخرين فسَّروا أنَّها كانت هارونيّة.[3] ولم يكن يسوعُ أكثر من مسيح بحسب المعايير اليهوديّة أو المسيحيّة، ولكن على الأقل، كانَ هناك جانِب قدم له الآن النسب الضروري. وبحلول ذلك الوقت، كانَ من المتوقَّع أيضاً أن يعودَ يسوعُ إلى الأرض في يوم الدّينونة، وهي فكرة موثَّقة في الحديث النبويّ على نحوٍ وافٍ.

يصفُ الرّسولُ يسوعَ أيضاً بـ **"كَلِمَةٍ مِّنْهُ/ مِّنَ اللَّهِ" (سورة آل عمران، الآيتان ٤٥ و ٣٩)**، وبتفصيلٍ أكبرَ قليلاً، يصفُه بأنَّه **"كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ" (سورة النساء، الآية ١٧١)** . ويبدو أن هذه الصّيغة الأخيرة تعكسُ الفهمَ السّريانيّ للبشارة. وفي لوقا ١ : ٣٥، يخبرُ الملاكُ مريمَ أنَّ **"اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ**

---

[1] فرانسوا ناو، " "Lettre de Jacques d'Édesse sur la généalogie de la sainte Vierge"، *Revue de l'Orient Chrétien* ٦ (١٩٠١): ٥١٨=٥٢٣-٥٢٤.

[2] الطبريّ، **تاريخ**، مُحرَّر. ميخيل يوهنا دى خويه، السلسلة ١، مُحرَّر. جون بارث (لايدن، ١٨٧٩-١٨٨١)، ٧١٢ [أعيدت طباعته في بريل في ٢٠١٠]. ويستكملُ الطبريّ نفسه سلسلة النَّسب بتعريف سليمان كابنٍ لداؤود مع النَّسب الذي أعطاه ليوسفَ، والذي يتطابقُ مع نسب مريم في الرَّوابط العليا.

[3] الشارفي، "المسيحيَّة"، ١١١-١١٢.

اللهِ"، وقد اعتبرَ رجالُ الكنيسة السّريان عموماً أنَّ قوّة العَليّ تعني كلمةَ الله.(١) كما يفسّرُ يعقوب السّروجيّ، فإنَّ الرّوح المُقدَّسة طهَّرَت رحمَ مريمَ في حين كانَت القوّة هي الكلمة الّتي دخلَت إليه وسكنَت هناك.(٢) وليسَ من الواضح بصورةٍ مُحدَّدةٍ رأيُ الرّسول حولَ "الكلمة"،(٣) ولكن يفاجِئ المرء أنَّه لم يكن لديه أي ندمٍ في الإشارة إلى يسوعَ بالكلمة، وذلك لأنَّ كلمةَ الله، يسوع، لم يكن سوى إنسانٍ عاديّ: كما يبدأ إنجيلُ يوحنا بالقول **"فِي الْبَدْءِ كانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ"**. ومثلَما كانَت الكلمة، كانَ يسوعُ إلهيّاً. إنَّ اليهودَ المسيحيّين الذين حملوا يسوعَ على محمَلٍ ليكون نبيّاً بشريّاً كلّياً، نفَوا أنَّه كانَ الكلمة على نحوٍ وافٍ،(٤) ولكنَّ الرّسول ينمُّ عن غير درايةٍ أو لا يدركُ المضامينَ الطبيعيَّة لهذا المُصطلَح، ومع ذلك يبدو أنَّ المسيحيّين في جنوبِ الجزيرة العربيّة قد قبِلوا بها.(٥) وعلى النَّقِيض من ذلك، يؤكد الرّسول في جدال ضد المؤمنين حول الثالوث، أن يسوع كانَ مُجرَّد كلمة الله ورسوله، كما في قوله: {**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ**

---

(١) بروك، "عيد الفصح (اليهود)، البشارة"، ٢٢٦-٢٢٧. فيما يتعلّق بتسلسل الكلمة والرّوح في العهد القديم، وبشكلٍ واضحٍ في الفكرِ السّزمريّ والبابليّ سابقاً، ينظر أوشانيسي، **كلمة الله في القرآن**، ٢٥.

(٢) سباستيان بروك، "مريم في الرّواية السريانيّة"، (الأولى من أصل مقالتَين تحملان العنوان ذاته للكاتب لنفسه) في **مكانة مريم في الحوار المسيحيّ**، مُحرَّر. ألبريك ستاكبول (سلاو، المملكة المتّحدة، ١٩٨٣)، ١٨٤-١٨٥.

(٣) يُنظر في هذا الصّدد أوشانيسي، **كلمة الله في القرآن**، ١٩ والصّفحات التالية، ٣٤ والصّفحات التالية.

(٤) يُنظر الجزء ١، الصّفحة ٢٤١ [٢٤٥] (يوسابيوس، *Hist. Eccl.*، ٣. ٢٧. ٣).

(٥) راجع غريلماير، **المسيح في الرواية المسيحيّة**، المجلّد ٢، الجزء ٤، ٣١٩-٣٢٠، راجع ٣١١، نقلاً عن الشهيد الحارث، التي قيل إنّه تمَّ تأريخُها بين عامَي ٥٢٩ و ٥٩٧.

بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً} (سورة النساء، الآية ١٧١)، حتى وإن كانَت إفادةً مُنافِية للعقلِ لتُطرَحَ في نقاشٍ مع المسيحيّين من التيَّار السائد. كما يبدو الرّسول غير مُدرِكٍ أنَّ المسيحيّين يؤمنونَ بأنَّ الله خلقَ العالمَ من خلالِ كلمتِه بمعنى المسيح، أو كما يعبّرُ المسيحيُّون في كثيرٍ من الأحيان، إنَّ المسيحَ كانَ خالق العالم. ومن الصَّعب تجنُّب الانطباع القائل إنَّ الكلمة كانَت مُجرَّدَ لقبٍ ليسوعَ ولم تحمِل الكثير من المعنى، مثلَ المسيح.

وبالإجمال، المسيحُ في القرآن ليسَ ابن الله، ولا هو المسيحُ أو الكلمةُ في أيِّ شيءٍ إلا بالاسم؛ فهو لا يُعمَّدُ ولا يُصلَبُ أو يُبعَثُ، ولا يملكُ أيَّ دورٍ فدائيّ: كلّ المذاهب المركزيَّة للمسيحيّة السّائدة مفقودة، بصرفِ النَّظر عن البقايا اللّفظيَّة. وللمرءِ أن يقرِّرَ أيّاً كانَ مذهبَه، فإنَّ المسيحيّين المحلّيّين ليسوا من النَّوع السائد.

١٦- الخاتمة:

خلاصة القول، إنَّ الرَّأيَ بأنَّ المسيحيَّة السائدة تنعكسُ في القرآن وحدَها، لا يمكنُ الأخذ به ليتلاءَم معَ الأدلّة بأيٍّ من السّور المكّيّة أو المدنيّة. والمُعتقَدات المسيحيَّة المعياريَّة حولَ يسوع غائبة، في حين يوجَد العديدُ من الأفكار غير المعياريَّة: لا أحدَ من مسيحيّي التيَّار السّائِد في زمن الرّسول رأى يسوعَ كنبيٍّ لبني إسرائيل، أو أنكروا أنَّه كانَ ابنَ الله، ونسبوا إليه كتاباً مُنزلاً، وجعلوه مُصدِّقاً للتوراة، واعتبروا ولادةَ العذراء بمعنى أنَّ الله نفخَ أنفاسَه في أنموذَج، أو كذَّبوا صلبَ اليهودِ ليسوعَ، وقالوا إنَّ أمَّه كانَت لاويّة، ولم يتصوّروا يسوعَ كما لو أنَّه ولدَ تحتَ شجرة نخيلٍ. يبدو أنَّ جميعَ المسيحيّين

الأغيار (غير اليهود) قد قبِلوا بسرعةٍ أنَّ يسوعَ هو الكلمة السّابق للوجود (عادة ما قبلَ الأبدية) وابن الله، وأنَّ مريمَ كانَت من أصلٍ داؤوديّ، ويسوع ماتَ على الصَّليب، وولِدَ في مغارةٍ أو اسطبلٍ؛ وكانَ قد نجا مفهومُ الأنبياء على أنَّه يشكّلُ سلسلةً من التّجسيدات الإلهيَّة في بلاد ما بينَ النهرَين (العراق قديماً) وإيران فقط، وربَّما كانَ ذلك حيثُ نشأت وحيثُما كانَت القيادةُ المسيحيّة من دون دعمِ الدَّولة ولا يمكنُ قمعُها.[1] باستثناء ولادة يسوع تحت شجرةِ نخيلٍ، نجدُ جذورَ التَّعاليم غير المعياريّة في المسيحيّة اليهوديّة. ويمكنُ لبعضِها أن تكونَ ابتكاراتِ الرّسول الخاصَّة، لكن وجود مُعتقَداتٍ مُماثِلةٍ في كلٍّ من المسيحيّة اليهوديّة والمانويّة، وهو دينٌ مُتجذِّرٌ في مُجتمَع الكسائيَّة، يجعلُ من المُستبعَد جدّاً أن يكونَ صحيحاً لكثيرٍ منهم.

وإنْ كنَّا نصرُّ على مُعارَضة الدَّليل بأنَّ جميعَ المسيحيّين اليهود قد ماتوا واختفَوا بحلولِ زمن الرّسول، فإنَّ عدداً من المُعتقَدات الّتي تنعكسُ في القرآن تعيدُنا إلى القرون المسيحيَّة الثلاثة الأولى: ومثالاً على ذلك، العقيدة القائِلة إنَّ يسوعَ كائنٌ بشريٌّ تماماً ونبيّ أُرسِلَ إلى بني إسرائيل، وعلى أنَّ مريم لاويّة، والدوسيتية فيما يتعلَّقُ بمدخول الطَّعام والصَّلب، ونقاط اقتران الكواكب أو الاصطفاف، وسلسلة الأنبياء (إذا كانَت موجودة بالفعل في الكتاب). أمَّا إنكار خصوم الرّسول للقيامة، وهي مسألة رئيسة أخرى في القرآن، تحدثُ في منطقتِه وفي الحقبة نفسها، ولكنَّنا نعرفُ على الأقلِّ أنَّ هذه المسألة ظلّت قضيَّةً

---

[1] وللاطّلاع على كلّ هذا، يُنظَر كرونة، Nativist Prophets، ٢٨١-٣٠١، ولاسيّما ٢٩٠-٢٩٣.

مُتنازَع عليها لقرونٍ بعد ذلك.[1] وحتَّى لو شطبْنا السّلسلة النبويّة على أنَّها غير مؤكَّدة جداً، وأبعدنا الدوسيتيّة فيما يتعلَّقُ بمدخول الطَّعام والصَّلب باعتبارها تطوراتٍ حديثةً بفضلِ نجاةِ عددٍ من الغنوصيين غير المعروفين، وما يتعلقُ بحسن تدبير شرح مكانة يسوعَ الإنسان كمسألة إعادة الرّسول لاختراع العجلة (أي أنَّه يقدِّمُ شيئاً من دونِ أن يعرفَ بوجودِه منذُ زمنٍ)، يصبحُ لدينا الآنَ اثنان من المُعتقَدات (يسوع كنبيّ إلى بني إسرائيل ومريم كهارونيّة) الّتي اختفَت بسرعةٍ من المسيحيَّة السائِدة، والّتي يجبُ أن تكونَ قد نُقِلَت إلى شبه الجزيرة العربيّة من خلال الناس المُتشكِّلة وجهات نظرهم في القرن الأوّل أو الثّاني. إنَّ المسيحيّين اليهود هم المرشَّحون الأكثر وضوحاً. لم يأتوا بالضّرورة إلى شبه الجزيرة العربيّة في أعقابِ الحروب الرومانيّة ضدَّ اليهود في القرنَين الأوّل والثّاني. ولكن بغضِّ النظر عن تاريخ وصولهم، يجب أن يكونوا حاضرين في الأماكن المُجاوِرة الّتي كانَ ينشطُ فيها الرّسول.

[1] راجع باتريشيا كرونة، "المُشركون في القرآن والقيامة: الجزءُ الثّاني"، **نشرة كلّية الدّراسات الشّرقيّة والأفريقية** ٧٦ (٢٠١٢): ١-٢٠ [الطبعة: مُدرجة كمقالة سادسِة في هذا المجلَّد (الكتاب الأصل)].